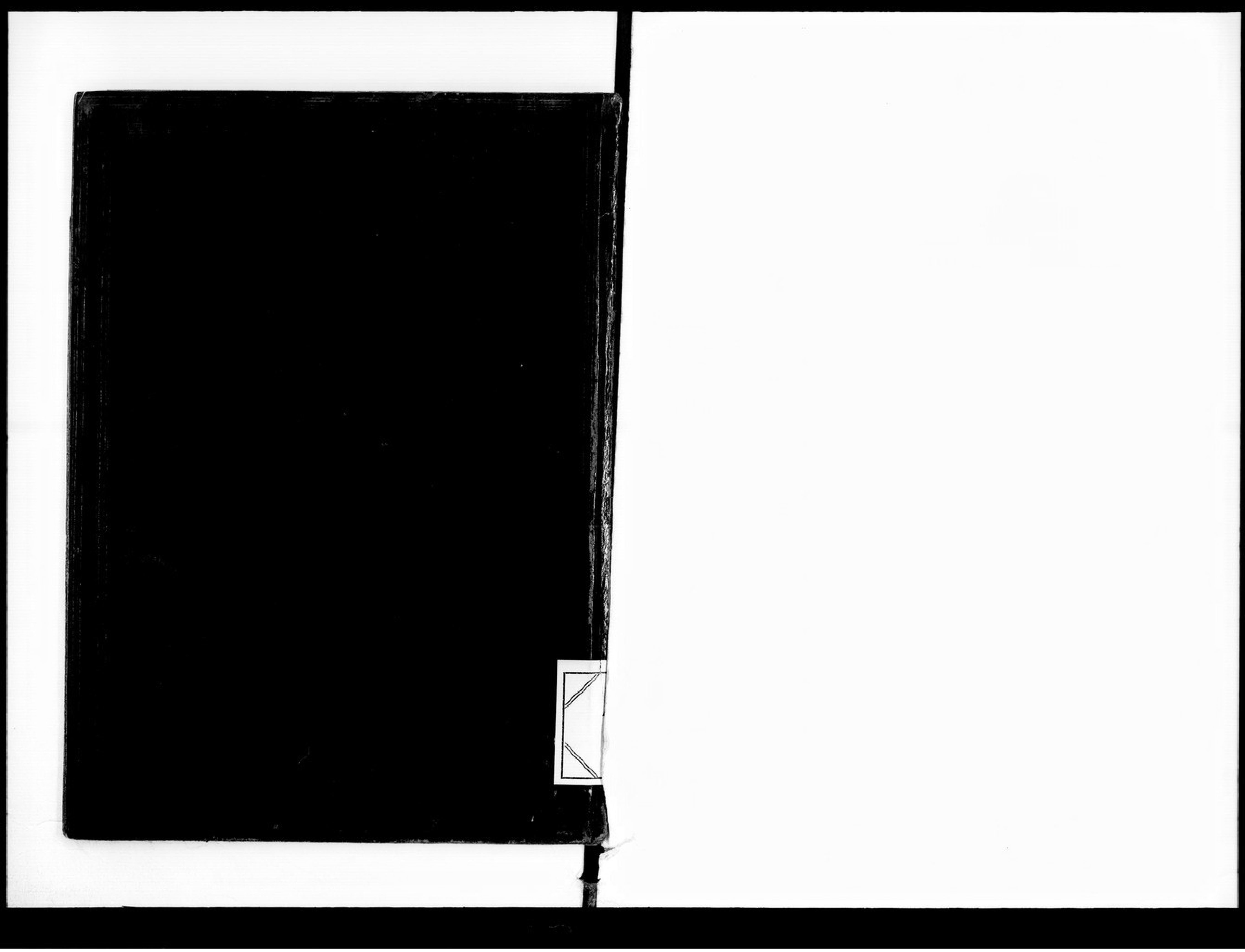

BnF Gallica

[...]



Asselin
~~N°. 694~~
relation d'une ambassade
envoyée par le Roi d'Espagne
par l'empereur de Maroc
l'an 1179 de l'hegire

Suppl. ar.
~~[illegible]~~
N° 943

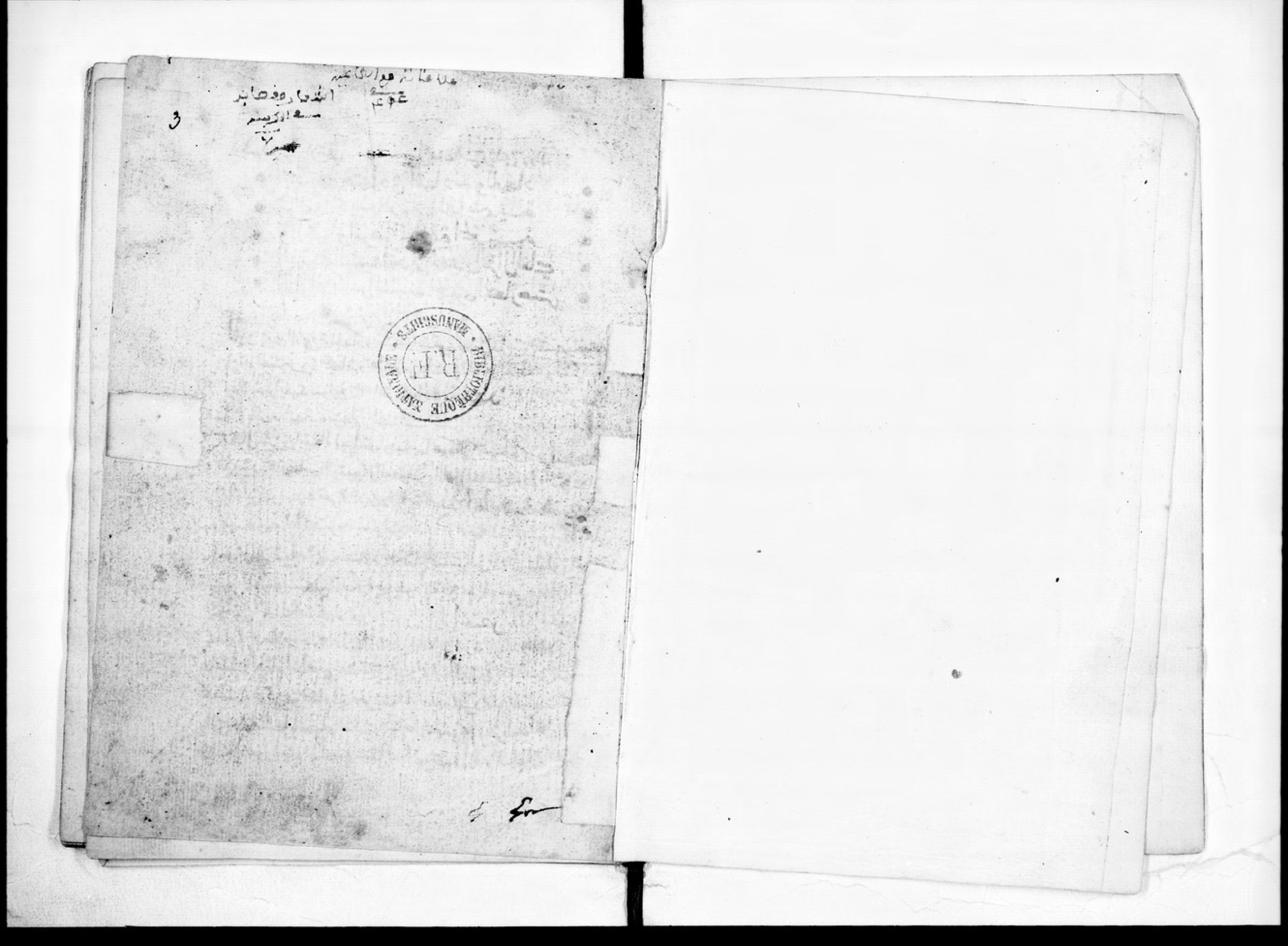
Volume de 90 Feuillets
Le Feuillet 2 est blanc
1er Septembre 1874.

الحمد لله وحده

هاذا برنامج الرحلة الاندلسية

1

وفي صنعه الدار اخد


3

بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وآله

نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد
لمؤلفها أديب الدولة الهاشمية
وكاتب أوامرها المطاعة المحمية
الفقيه السيد أحمد بن المهدي الغزال الفاسي
الدار الأندلسي النسبة الحميري النجار حشر
في زمرة الأخيار

الحمد لله الذي فرض الجهاد وسنه، واشترى به من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، نحمده سبحانه وتعالى حمد من جاهد في الله حق جهاده، ونشكره جل وعلا شكرا يفيد سوابغ آلائه وإمداده، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من علم أن الجنة تحت ظلال السيوف، فشمر عن ساعد الجد في قتال المشركين امتثالا لأمر الله ورغبة فيما هو مقرر وموصوف، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد صاحب السيف والقضيب واللواء المعقود، وعلى آله وأصحابه الباذلين نفوسهم في نصرة الدين وإقامة الحدود. أما بعد فإن روح الجهاد ونفسه ومعناه المعتبر وحسه وجود الخلفاء والأئمة للقيام بشؤونه وما يتعلق بأموره المهمة مع ما يجب عليهم من الاهتمام بمباشرة من الأمة فيما يملون أموره بذهن ثاقب، ويستعملون الفكرة فيما يعود بالنفع على المؤمنين في الحال والعواقب، ويتعرضون لنفحات الله بجهاد أعداء الله، وإن ممن اختص بهذه المنقبة العظيمة في ملوك الإسلام وجاوز الحد في استعمال البعض والكل في الجهاد وما يتعلق بأموره في اعتناء واهتمام إمام جزعت من الكفرة لسطوته، وفزعت سفن المردة لعظمته وقوته، فهو الإمام الذي تزينت بأوصافه الحميدة من المؤلفات الفصول والتراجم، فاستقل بالفضل والعظمة واستطال بحلمه وعلمه على ملوك العرب والأعاجم، مولانا المنصور بالله والمجاهد في سبيل الله أبو عبد الله السلطان الأعظم مولانا

والأخلاق الواضحة الحسنية

محمد

محمد بن مولانا عبد الله خلد الله نصره، وأعز أمره، وأبد مجده وفخره، وأدام في المعالي ذكره، لم يزل نصره الله مستغرقا أوقاته في طاعة الله مولانا مستعينا بالله على ما خوله وأولاه من النظر في أمور عباد الله، والسعي في جهاد أعداء الله، وكان رحيما بالمؤمنين رؤوفا بارا بالضعفاء والمساكين، فظا غليظا على أعداء الله الكافرين، حتى أيده الله في تهيئ المراكب للجهاد واجتهد وشحنها أدامه الله بالعدة والعدد، وحض عساكره المؤيدة بالله على حضور النية حال القتال لتكون كلمة الله هي العليا، لا لأجل أن ينال ويقال، ولا شك أن الذكرى من الموفق نافعة، والموعظة من منور السريرة في القلوب واقعة، فشمروا عن ساعد الجد بأمر المطاع، وجاهدوا في الله واجتهدوا، وأوفوا بما وعد الله به عباده من النصر اعتمد واقتصد فيهم الله وعده، ونصر حزبه وعبيده، وقد ضيقوا بالعدو الكافر البر والبحر حتى صار قذى في عيون المشركين، وشجى لهم في النحور، وحصل منهم العدد الكثير في الأشراك، وغنموا بعد أن كاد يستوعبهم الهلاك، ولم يجدوا بدا من طلب المهادنة عن خضوع وإذعان ومذلة واستصغار وهوان، فجعل العدو يتردد في المسألة ويلح في الطلب والمسألة، فلم ينفك سيدنا نصره الله وأيده الله لذلك، ولم يبال بما هنالك، وحتم على منعهم لما طلبوا بقوله: فرض علينا الجهاد بالكتاب والسنة بأن لا نؤمن أعداء الله ولا نسالمهم إلا إذا قالوا لا إله إلا الله، فإن لم يقولوها فقتالهم لا فدية بنص الكتاب المكنون أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. فعارضته في ذلك أيده الله أمور اقتضتها المصلحة الإسلامية في الحال وأكدتها المنفعة العامة في المآل، فلم ير بدا أدامه الله بعد أن تأمل وتدبر الإجابة للمهادنة بما هو في نفوسهم إذ هي وأمر من تحملهم الشروط الشاذة المثبتة للكافر مذلته وخزيه، ولا شك أنها تقوم فيهم مقام الجزية، فأذعنوا لما أمروا به وتحملوه، وارتضوه لأنفسهم وقبلوه، وانعقدت المهادنة بين عدة من الأجناس على الحكم فيما عقد وأوثق

اسارى الكل على الوجه الشرعي والحكم المرعي مما يعود نفعه على الاسلام وينتج
المصلحة التامة في العاجل والآجل للخاص والعام اعظمها فكاك الاسارى
من المسلمين وانقاذهم من العذاب وجلب ما يستعان به على الجهاد من بارود
ومدافع وءالة الحرب من السفن من بلادهم ولا خفاء ان في ذلك فقرا لهم وفيه
مذلة لهم واغلاب لا الجنس الاحمر اصبح طلب المهادنة بمنع وطرد
وسعى جهده في التغرب فخيب وابعد وتتابعت على جنسه مهانة الكسر
والاسر وخفقت على المجاهدين في اخذه الوية الفتح والنصر وحيث حصل على
الياس مما طلب وتحقق الهلاك والعطب هيا عدة مراكب على الخذلان مقصورة
وقصد بها الثغور الاسلامية المؤيدة المنصورة رمى بمرسى سلا من الانفاض
والبنب ما ظن انه يحصل به على طايل فاجيب بضعف ذلك فلم يلبث الا والجبان
هاربة تقفوا اواخرها الاوايل وفر هاربا مهزوما ساقط الالوية مولولا مذموما
يعالج ما انصدع من اجفانه واعاد الكرة يطلب حتفه بيده ويسعى في مذلته
وهوانه ووثب على مرسى ثغر العرايش اذ علم بوجهة الكل من عسكره لقبض
الزكوة والاعشار ولم يدر ان في القليل مع ما وعد الله به عباده من النصر الوفر
والاكثار وافتحها بالبنب والمدافع وشحن القوارب العديدة بالشلظاظ
والفتيان مما يزيد على الثمانماية ظنا ان ليس لهم مقابل ولا مدافع وعبر
المرسى بقواربه المشحونة بعسكره قاصدا حرق مركب كان لخذلهم قبل
داخل الوادي فخلى المسلمون سبيلهم حيلة حتى توغلوا في الموضع الذي لا
يمكنهم الخروج منه وركب لقطعهم من الحواض والوادي وقطعوهم قطعة
لا يسعهم منها براز ولم يقبل المسلمون منهم الا ولا ذمة في ورد ولا اصدار
واستعملوا فيهم السيف فقتل وغرق واسر منهم عدة كثيرة فهم بين غريق
وقتيل واسير وبقيت بيد المسلمين من اجفانهم عدة مشحونة بالانفاض
والعدة ووقعت فيهم غزوة شهرتها كافية عن تكييفها واخبارها في بر العجم

والعرب

والعرب غنية عن تفضيحها وقد كساهم الله ثوب الذلة والهوان وملاء قلوبهم
رعبا وعمهم الجزع والخذلان وضاقت عليهم نفوسهم الخبيثة حتى صار الكل منهم
يبث لخبار الخزي في الاجناس ويشرح حديثه فيشمتون بهم ويهزؤون ويتهكمون
عليهم ولحديثهم يعبثون فلم يسعهم الا الاذعان وطلب الامن والامان
بحيث تؤمن مراكبهم مدة من سنة ليبلغ الكل منهم في المدة المذكورة مامنه
وتحملوا اشياء هي على غلبهم اقوى دليل شاهدة على ما هم فيه من الهوان
والمذلة والوبال والعويل فاجابهم لما طلبوه من الهوان عن محض الفضل
مولانا المؤيد المنصور فامنوا باعانه للاجل المذكور وشرع سيدنا ايده الله
في عمارة الثغور وتشييد ما هدم منها تتابع الازمنة والدهور وحصنها
بالعدد الكثير من المدافع والعدد والعدد حتى صارت ممنعة من العدو
ومحفوظة من عين حاسد اذا حسد ومن بركة مولانا الامام وفضله
وعظمته وعدله القاء الفزع من سفنه في قلوب المشركين وبقاء الجزع
من قراصينه الجهادية في احشاء اعداء الله الكافرين فجعل رمنها بعضهم
بعضا وينتكبونها ما امكنهم في البحر وطرفه طورا وعرضا على ان سفن
سيدنا الجهادية مقصور رجوعها على شهرين في السنة لاتصال المراسي
بالاودية فيتعذر الخروج منها قبل فتح الطمس بالازمنة الشتوية فهناك
تخرج وتعود لترسيتها الى القابل وقد استعمل الحكماء واهل الهندسة جهدهم
في تنظيف المراسي من الرمل المانع لخروج المراكب فلم يحصلوا على طائل
وصار العدو الكافر يترك البحر في الشهرين المعلومين ويسافر بقية السنة
لينال في ذهابه واياته مامنه ومراد سيدنا بالجهاد التضييق بالعدو ومحاربته
بالعشي والغدو بحيث لا يجد فسحة الامان على نفسه ولا يسعه الا الايمان
او الحلول برمسه فجعل اعزه الله يستعمل الفكر ويمعن النظر فيما يوصله
لهذا الامر المعتبر الى ان اداه اجتهاده لما استغام به جهاده واعانه

امراده لما فيه مراده ارشدته بصيرته المنورة وافادته سعادته السابقة
قبل ان خلقه الله وصوره لتشييد ثغر زاده في الاسلام وحمى به اقليم رعيته
من خلف وامام اسسه اعزه الله بازاء مرسى الصويرة التي لم يكن مثلها
فيما سبق ولا ابصر نظيرها في بر العجم والعرب حذق لها بابان شرقية وغربية
تسامر منها القراصين متى شاءت من غير ان تقتفي لطيف هواء ولا لمريه
وشحن ايده الله الجزيرتين الداهرتين بالمرسى كبرى وصغرى بالعدد الكثير
من المدافع وشيد برجا على صخرة داخل البحر احكامه لصنوف الهندسة
جامع في القاصد للمرسى لا يدخلها الا تحت رمي المدافع من البرج والجزيرة
فاذا جاوز المدافع وحصل المرسى فلا يمكنه الخروج منها الا بدليل له بها معرفة
وبصيرة فهي محصنة محفوظة وبعين الرعاية ملحوظة وقد شاع خبرها
في سائر الافاق واجمع الكل على تفضيلها وتقدمها على من سواها بالاستحقاق
وابداعها وانشائها تابع للجهاد وتوالى وفتحت ابوابه باذن من الله تعلى
فلله الحمد الاتم على ما تفضل به وانعم وقد بنا بهذا الثغر المبارك العدد
الكثير من التجار دورها حتى ضاق عليهم مع وسعه واسقط سيدنا ايده الله
عمن يتردد اليه او ياويه بقصد التجارة ما رتبته عليه السياسة مما يجب
عليه من الوضيف في جمعه وجرده فانقادت اليه التجار من جميع الاجناس
حيث تحقق الكل منهم بالحصول على ربحه ونفعه فهو في غاية العمارة ضامن
لمواليه بالبركة والربح في التجارة ولما ثبت لدى الاجناس الروم الهند
فما دونه ان المراد بهذا الثغر السعيد التضييق بالكبرة وغزو القريب
منهم والبعيد وقع في نفس طاغية الاصبنيول من ذلك ما وقع خيفة رداءة
ما آل اليه امر الجرانصيص الذي تكسر وانصدع ولم يزل يطلب المهادنة
على بعد بلاده وقبور اجناده ومع ذلك لم يجد شيئا وقد صار للمسلمين
غنيمة وفيئا فجعكو وقال الامزية اننا اولى بمصالحة المسلمين من الغير والمهادنة

بيننا

بيننا وبينهم ضامنة للكل خير فاسر ذلك في نفسه وجعل يفكر في يومه وامسه
كيف يقرع الباب وهل اذا خاطب يجاب وقد ضاق من ذلك صدرا وبقي
يقدم رجلا في اعلام قومه بذلك ويوخر اخرى ومكث مفكرا في امره حافظا
لسره واتفق له ان وردت عدة كتب من اسارى المسلمين منها ما هو مطلق
للعامة ومنها لبعض الطلبة وعلماء الدين الكل من بلاد الاصبنيولية واصلة
للحضرة العلية فقريت على مسامع سيدنا ومولانا الشريفة وتمكنت ضراعتهم
من سيادة سيدنا الجليلة المنيفة فلم يلبث اعزه الله ان وقد امر لهم
بصلة حسنة حسبما هي عادته الجميلة معهم في كل سنة وكتب في الحال لطاغية
الاصبنيول اما بعد فاقول انا في ديننا لا يسعنا اهمال الاسارى وابقاؤهم
في قيد الاسر ولا حجة للتغافل عنهم ممن ولاه الله تعلى التصرف والامر وفيما
نظن ان في دينكم لا يسوغ لكم ترك اساراكم في الاسر مع الامكان والاستطاعة
ووجود ما يفدون به من اسارى المسلمين واتساع البضاعة فما للتغافل
من الجهتين وجه يعتبر ولا امر ينتظر والحرب سجال في المبارزة والنزال
ومسئلة هي اعظم من هذا كله هي اغنى لكم عن البحث في اسارى المسلمين
حتى يتبين لكم العالم بعلمه والجاهل بجهله ثم تجعلون لاهل العلم حرمة
ومكانة وعزة وصيانة بحيث تجعل لهم علامة يميزون بها على الغير حتى لا يقع
احد فيهم بشتم ولا بهضم حرمته في مغانمهم والسير مثل ما نفعله نحن باساراكم
القرابلية ان قدر الله باسرهم لا نكلفهم بخدمة ولا نجبر لهم ذمة فعلى ما
تحترمون الروسا من الاسارى ولا تعتنون بحامل كتاب الله على انه افضل
منهم بدرجات عند الله ومطلق اساراكم لا نحملهم ما لا يطيقون ولا نلزمهم
ما ليس عليه يقدرون نترك مريضهم لمرضه ونسمع ضراعتهم وننصت لما يقولون
فتامل ذلك في نفسك واعمل بمقتضاه وامر به ابناء جنسك فلما وصله
الكتاب واستوعب ما تضمنه من الخطاب تيقن ان ما املى عليه وامر به حق

وصواب فلم يمكنه بعد ان تامل وامعن الا ان امتثل واذعن وبعث للحضرة العلية من
اسارى المسلمين على العور ونادى في قومه بالبحث عمن بقي من اسارى الايالة المولوية
في المدن والقرى والجبال والغور ولجاب بما فيه تلطف واستعطاف واقرار بتقصيره
في لسان الاسارى واعتراف وطلب الخروج الدخول في حرمة سيدنا ايده الله مثل من
تقدمه من الاجناس والزم نفسه الطاعة والخدمة في الحركة والانحباس وبث ذلك
في قومه وقرر لهم ما لم يصلوا لفهمه فانسوا بذلك وانشرحت له صدورهم وقد اشتاقوا
لما بعد الصلح قبل ان يتم فيه الامر اميرهم وصار يحدث عن اخبار المهادنة بعضهم بعضا
الى ان شاع ذلك بالبلاد الاصبنيولية طولا وعرضا ولما وصل الاسارى للحضرة العلية بالله
كتاب الطاغية مضمنه انه على الخدمة والطاعة لما يامره به مولانا المنصور بالله
وان من حضر لديه من اسارى المسلمين بعث به في الحال وسيلحق بهم من بقي من اخوانهم
من غير اهمال وان محبته ثابتة على اقوى اساس وانه احق بالخدمة ممن تقدمه من
الاجناس فاجاب سيدنا ايده الله جوابا مفدرا عن سؤاله فامعا للهو لجنس النفيسة
في الحال والمال اما ما تقتضيه المروءة والهمة العلية هو مقابلة الخير بمثله وان
كان وقوعه ممن ليس هو من اهله وهذا طاغية الاصبنيول قد كررنا في شان الاسارى
بتذكيره وعظناه فاتعظ واستبصر وظهرت منه علامة الايجاب لهذا الامر المعتبر
وفعل امرا غير معهود من جنسه من الاخلاص في الخدمة وبقلبه وقالبه في معناه
وحسمه فقد وجب تاثيره عمن تقدمه من الاجناس من المصالحين وتاكد تمييزه عن
جميعهم بمبادرة جائزة غير ممنوعة في الدين فامر اعزه الله بسراح جميع الا
سارى من جنس الاصبنيول في الحين وقدم للطاغية اثنين من البرابلية كانا في قيد
الاسر منذ سنين وبعث له بعدة من الاسود مواصلة نشات عن محض الكرم والجود
ولجمهم كتابه المنيف معربا بتسريح اساراهم اتم تعريف وامره ببعث المراكب
لحمل اساراهم اليه محبة من بعينه للاتيان بهم وابلاغهم لديه ووعده اعزه الله بسراح
جنس من غير جنسه لتكون له بذلك مزية بين الاجناس في يومه وامسه وقصره

بذلك ايده الله اظهار المنة على الطاغية والتنبيه على ان المسلم عنده اعزه الله
لحرمته فانه ونفسه سواء كان من ايالته المباركة او من ايالة الغير اذ المساواة
بين المسلمين في ديننا واجبة ومراعاتهم اكيدة في دفع الشر عنهم بحسب الامكان
وجلب ما فيه منفعة لهم وخير وقد اكتفى ادامه الله بالاشارة للطاغية عن
التصريح ثم الاشارة هنا في غاية التوضيح وبعث بالبرابلية والاسود والكتاب
للطاغية على يد حاكم سبتة اعادها الله دار اسلام وكان الطاغية وقومه
في غاية التشوف لما يرد من جواب مولانا الامام فكان ورود الجواب من سيدنا
على الطاغية اعظم عيد تسر به من جنسه القريب والبعيد وثبت قبول سيدنا
عليهم بالمهادنة عن محض الفضل والكرم واتصل بهم ما وعد به سيدنا اعزه الله
من تسريح جنس غير جنسه اذ ذكره المولى عليهم من قبله والحكم وعظمت
عليهم منة سيدنا العظيمة وملكت رقابهم لجانبه نصره الله للمهادنة الناشئة
عن مواهبه الجليلة الجسيمة فشمر عن الطاغية عن ساعد الجد وهيا هدية بالغ
فيها غاية الجهد وعين لحملها كبير البرابلية ولهد الفسيان واصحبهم كتابه طالبا
لقبول هديته والاعتراف بما تفضل به سيدنا عن جود وامتنان ووردت مراكبهم
لحمل اساراهم وركبوها وحملوا معهم الفرقة الموعودة بسراحها ما استصحبوها
ومن جملة ما طلب من سيدنا المنصور بالله ان يتفضل عليه ببعث احد
خدام حضرته العلية بالله ليطا بالنعل ارضه ويستوعب من اقليمه جملته وبعضه
لان وجود البعض من خدام سيدنا على بلاده ومرورهم بالمدن والقرى والفلوات
بين رعيته واجناده يعلم منه ويتحقق قبول سيدنا على هذا الجنس ولم يبق
لاحد في المهادنة شك ولا لبس بلطف سيدنا المنصور بالله لحيلته وقال
انما طلبه الطاغية من بعث احد خدامنا لبلاده هو منا على بال قبل ان القصد
منا لخالف لما قصد متباين لما ارتقب ورصد وانما اهتمامنا بذلك ما اوجبته
الرحمة باسارى المسلمين واكدته الشفقة على من هنالك من عباد الله المومنين

وفيه تصريح لما اشترناه للطاغية من ان المسلم عندنا واحد سواء كان من ايالتنا او
من ايالة الاباعد وان يتفقد من عينه لذلك احوال الاسارى ويختبر امورهم
ويستوعب حديثهم واخبارهم ويواسيهم بما انعمنا به عليهم ويونس وحشتهم
بالنظر اليهم والحلول لديهم وان يذكر جميعهم ويعظ جليلهم ووضيعهم
ويلقنهم ان الحياة مطية الممات والحياة الحقيقية الدائمة هي ما بعد الموت
ولا نعمة بعد الاسلام وانما الحياة اضغاث احلام حتى يستيقظوا من سنة
الغفلات ويتداركوا بموعظته اياهم ما مضى بما هو ات من المواظبة على ذكر
الله تعالى واداء الصلوات وان يحسنوا ظنهم به ولا ييأسوا من روح الله فان
انتظار الفرج عبادة والرضى بقضاء الله يعقبه العفو والحصول على الحسنى
والزيادة وان يحصي كل واحد باسمه ولقبه واسم رايسه ومركبه ويميز من هو
حامل كتاب الله تعالى من غيره وينزل كل واحد على قدره ويعد الاسارى
منا بخير وانا ان شاء الله لا نتركهم في ضيق ولا ندعهم في ضنك ولا ضير والاشياء
موقوفة الى اجلها ولكل اجل كتاب ويحضهم على الصبر فانما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب فاجاب ايده الله الطاغية لما طلب وبلغه من قصده
المومل والارب وعين لمواصلته عدة من الابل والعتاق من الخيل حيث حدث
سفراءه بماله في ذلك من المحبة والميل وقدم لهذا الامر المعتبر والغرض المحتم
بالعقل والنظر احد كتابه وخديم اعتابه وملازم ابوابه والمحافظ على اوامره ذهابه
وايابه رواية هذه الاخبار المرسومة ومقيدها عن الامر المولوي غير معتبر ما يتعلق
بها من الامور المقررة المعلومة غزال امداحه والمضاهي لنجباء مدائحه الخلوص
محبته وصدقه في خدمته ولما حان وقت التشييع ووصل ابان التوديع لقنه
ايده الله ما يكون عليه عمله فيما وجه اليه وامره بعمله وحفظ عليه منه ما تقدم
ذكره من حديث الاسارى حرفا حرفا وتقريره لديهم لفظا ومعنى نعتا ووصفا
ومنه ما هو مناسب للملاقات بالطاغية ومخاطبته بما يسوغ شرعا وتقتضيه

راوية

الطريقة

الطريقة الاسلامية قولا وفعلا جلبا ودفعا والاعتناء بامور الاسارى هو
المقدم والاكد والانفع وما عداه انما هو بحسب التبع وقد امر نصره الله
باحضار سفراء الطاغية وسالهم هل بقي لطاغيتهم من مطلبه باقية فاجابوا
ان سيدنا ادامه الله وفاهم باكثر مما طلبوه وامتن عليهم بما لم يقدروا على اداء
بعض البعض والكل [illegible] وامرهم ايده الله بالرفق بهم في طريقهم الى ان يصلوا
لطاغيتهم ويثبت امرهم عنده وان سيدنا ابقاه الله سرحهم مراعاة امرهم وعدم
الانتفاع بهم ولا فائدة في بقائهم في قيد الاسر بعد التعطيل المجرد عذابهم
ومن الواجب ان يسرح عليه من اسارى المسلمين من بلغ مبلغهم في الهرم والكبر
ولم يبق فيه فائدة تعتبر والمجازات منه والمكافات الرفق باسارى المسلمين
وان يراعيهم اتم المراعات وبعث بالجميع ايده الله مع خديمه المذكور وامره بمبا
شرتهم والرفق بهم في المسير الى ان يصلوا ابرهم في بر وبسط وسرور وتشييع
الخديم مع سيره وسنده وفي احشائه من مرارة التوديع ما لم يقدر على جلده
وبان عنه ودموعه تنذرف وفكرته عن مشاهدة سيده لا تميل ولا تنحرف وتصدى
لوداعه الشرفاء والطلبة والحكام الكل داع له بتعجيل الاوبة في عز واكرام والحصول
على كامل القصد ومنتهى المرام وقد سار نائبه الحال مصاحبين السلامة في نعم
وافرة وخير وكرامة قاصدين من مكناسة الزيتون ثغر طنجة بالامر المطاع مستعملين
الخطا لما امرنا به من الوجهة المسير بالقوم من غير ازعاج ولا اسراع فما عبرنا من
سيرنا نحو ليلة ويوم الا وهاجس طرق فكري لحال تبيين الجيش والقوم ورهدني
في حديث من سائره من القوم ذكرني ما امرت به من الجانب المولوي اسماه الله
من ان افيد في هذه الوجهة الميمونة ما سمعت ورايت ووعيت ودريت ولحظت
ما شاهدته من المدن والقرى واصف جميع ما ابصرته في الاقامة والسير فجعل الخديم
ذلك بين يدي عينيه واقام مقام الواجب عليه ولم يزل يتشوف لما امامه ليشتغل
في تقييد ما يشاهده بنانه واقلامه يستوعب من خبر البلاد الاصبنيولية بعضه

وجلة ويقتصر على ما شاهده في الاقامة والرحلة ولم يتعرض لما هو من طريق المورخين من حشو مولفاتهم بتكرار اخبار المتقدمين يعتمدون في ذلك على النقل ويأتون بما هو مستحيل وما يجوزه العقل ولا فائدة في الاتيان بما هو مقرر ومعلوم من الاخبار لحصوله الاعادة للاشيا بلفظها والتكرار وقد جاء بما شاهده بالعيان على قدر الاستطاعة والامكان واستفتح ما جمعه بما يجب ان يتلى ويذكر ويتضح الاعلام به وينشر من السبب الموجب لهذه الرحلة المحسنة من راويها حديثه ونقله اذ الاصل فيها ما نشا عن الجهاد ومدارها على توابعه في الجمع والافراد فجعل براعة استهلاله لما هو الاصل في نفس الامر وقدم السبب على المسبب في المقدمة حسبما يستحسن ذلك بشر ويسلمه زيد وعمر واي مقدمة ابرك واسعد واسمى واصعد مما اشتملت على ذكر الجهاد وفضله وانابة مولانا المؤيد بالله واهتمامه باهله فهو الباذل المجهود للمجاهد فيما يعود عليه بخير والكافل للاسير والمسرح بالامان في المغام والسير واما ما بعده من الاخبار فهو من جملة ما يتحدث به عن الاقاليم والامصار غير انه لم يكن عن نقل وانما هو مشاهد بالابصار وليس لا مفيده عن مطالعه القبول والرضى والنظر اليه بعين التجاوز والاغضا فان الكرام تلتمس الاعذار وتقيل العثار وتستر العيوب فيما تبديه وتخفيه والاناء يرشح بما فيه ولما حللنا طنجة ولم يتأت العبور اللحظة اذ امرنا بان يكون منها العبور والجواز ولا نقيم بها الا بقدر ما ترد علينا المراكب وتنقطع للجزيرات عن جور والجاز اتصل بحاكم سبتة خبر ورودنا طنجة في الحال فكتب يتلطف في الطلب والسؤال على ان نساعده في مراده ونساعفه في قصده وارادته وغاية مؤمله ان يكون الجواز على بلاده لما له في ذلكم من المزية عند طاغيته وظهور العايدة منه عند موليه في توليته فاجبناه ان لا سبيل الى ذلك حيث انا امرنا بالعبور من هنالك وحيث حصل على الياس مما طلب وتحقق عدم الحصول على الارب استعمل الحيلة وجعلها

لمطلب

لمطلبه اعظم وسيلة فامر رئيس المراكب الواردة علينا من قبله ان يظهر جزعا بعد ركوبنا في نفسه لهبوب رياح مخالفة لاملة وقد غلب عليه الجزع ولم يجد بدا من دخوله سبتة عن جبر وقهر ولم يزل بحريته تصعد بحبال المركب وتهوي وتنشر قلوعها وتطوي وهو فيما بينهم يامر وينهى ويحدث ويدوي وكانه يعاني امورا هائلة وطائفة في حركاتها مشفقة ذاهلة على ان البحر لم يحدث به ما يتجزع منها ولا تراكم امواج ينشا الجزع عنها وقد اعتقد في ستر حيلته على عدم معرفتنا باحوال البحر وامورها وما يحدث فيه من العوارض في ركوبه وعبوره وانما خشي علينا مما عسى ان يقع ولولا ترسيته بمرسى سبتة لانحل مركبه وانصدع فجازيناه خيرا وحمدنا الله تعالى على سلامة الجميع سرا وجهرا ونزهنا نفسي عن تكذيبه فيما ادعاه اذ لا فائدة في كشف ما ستر بعد الوقوع ولا مرية ان التغابي واجب عما فات تداركه في المندوب والممنوع والمراد من ملفق الحيلة في الوصول اليه والحلول ببلدته والورود عليه بذل مجهوده في اكرامه ايانا وان نشاهد من اكرامه ما يدل على محبة طاغيته عيانا لانه مامور من طاغيته بذلك وقد شاهدنا مصداق ما حدث به لما حللنا هنالك وهذا موجب دخولنا سبتة اعادها الله دار اسلام بتاريخ منتصف ذي الحجة الحرام عام تسعة وسبعين ومائة والف من هجرته عليه الصلاة والسلام

الخبر عن مدينة سبتة

لما قربنا منها اطلقوا مجملا من المدافع العدد الكثير وامر باخراج الفلايك المفروشة بالقماش المرقوم وشحنها بالفتيان واعيان قومه وقصدت المركب الذي نحن فيه والكل معلن بالترحيب لفظا واشارة فما كان من الاشارة نزع الشمار يرمع عكس رؤوسهم امامنا وما هو باللفظ الاعلان بنصر سيدنا ايده الله ولم يعرفوا من العربية غيره وحيث قربنا من المرسى الذي هنالك سمعنا ضجيجا بالمدينة فاذا باسوار المدينة وسطوح الديار مملوءة نساء ورجالا

وصبيانا واصواتهم مرتفعة ولم نفقه ما يقولون وقد برز لملاقاتنا بساحل
البحر خلق كثير فسيانا وشلظاظا وغيرهما من مطلق الناس مصاحبين لآلة
الطرب ولما اختلطنا بالقوم كشف الغيب ان الضجيج الذي كنا نسمعه
على بعد الاعلان بنصر سيدنا ايده الله وذهبنا في ازقة المدينة في ازدحام
عظيم والشلظاظ والفسيان يدفعون عنا ويردون القوم يمينا وشمالا
بالسيوف المصلتة ومع ذلك لم تزل القوم منكبة علينا محدقة بنا حتى
وصلنا الدار المعينة لنا للنزول وانما هي دار طاغيتهم ومحل ديوانهم الآن دار
متسعة ذات مقاعد وغرف ومنازه لها شراجيب مطلة على براح فيه سبعة
عشر بابا او اكثر هو محل متراد شلظاظهم في كل يوم وهذا الموضع
له شبه بزبالية مصر لاتساعه ولاحاطة المقاعد به والشراجيب والشبابك
المطلة عليه من الجهات الاربع في احد نواحيها دار الطاغية التي نحن فيها
وغيرها من ديار الفسيان والجهة المقابلة لها دار عريضة في غاية الطول
يسكنها الشلظاظ ومن الجهتين الاخريين كنايس عامرات منهم ديور
حاملة للنواقيس منها المسجد الذي كان للمسلمين ابقوا بابه على حاله
وصومعته مبنية على قوس الباب وجعل اعداء الله فيها ناقوسا وفي احد
وجوه الصومعة المقابل للقبلة اجرة مكتوب عليها بركة محمد صلى الله
عليه وسلم وبداخل الباب خط مشرقي من عمل الجبص متلاشي وفوقه خط
اخر محجور في اللوح في غاية الاتقان لم يحدث فيه تغيير مكتوب فيه النعمة
الشاملة والعظمة الكاملة والخط مستدير بالموضع الذي تدور فيه
الباب وعن يمين الداخل اقواس دائرة بالصحن سدت بالبنيان وهي الآن بيوت
يسكنها بعض ضعفاء العرابلية وبالصحن ساريتان من الرخام المرقوم بالنحت
وقد علاهما خط مشرقي ابلاه القدم وقد انطمس بعض مواضع الكتابة
ولم يبق الا لفظ امير المسلمين ابو سعيد بن احمد فقط وقد بنوا بازاء هذا

المسجد

المسجد كنيسة متصلة به ومدخلها واحد فعبرنا الكنيسة فاذا هي قدر
هي قرية متوسطة وفيها من العرابلية عدد كثير وقد استوعبنا بالعبور
جميعها منها محل مصلاهم المشتمل على تصاوير طلبانا وغيرهم وهناك من
المصابيح الذهبية والفضية والسناجق من الديباج والفرش والشليات
المموهة بالذهب شيء كثير وبحيطانها معلقة الواح عديدة مكتوبة فسالنا
عنها فاذا هي زمامات اشتملت على من افتدي من اسارهم من يد المسلمين
من اول الزمان واسماء الملوك من المسلمين المفتدي من ايديهم الكبرة واسماء
العرابلية المتوسطين في ذلك وقد شاهدنا مواضع داخل الكنيسة ما اظن
وصلها احد من المسلمين قبلنا هي مواضع دفنهم يسمونه بيت الموت فيه
عدة بيوت بعضها فوق بعض وقدر كل بيت ما يسع الميت مستلقيا او
على جنبه فهو كالقبور غير ان ابواب هذه البيوت من جهة الراس او الرجلين
وبيانها انه من وضع صندوق فوق صندوق مفتوح احد الطرفين فاذا مات
احدهم حشروه فيه واغلقوا عليه بالبنيان وكتبوا عليه اسمه وصوروا فوقه
صورة آدمي تلاشى لحمه ولم يبق الا العظم وسموا الصورة بالموت وانفصلنا
حامدين الله على نعمة الاسلام التي لا نعمة بعدها ولما جن الليل من يومنا سمعنا
اصواتا مرتفعة وضجيجا بالبراح الذي بازاء الدار المسمى عندهم بالبلاصة ففتحنا
الشراجيب لنرى ما هنالك فاذا جماعة من النصارى عليهم ثياب سود وبايديهم
فنارات مرفوعة على عصي وامامهم رفعة كتان قدرها اربعة اذرع طولا
وعرضا مشبوحة بين عصي وفيها تصويرة بالرقم حاملها اثنان فمارهم ذاهبين
امام القوم وهم يقرؤون ويتضرعون فسالنا عن ذلك فاذا بالنصارى هم طلبة
البلاد والتصويرة فيما يزعمون السيدة مريم وحملهم اياها ليلا ومرورهم
بها بازقة المدينة فيها كفارة الذنوب الصادرة من اهل المدينة في يومهم
ولهم على ذلك الخراج له بالعلند كيفية تسراد الشلظاظ في كل غدوة

بالبلاصة المذكورة على ما شهدنا له عيانا فان نداءهم للتسراد ضرب النوافيس مضرب
مخصوص فيه علامة الجمع ثم نداء ثان وهو ضرب الطبور وقد رما بين النداءين
ثلاثة ادرج ثم يذهب اصحاب الطبور من البلاصة الى الدار التي بها الشلطاظ
وهم يضربون ليا توا امامهم لمحل تسرادهم ومبلغ العسكر الذي يسرد كل يوم
خمسماية تظل في عشيتها وتمسي ومن الغد تسرد خمسماية اخرى ثم تذهب
للعسة وتسرح الخمسماية الاولى كلما ظلت الخمسماية واستبع عشيتها
تبتدي من الغد عثلها وتقدمهم التسراد على حالة هي من العجب بحيث ياتي الشلطاظ
في اثر اصحاب الطبور على ثلاثة صفوف كل صف فيه ستة رجال ثم ثلاثة صفوف
اخر مثل الاول ثم مثل الثاني وهكذا الى تمام الخمسماية وقد رما بين الصفوف
من الوسع والصفوف السابعة لها قدر ما اخذ وانصبهم من الارض على وتج خابط
وقيس به ما اخذت اشباح الصفوف وما تركت من الوسع الفاصل بينهما
وبين السابعة لها الوجد تماما ولعله لا يزيد القدر المعمور على الفارغ قدر اصبع
وذلك مما يتعجب منه والموكل بتسرادهم امامهم على وسد اذا امر يتحريك عدتهم
او ما يتعلق بامور التسراد من تقديم او تاخير اجابوه اجابة رجل واحد وللمدينة
ثلاثة اسوار اثنان داخل القنطرة المضروبة على رجل البحر المحدق بالمدينة
والثالث خارج القنطرة والباب الذي هو متصل بالقنطرة هو اكبر الابواب
داخله قنطرة من اللوح مثل القنطرة الخارجة عنه مرتفعة فاذا نزلت
للارض من داخل الباب بما لها من الحركات ارتفعت القنطرة الخارجة عن الباب
فهما ككفتي الميزان فاذا جن الليل وسد الباب يرفعون القنطرة الخارجة
بنزول الاخرى داخل الباب زيادة في التحصين ولهذه الاسوار ابراج كالشواهق
ومن خارج السور حفيران وارشاق واغربات ومخادع يمرون اليها من باطن
الارض وابوابها داخل المدينة وبعد ابواب المدينة اثر كرة خرقت الباب واصلها
من رمي المسلمين على عهد مولانا اسماعيل رحمه الله ابقوها على حالها على انهم

اذا احدث

11

اذا احدث لهم شيء في السور او باب بادروا لاصلاحه واثر هذه الكرة تركوه واجمعوا
على بقائه تذكرة لهم وسموا الباب باب الكرة وما زالوا يتحدثون بها وكل من ولد له
ولد وعقل يذهب بمولده للباب ويلقنه ان الثقب الذي بالباب هو رمي المسلمين
ليربي على عداوة الاسلام ومن ذلك الزمان تجدد وضع العسة والحراسة الى الان
ومما يتعجب منه ان العسة داخل ابواب المدينة وخارجها اينا مونوا ايقاروهم
عدتهم فيما هم فيه من الحصن خوفا من الاسلام اما العسة خارج المدينة في الغراب
والارشاق والسور الموالي للبر فايدته ونتيجته بينة ظاهرة واي فايدة
للعساس داخل الابواب الموالية للمدينة والابواب مغلقة امامه وخلفه
وبيته على فرمه وبيده على زناد مكحلته متهيئ لاخراجها جهزا وانه دليل
على ما هم فيه من الجزع والفزع فقد قذف الله في قلوبهم الرعب والبسهم ثوب
الروع والخذلان ومن علة ما رايت من الخوف خوفهم من الاسلام انهم اجبلين
رفيقين من اعلى سور باب المدينة الى البرج المقابل له من خارج وجعلوا في الحبلين
ربيعة صغيرة جدا للستر في ذلك اذا احدث امر خارج الباب ليلا يكتب به صاحب
العسة المعين لذلك ويجعل الكتاب داخل الربيعة فيجبد بها اليه العساس
داخل الباب ويذهب بالكتب لحاكم البلاد في اي وقت كان من الليل فيجيب
بما يظهر له في الوقت ولا يؤخر الامر المحدث الى الغد خشية التجويب
وديار المدينة صاعدات في الجو لها مقاعد استوعبها شراجيب مطلة
على الازقة ونساؤهم ملازمون للشراجيب يسلمون على الذاهب والايب ورجالهن
في غاية الادب معهن وللنسوة رغبة وغبطة في الحديث والمنادمة مع غير
ازواجهن في الجماعة والخلوة ولا حجر عليهن في ذهابهن حيث شئن وقد ياتي
النصراني داره فيجد امراته او بنته او اخته مع نصراني اجنبي يتحدثون وبعضهم
متكئ على بعض فينشرح لذلك ويرى الجميل للنصراني المنادم لزوجته او غيرها
من محارمه على فيل والذي يؤدي ذلك ما شهدنا به من عيانهم حيث حللنا

مع

بلادهم من استيفائهم على دخول نسائهم علينا بقصد السلام وذلك عندهم من
الأمر الأكيد المحتم فلم يسعنا إلا الإيجاب فدخل علينا عشرة منهن وجلسن على
الشليات وقد تزين ولبسن أحسن الثياب وما زال الترجمان يترجم على لسانهن
بالسلام والترحيب فترد عليهم بما لا بد منه وجعل الأزواج كل واحد يعرف
بامرأته وبنته وأخته إن كانت ولا يحمل وجهه إلا إذا استحسنت زوجته
أو بنته ومن الغد طلب منا الحاكم الوصول للدار وأتى بالكدش فركبناها
وذهبنا إليه بطريق طويلة عريضة جدا البعد ما من المحل الذي نزلنا به وعن
يمين المار أشجار مصطفات لا ثمار لها وإنما جعلوها للظل وعن اليسار سور
متصل بالبحر حامل لعدد من المدافع ولما وصلنا دار الحاكم تلقانا بالرحب
والسعة وبالغ في الإكرام وظهور البشاشة وجعل يحدث عن أمور كانت في
نفسه وقد أحسن العبارة حتى أداها بلطافة فأجيب عن جميعها بالمعقول
فأذعن وامتثل ولا مزية أن لسان المرء دليل على عقله وهذا القائد رجل مسن
جدا وعقله ثابت في أمور دنياه وله تدبير فيما هو مكلف به وحيث
انصرفنا عنه رجعنا من غير طريقنا اختلاسا من القوم المنتظرين أو بتنا
بالطريق الأولى فقد عثرنا على باب في غاية العلو والضخامة محمول قوسها
على أربعة سواري من المرمر وبين كل ساريتين صورة آدمي واقف على قدميه
من الحجر فإذا هو باب الاسبيطال الذي تعالج فيه مرضاهم وغرباؤهم فإذا فيه
عدة بيوت مستديرة بصحن وبالصحن أشجار عديدة إذ كان في غاية الطول
والعرض والبيوت منها ما هو معمور بالأدوية معاجن وأشربة وأدهان
وأوعية الأدوية محمولة على مرافع من الأرض إلى السقف وبيوت أخر مملوءة
بالأعشاب ثم بيوت يسكنها القيمون بعون المرضى من النبخ والطبخ والمباشرون
لهم في جميع أمورهم وباقي البيوت بالطبقة السفلى هي خاصة بالمرضى من
أهل البلد والعيادبانة وبالطبقة العليا مقاصد ممتدة نافذ بعضها

لبعض

لبعض على الجهات الأربع وقد استوعبها أسرة حاملة للمرضى كل سرير
بينه وبين الذي بجنبه قدر ما يمر المباشر لهم وكذا المقابل له في كل مقعد من
الأربعة وفراشهم مطربة ووسادة وما يتغطى به ولباسهم الذي كان حال الصحة
مؤمن عند القيم ولباس العلاج معين من الأوقاف يلبسونه عند دخولهم الاسبيطال
فإذا عوفي المشتكي يلبس ثوبه المؤمن وينزع ثوب العلاج فينقى ويدخر لغيره
والاسبيطال لا ماء به فهو كغيره من ديار المدينة وليس هناك إلا الآبار وقد
شاهدنا داخل أحد أبواب المدينة ماء يأتي من ناحية رباط المسلمين وليس بها ماء
جار غيره على ضعفه وقلته وعن يسار القبلة جبل مطل على البحر قريب من سور
المدينة جدا بنوا به دارا وجعلوا بها قصبة لارتفاعها وشيد تحت الدار سورا
في غاية الطول وسموا هذا الموضع بالقصبة وعن يسار هذه القصبة ربوة
بنوا بها أيضا دارا هي معدة عندهم للنزهة وبها كنيسة صغيرة يذهب
إليها فقهاؤهم كل يوم لعلهم يصلون بها ومدة إقامتنا بالمدينة ستة
أيام وكنا في أيام الإقامة نتعاهد الأماكن التي بها المجاهدون المرابطون
على المدينة تبركا بها فنخرج من الباب المقابلة للمرابطين التي بها الخمسمائة
من السلطان فنجدهم واقفين على قدم في عستهم والمسلمون في مقابلتهم
بنحو الأربعين نسمة وقد زاحمهم المسلمون في البرج حتى إن بينهم وبين سور
المدينة قدر الرمي بالحجارة فانظر عزة الإسلام وهيبة الله تعالى التي ألقاها
على عباده المؤمنين حتى إن حاكم سبتة طلب منا أن نتكلم مع المجاهدين أن يتركوا
رعاة ماشيتهم يسرحون قرب موضع رباطهم بقليل وقد اشتكى من التضييق
به في الرعي فتكلمنا مع المجاهدين في ذلك فحصل منهم الإيجاب رعيا للحكمة
ورحمة بها لقوله صلى الله عليه وسلم إن في كل ذي كبد رطبة حسنة أو أجر وكما
قال عليه الصلاة والسلام وفي الأحد والعشرين من ذي الحجة من عام تاريخه
ركبنا من مرسى سبتة قاصدين الجزيرات وقد حضر لتشييعنا خلق كثير خاصة

وعامة ولم يخرجوا من المواضع ما احرجوه عند الملاقات واخذ نايب العبور في عبورنا
عن المرسى بقليل الا وهبت رياح غير موافقة لعبورنا نشات عنها براتن عظيمة
حتى ايسنا الحيوة وتحققنا الغرق ومكثنا على هذه الحالة التي يشيب لها الرضيع
من تقلب الجفن ودخول الماء عليه من الجهتين ما يزيد على ثمان ساعات والمسافة
المعلومة المعبورة التي بين سبتة والجزيرات مسافتان فقط وقد جعت بنا
الالطاف من الله تعالى وحضرة معنا بركة مولانا المنصور بالله وصلنا على النجاة والحمد لله

الخبر عن مدينة الجزيرات

لما رسينا بمرساها برز لملاقاتنا بشط البحر خلق كثير واطلقوا عدة من
المدافع وبعث حاكم البلاد عدة جلايك بعد ان زينها بانواع الديباج وركب
فيها اعيان قومه فتلقونا بالرحب والسعة وقد اقتفوا اثر صاحب سبتة
في البشاشة والاكرام ونزلنا بدار هي من خيار دار المدينة وحاكمها شاهدنا
من ميله للمسلمين ما لم يكن في غيره وكذلك قاضيهم واعيان العرابلية ولم يبق
احد منهم تقصير وما زال القوم يترددون علينا الى الليل من يومنا فتهيانا
للنوم ظنا منا انهم يؤخرون زيارتنا الى الغد لاقبال الليل وادبار النهار فلم
نشعر الا والقاضي والحاكم واعيان الفسيان قد اقبلوا علينا بعد العشاء مبالغين
بالترحيب والسؤال عن الحال وهل استرحنا من الميد الذي الم بنا من براتن البحر
الى غير ذلك من السؤال الذي فيه ثقل على النفس في الوقت ولم نجد بدا من مباشرتهم
مع ما نحن فيه من التعب وبقايا بعد الميد ولخراب المزاج ثم قال الحاكم وشاركه
القاضي في قوله ان ورودنا عليكم الان لامرين الاول لتعهدكم واختبار احوالكم
بحيث اذا عرضت لكم حاجة نفوز بقضايها الثاني الاستيذان على دخول نساينا
وبناتنا ليسلمن عليكم مع نسوة جين من سركي من اعيان نساء الفسيان بقصد
رؤيتكم والسلام عليكم ولا يدخلن الا ان اذنتم لهن وهن بالباب ينتظرون
ما تامرون به فكان جوابنا ان قلنا لهم نحن ضيوف عندكم ليس لنا امر في شيء

فما رايتموه

فما رايتموه صوابا وهو عادة عندكم لا نجبركم على تركه ولا علينا فيه ثقل فانشرحوا
من جوابنا غاية ونهض بعض الفسيان يناديهن فدخلن بعدد كثير نساء
وابكارا ومن دونهن في السن الجل في غاية الحسن وقد لبسن احسن من الثياب
وجلسن على الشليات وقد بالغوا في الترحيب بنا اكثر من رجالهن على لسان
الترجمان وجعل كل يعرف بزوجته وبنته القاضي والحاكم فمن دونهما وقال لي
اي امراة في النسوة الحاضرات ترضيك ومن فيهن احسن واجمل من الاخرى
وقصده بالسؤال المباسطة والمداعبة فاجبت بما فيه جبر خواطر الحاضرين
من النساء والرجال بقولي ان هذا المجلس هو بستان والنسوة التي به اصناف
النوار وللناس فيما يعشقون مذاهب فاستحسنوا الجواب وفرحت بذلك
النسوة وانشرح ازواجهن حيث لم يحصل تفضيل لاحداهن على الاخرى ثم اشار
القاضي الى ثلاث بنات مراهقات في اجمل صورة ان ينشدن باصواتهن ارق
من الرباب ما سمعت مثلهن قط وقام كل من بالمنزل من النسوة يرقص
وكيفية رقصهن كل ذكر مع انثى دايران في المحل والنسوة يدخلن ويخرجن
بين الرجال في الدايرة احيانا ثم يرجعن في مقابلة الرجال فياخذ كل واحد
منهما بيد صاحبه ثم يفترقان ويتاخر الرجل عن المراة القهقرى ثم يقصدها
ايضا وتقصده حتى يجتمعا على الصفة وهكذا يفعل كل ذكر مع انثى المعينة للرقص
معه وحين تعين الانصراف قال القاضي والحاكم والجماعة هذه الفرجة والنزهة
تعظيما لكم وفرحا بهذا الصلح الذي تفضل به علينا سلطانكم وامتن به على
سلطاننا نسال الله تعالى ان يجعله دايما وانصرفوا عنا ونحن نحمد الله تعالى على
نظافة ديننا وطهارته **ولنذكر** صفة المدينة وما اشتملت عليه
من الاشياء بناءات وغيرها فنقول باختصار المدينة فسيحة الشوارع متسعة
المسالك مرصفة الازقة ديارها متقنة في البنيان غير انه غير شاهق وسطوح
الديار لم تكن منبسطة مسقف جميعها بالقرمود ولم تكن بها دار شاهقة الا ديار

الديار البرابلية والدور الحاملة للنوافير والمدينة لا سور لها ومن ناحية
غربها واد قريب منها جدا مضروب عليه مجاز متوسط وبازائه ارحاء ولجنة
وبجاير والماء بالمدينة والابار وشرابهم من الوادي لعزبه وجودته وعن يمين
مرساها داخل البحر جزيرة صغيرة شيدوا بها بيوتا للعسة هي مقابلة لجبل
طارق وعن يسارها مدينة سوكي في وسط المسافة التي بين الجزيرات وجبل
طارق وبحسب مرأى العين ان المدن المذكورة قريب بعضها من بعض جدا ومن
غداة وصلنا للجزيرات ورد على حاكمها كتاب طاغيته مخبرا انه بعث خمسة
مراكب لمرسى سبتة لملاقاتنا بها لنعبر عليها البوغاز واذا قطعنا قبل ان
تصل مراكبه امره باقامتنا عنده ثلاثة ايام في انتظار الخيل المبعوثة من عنده
في البر للملاقات واذا فاتت ثلاثة ايام ولم تصل الخيل فليبعث معنا من خيله
ثلاثين فارسا تصحبنا في طريقنا والبلاد الذي تتلقانا فيها خيله يكون منها
رجوعهم لموضعهم فرتب معنا صاحب الجزيرات من خيله ما امره به طاغيته
بعد الاقامة المامور بها وسافرنا مصاحبين السلامة قاصدين مدينة طريفة
عبرنا اليها على اثني عشر ميلا بين جبال صعبة ذات اشجار وخنادق لها
شبه بالجبال الموموسية واشجارها البلوط والشيت والدالم والصعطاف
كلها في غاية العلو والغلظ ولم يكن مثلها بالبلاد الاصبنيولية على ما قيل

الخبر عن مدينة طريفة

وهي مدينة مشيدة على شط البحر لها سور من عمل المسلمين رحمهم الله وبازاء
جانبها من الاجنة ما لا يأتي عليه الحصر جلها اشجار العنب وقد برز لملاقاتنا
خلق كثير شلظاظا وصبيانا وعامة القوم وفعلوا ما فعله من قبلهم من
اخراج المدافع من الحارق وقد حال الازدحام من القوم بيننا وبين المدينة
ولم نال الجهد الخيل المصاحبة لنا مع ما اضيف لها من خيل المدينة في مدافعة
الناس عنا بالسيوف ولم تجد شيئا ودخلنا المدينة في ازدحام عظيم ونزلنا

بدار

بدار فسيحة البناء محكمة البناء ذات مقاعد وغرف وديار المدينة
غير بعيدة من ديار الجزيرات وقد شق المدينة نهر غير جار في الوقت وفي
بعض مجراه ماء راكد منتن وعلى الوادي عدة قناطر يعبر عليها لها شبه
بقناطر فم كتامة وفي عشية يومنا جاء الحاكم والعرابلي المصاحب لنا
لنذهب معهما للقصبة التي هناك من عمل المسلمين وقد كنت سألت عن
ذلك قبل فمررت بازقة ضيقة بقيت هذه الازقة والديار بعينها وشكلها هي من
عمل المسلمين لم يحدث فيها تغيير ولما وصلنا القصبة وجدناها باقية على
ما تركها المسلمون رحمهم الله من الابراج ثمانية عشر وقد ارتفع السور
والابراج عشر قامات وفيما بين البرج والذي يليه نفس السور اجر مزدوج
مرفوع لمعانه عند مقابلته للشمس كالمرآت وقدر مساحة الزليج المذكور
اربعة اذرع طولا وعرضا وبناء هذه القصبة من الحجر المنجور الشبيه بالرخام
وباعلى بابها رخامة مكتوب عليها بخط كوفي بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وسلم امر عبد الله عبد الرحمن الداخل امير المومنين وما
بعده محو وقد مرت صقالة من القصبة المذكورة لناحية البحر بنحو ستين
خطوة تنتهي الى برج في غاية الطول والعرض به خمسة مدافع احدها من
النحاس مصور عليه ابعاض اثني عشر واربعة من الحديد من اربعة وعشرين
كلها للمسلمين وفي مقابلة هذا البرج جزيرة في وسطها برج من عمل النصارى
واعتنت فيه الان وقدر ما بين الجزيرة والبر ما يجوز فيه الشعن وعرض العين
قريب جدا بحيث يتكلم الرجل مع صاحبه من البر ويجيبه من الجزيرة وقد
اشتكى اهل المدينة على طاغيتهم ضيق البلاد عنهم لكثرة من بها من الخلق فامرهم
بالبنيان وقد خطوا بازاء المدينة ديارا عديدة فهم مجتهدون في تشييدها
ليلا ونهارا والمدينة لها بابان برية وبحرية وبها من الهواء الفاسد والعياذ
بالله والوخم ما اشتكى بسببه الكثير منا ساعة حللناها ولما جن الليل هبت

رياح بنتن ماء واديها ضاقت منها نفوسنا وكادت ارواحنا ان تذهب وانفقت
الخدمة والاصحاب والزمتهم ان يتهيئوا للسفر قبل الفجر من ليلتهم وبعثت
للعرايشي المصاحب لنا ومن معه ان يتاهبوا للسير وازعجتهم للنهوض فجاء
العرايشي يطلب التثبط والمهلة وتعلل بان رواحنا لم يكن لمدينة او لموضع
مناسب للمبيت وان اهل المدينة يتاملون ويتدبرون واين يكون مبيتنا
لا طريقنا على مدينة مدينة وبينهما وبين طريقة مسيرة يوم ونصف
اليوم لا يمكن الوصول اليها من يومنا فقدمنا الرامة قبل الشروق واجمع
اهل المدينة حاكمها وقاضيها ومن معهما من الاعيان على ان يكون مبيتنا بدار هي
معدة لنزول الاكابر والاعيان ممن ياتي من مدينة مدينة او الذاهب اليها على
ان لها انحرافا عن الجادة وليس بكثير فركبنا بين الظهرين وقد خرج لتشييعنا
من الخلق اكثر ممن برز للملاقات وانصرفنا عنهم في عز وكرامة وقد استعملنا
السير بقية يومنا وطرفا من الليل ولحقنا الدار التي بها مبيتنا عن اثني عشر
ميلا ومن الغد شرعنا في السير في ارض حسنة النبات جيدة التربة مفتحة
النوار في غاية الخصب وماشيتهم منها ما هو اسود محض ومنها ما هو مثل
ماشيتنا غير ان كل نوع من النوعين يسرح على حدته وقد عثرنا على العدد
الكثير من الخنزير يسرح مثل الغنم على غير ما هو معهود من فعله من النفور
والجرأة وقد شاهدنا بهذه المسافة من المدن والمداشر وبيوت الفلاحة و
اهل الحراثة عينا وشمالا شيئا كثيرا

الخبر عن مدينة مدينة

وهي مدينة مشيدة على قنة جبل والارجاء المستديرة بالجبل في غاية البسط
على الجهات الاربع وقد استوعبها الجنة واغراس مما يلي الجبل والخارج عنها
زياتين وارض حراثة حللناها بين الظهرين على اثني عشر ميلا من الدار التي
كان بها مبيتنا في يوم شديد الحر واول من لقينا على بعد منها بنحو مسافة

الخيل

الخيل المبعوثة من الطاغية لملاقاتنا وقد اضيف لها من خيل المدينة عدد كثير
واجتمع من الخلق ما ضاقت عنهم الارض خاصة وعامة مجتمعة من المدن والقرى
القريبة من المدينة فالصور وغيرها نساء ورجالا وصبيانا كانهم الجراد المنتشر
وصعدنا المدينة في ازدحام عظيم بطريق صعبة ضيقة مرصفة بالحجر والطريق
لها شبه في الصعود بالصعود لمدينة تازة بل هي امنع واصعب وقد اخذ بنا
العطش لكثافة الصعود ما يزيد على الساعة لازدحام القوم وانتظار عبور من
تقدمنا لضيق الطريق وامتدادها ولما انتهينا الى الدار المعينة لنزولنا بها
ما يتعجب منه من اتقان البنيان وارتفاعه وتعدد الغرف والمقاعد وتزيينها
بانواع الديباج والستور المرقومة بالذهب والفرش المنتخبة بمقاعد النوم هي
غير المقاعد المعدة للجمع والملاقات بالقدوم الى غير ذلك مما يدل على رفاهية
اهلها وحضارتهم ولما استقر بنا المجلس وانصرف عنا القوم اقام البسيات
المبعوث من طاغيته عددا من الشلاظ الواردين بصحبته بباب الدار يمنعون
من اراد الدخول علينا الا بعد الاستيذان واظهر من الادب واستثال والمباشرة
شيئا يتعجب منه وحدث عن عظيمه انه متشوف ومتشوق للقائنا وقد
امره ان يكون عند امرنا وهو يطلب منا ان نسامحه في التقصير لانه لا يقدر ان
يؤدي ما امره به طاغيته او غير ذلك مما في معناه واجبناه بما يناسب في الوقت
ومن جملة ما اخبر به من طاغيته امره ان يقيم بنا في كل مدينة مدينة ثلاثة
ايام للاستراحة وعين له المدن التي يكون المرور عليها وان يسير بنا الى الاخشية
الخ وكتب للمدن المعينة منه ان يبذلوا المجهود في الاكرام والبرور وقد شاع
ذلك بالبلاد الاصبنيولية وجعلت الجموع منهم تتعرض لنا وتسافر من المدن
البعيدة قاصدين المدن التي نمر عليها ويتقدمون لها قبل وصولنا اياها
وهكذا في كل مدينة مدينة ولم يزل البسيات واقفا على قدم في المباشرة والتعظيم
كوقوفه بين يدي طاغيته ولا شك انه مختار عند مرسله لسياسته وادبه

وقد بعث في الحين لأهل الموسيقى وأحضر أعيان البلاد الحاكم والقاضي وغيرهما
وأوقدوا من الشمع العدد المذكور الكثير فما شعرنا إلا ودخل علينا من النسوة
والبنات ما يقرب من المائة وقد أخذن نصيبهن من الحسن وفيما يغلب
على الظن أنهن منتخبات من بنات المدينة منهن زوجة الحاكم وغيرها من
الأعيان وقد لبسن ما حسن من الثياب وجلسن على الشليات وصاحب الطاغية
الذي ظنناه صاحب عقل وتمييز ومختار عند عظيمه واقف على قدم يجلس
كل واحدة من النسوة والبنات بالموضع المناسب لها على قدر مراتبهن
ويأتي بنحو العشرة يسلمن علينا على لسان الترجمان ثم يأتي بعشرة أخرى
وهكذا حتى أتى على آخرهن ثم أقبل علينا يطلب منا الإذن في رقصهن
فأجبناه لذلك فقمن يرقصن على عاداتهن كل ذكر مع أنثى فلم نلبث إلا وهو
أخذ بيد شابة من حسانهن وجعل يرقص معها فتعجبنا من فعله مع ما
ظهر لنا من ثباته ودهائه وأنه مبعوث من طاغيته لأصحاب سلطان الإسلام
يجب عليه أن يفعل ما تطول به رقبة مرسله إلى غير ذلك من الأمور الواجبة
عليه مراعاتها تهافتا وفعلا وعند شفاء غليله في الرقص وقف بين أيدينا
متأدبا وقد نزع الشمرير وعكس رأسه أمامنا بمكانه أدى واجبا يجب له
المجازات عليه فاستحسنا فعله وجازيناه خيرا ورمى بالشمرير ثم
أخذ بيد شابة غير الأولى وأخذ في الرقص معها حيث شكرناه وكلما
أراد الرقص مع غير التي رقصت معه يجدد الاستئذان ويعيد العمل إكراما
لنا وجبرا للخاطر ولا يسعنا إلا المجازات له بالخير ويكشف الغيب أن الرقص
عندهم من كمال المروءة وأداء الواجب عليهم في إكرام الضيوف من ذوي الأقدار
ومكثوا على ذلك إلى أن قرب الفجر وذهب كل لحال سبيله والدار التي نزلنا
بها لها شراجيب مطلة على بلاصة المدينة التي هي محل جمعهم للعب ولم
تكن بالمدينة بلاصة غيرها والبلاصة كناية عن براح متسع يسع الألوف

من الخلق

من الخلق والديار مشيدة من أربع طبقات بالبراح المذكور وخارج شراجيب
الديار صفالات محمولة على بروز كصفالات السور يتصل بعضها ببعض على
على الاستدارة لاستواء البنيان في الطبقات الأربع ولهذه الصفالات درابز
في غاية الإتقان حافظة من سقوط الجالس عليها حال الفرجة لازدحام القوم
ومن الغد اجتمع بهذه البلاصة خلق كثير قد ستروا الأرض بنشرهم
على بسيطها كما ستر سورها أجسام النسوة التي استوعبها الصفالات
الأربع بالجلوس جنب هذه لهذه على شليات مكتسية بالديباج والنسوة
في حلل مختلفة الألوان محلات بأزرات وما يضاف لذلك من يواقيت ممنطقة
مجادون تلمع بلمعان الشمس كالمرآت ولأبواب الشراجيب التي يعبر منها
للصفالات ستور من الكمخة على ألوان بعضها من الوبر وبعضها من الديباج
وغير ذلك فالناظر للصفالة يشاهد ما يذهله من استيعاب الخلق للبلاصة
في قاعها والمبسوط وقد استعد لهذا الجمع واحتفلوا له بالبس
معهود منهم في لعبهم بالثيران قبل ذلك فرحا بنا وفرجة لنا ولهم في ذلك
غبطة واعتناء فهو من جملة أعيادهم في زمن مخصوص ولما كان عندهم
هذا اللعب بمنزلة أبيح لهم إعادته بعد فوات إبانه فرجة ونزهة
للوارد على بلدهم من الأكابر والأعيان والزمان الذي هو مقيد به هو إذا
دخل شهر مايه يحتفلون بالبلاصة في جميع المدن والقرى من البلاد الإصبنيولية
على قدر قدرهم في اليسار والاقتدار ثم يأتون بعدة فحول من الثيران
الشبيهة من الأسد في الجرأة والشراسة والحيلة التي يستعملونها في
اقتيادهم للبلاصة أنهم يقدمون أمامهم ثيرانا إناثا في أعناقها نواقيس
فتقتفي أثرها إلى موضع بجنب البلاصة هو بمثابة الأروى فإذا دخلوا به
تأخر الثيران ولا نسات ذات النواقيس وتترك الآخر بالمحل المذكور إلى
أن يخرج منها واحد بعد واحد للمبارزة وقبل خروجها بقليل عبر بالبلاصة

نحو الخمسين من الشلطاط واهل الطنبور ويضربون امامهم وفي ذلك علامة
على حصول الثيران والنداء على الفرسان المعينة للبراز فياخذ كل واحد موضعه
ومن ضاق عنه الموضع الذي يامن فيه على نفسه يخرج عن البلاصة ولا يترك
الشلطاط ببراح البلاصة الا الفرسان المقطوع بشجاعتهم وبايديهم مزارق
والقوم المجتمعون بارض البلاصة يتحفظون بسور من الخشب علوه ما يقرب
من قامة وبينه وبين سور الديار على الجهات الاربع عشر خطوات فاكثر
استوعبها مسطبات بعضها فوق بعض مدرجة من عود الخشب يجلسون
عليها امنين وهذه المسطبات تسع العدد الكثير من الخلق ويتصل عن
اعلاها عن الطبقة الاولى من الصفالة التي تلي الارض وفي ترتيب جلوس
هذه الخلق الكثير على التدريج من بسط الارض الى منتهى علو الديار ما يتعجب
منه الغرابة صنيعه كيف وقد سترت اعتباهم اسوار الديار القائمة
المحيطة بالبلاصة مع قرب من بسيط جداراتها وكيفية مبارزتهم مع الثيران
ان يفتح باب الموضع الذي به الثيران الا بحيلة فيخرج المولد منها كانه
اسد ويغلق الباب في وجه المقتفي اثره في الخروج فيكر الثور على الفارس
تارة ويفر منه تارة وتقع بينهما المحاربة الشديدة الباس وكلما وثب
الثور على الفارس فيقنعه بالمزراق الذي بيده فاذا اتحال عليه فيشغله
عنه فارس اخر يطلب مبارزته من خلفه واما مه فيسلمه الثور ويقبل على
مبارزة الثاني فاذا وثب عليه وزاحمه يطلب مبارزة الاول فيترك
الثاني ويعود الى الاول وهكذا فاذا ضعفت قوته تتاخر عنه الفرسان
وتتقدم اليه عدة نصارى راجلين وبايديهم حراب طولها قدر ذراع اسنتها
على شكل السنارة يختلسون الثور ويمكنونها بالموضع الذي امكنهم منه
ظهره او جنبيه فاذا زاحمهم الثور يرمون بالشمريرا امامه فيقنع وتارة
يصول عليهم والمتصدي لقتله رجل واحد يطعنه بسيف تحت قرنه من جهة

دفنته

رفقته فيخر ميتا من حينه ويوتى بثلاثة بغال مزينة تجري عن جور ثم
يخرجون ثورا اخر يفعل به مثل الاول وهكذا ولما غشي الليل ذهب كل الحال
سبيله وقد استحسنا لعبهم جبرا لخواطرهم حيث سالنا عن ذلك والاعتقاد
خلافه فان تعذيب الحيوان لا يجوز بالشرع ولا بالطبع ولا عتنائهم بهذا
اللعب المذكور على الكيفية المذكورة بالمحل الموصوف صار من لم تكن له
دار متصلة بالبلاصة يبذل المال في كراء الدار المطلة على البلاصة ويجوز
منها مقعد الفرجة اهله واقاربه ويكري على يده ما بقي من الدار فيحصل
على فرجة اهله ويفضل بيده من المال ضعف ما اكترى به غبطة في حضور هذه
الفرجة والمدينة حيث بنيت على الجبل لم تكن ازقتها منبسطة وانما هي بين خفض
ورفع والديار في نفسها عجيبة جدا والكثير منها باق على البنيان الاسلامي ولا
ماء بها الا الابيار في غاية العمق وشرابهم من ماء الماجن المجتمع من ماء المطر
وهواؤها طيب غاية وقد شاهدنا منها عدة مدن فالص وماوا وبنط سنطريه
وجزيرة السبع والكراكة وبنط ريال وغيرهما من المدن والمسافة التي بينهما
وبين فالص واحد وعشرين ميلا اقمنا بها ثلاثة ايام وسافرنا مصاحبين السلامة
قاصدين مدينة حريز وهي المدينة الخضراء وذلك اخر يوم من ركوبنا الخيل لعوات
الارض الصعبة التي لا يمكن فيها ركوب الاكداش بالكلية

الخبر عن مدينة حريز وهي المدينة الخضرا

صبرنا اليها على اثني عشر ميلا وقد ورد علينا في خلال اميالها عدد كثير من الخيل
شلطاطا وقبيا نا على بعد المدينة بنحو المسافتين فرحبوا بنا واظهروا من البشاشة
والمباشرة ما فيه زيادة على من تقدمهم وسرنا معهم بما يقرب من مسافة فاذا
بقنطرة مضروبة على وادي والوادي يسمى ودليطي لها ستة عشر قوسا من
الاقواس العظام في الطول والعرض وبطرفها من ناحية المدينة خلق لا ياتي
عليهم الحصر والعدد الكثير من الاكداش التي لها بال فركبناها في احسن زي وضربت

علينا النوبة والموسيقى الواردة من اهل المدينة البارزين لملاقاتنا وذهبنا
الى ان دخلنا المدينة وكنت اظن ان المدينة عن يسار القنطرة بقليل وكشب
الغيب انما كنت احسب انها مدينة انما هي دار للجرابلية هنالك فقط
يحسبها الناظر انها مدينة لكبرها وفخامة بنيانها وتعدد الصوامع بها
والمسافة التي بينها وبين جسر اربعة اميال عبرناها بين اغراس واجنة
ومن خارج اغراس الفواكه زياتين مستقيمة الصفوف في غراستها استوعب
الارجاء الاربع الى ما انتهى اليه البصر قيل ان ساحتها مسيرة اربع ساعات
ومن حيث ركبنا الاكداش تتعرض لنا مشحونة بينات الاكابر ونسائهم واما
مطلق القوم فلا ياتى عليهم الحصر ولما مررنا بازقة المدينة وشاهدنا ما
شاهدناه من الارتفاع ببنيانها وفخامة ديارها وعلو ابوابها واحكام
تشييدها واتساع رحابها وتعداد الاكداش الذاهبة والايبة بطرقها
وحضارة اهلها وسعتهم في المال وتنافسهم في الملابس والمراكب كلت العبارة
عن استيفاء ما اشتملت عليه من امور الدنيا التي لم تسار وعند استجاح بعو
نه فنقول باختصار هي من المدن التي تقدم ذكرها بمنزلة الحاضرة من البادية
ومن اعلى احد ابوابها رخامة مكتوب عليها بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله
احد الله الصمد فقط وسور المدينة وابوابها من عمل المسلمين وقد هدم القوم
الكثير من سورها ولم يكن للكفرة اعتناء بهدم ما بقي منه ولا باصلاحه ولما
زادوا على البنيان الاسلامي من خارج السور بني السور داخل بنيانهم المحدث
في غاية التلاشي وما هو من البنيان داخله وخارجه في جودة واتقان واثر هذا
السور باق على حاله شاهدا ان البلاد كانت للمسلمين وهذا اثرهم
اعادها الله دار اسلام وقد نزلنا بدار مختارة من خيار ديارهم اشتملت على
مقاعد عديدة وغرف ومنازه الكل استوعبه ستور من الكمخة حيطانا
وسقفا ممكنة في القائم والمبسوط بمسامر مذهبة والمبسوط في جميعها

من عمل

من عمل الترك وبجنب هذه الدار بستان فيه اصناف النوار وبعض اشجار
اللشين وما زال القوم يترددون الينا بقصد السلام علينا والترحيب
بنا ومن غداة وصولنا الى هذا الجزيرة ثو بيني بلاصة مدينتهم واحتفلوا لها بزيادات
كثيرة عما شاهدناه بالمدينة التي قبلها اذ لا نسبة بين الاولى وهذه في الكبر
والعمارة وسعة اهلها في المال وجمع المراكيس بها والاعيان من البسيان
ومن بعض الزيادة التي بهذه الديار المحيطة ببلاصتهم ان ابواب المقاعد
التي يعبر منها للصقالات المذكورات جعلوا عليها سورا من الكمخة على
الوان منها ما هو من الديباج المذهب غير ان كل لون مباين للذي يليه
في الطبقات الاربع وافية لحر الشمس كما مر وهو الستور الذي بين ابواب
المقاعد من خارج بالقماش من الكمخة وهذه المقاعد معينة حال الفرجة
لاربابها منها ما هو بالملك ومنها ما هو بالكراء والفاصل بين كل مقعد
والذي يليه من خارج في بسيط الصقالة لوح من الخشب علوه خمسة
اشبار السر في جعل الفاصل من خمسة اشبار استيعاب من بالصقالة بالنظر
بحيث لا يحجب عن جميعهم من سائرها من الرجال والنساء فالجالس
على الشلليات اذا ارسل طرفه يمينا وشمالا يشاهد ما يشاهده منه بالصقالة
التي هو بها واما الصقالات الثلاث يمنى ويسرى والمقابلة
له لا يفوته منها شيء حيث لم يحجبه عنها حاجب ولما حللنا هذه البلاصة
تلقانا حاكم البلد واعيانها بالرحب والسعة وصعدنا لمقعد من احسن
المقاعد وجعلوا به سورا من الديباج وشلليات لم ير مثلهن وقد استغلت
الصقالة التي نحن بها بالنسوة والبنات المقطوع بحسنهن ولبس من
الحلل ما يناسبهن وقلدن من اليواقيت ما لا يصفه واصف والحلل المختلفة
الالوان والقيم على كل مقعد مقعد يرتب الصفوف ويجلس النسوة والبنات
جنب هذه الى هذه ويخالف بين الالوان في الحلل حال الجلوس بالناظر للمقاعد

المظللة بانواع الستور على اختلاف ابهاء الالوان وتخالب الوان الحلل التي
على النسوة بحسب انما شاهده من ذلك بطايع من النوار مختلفة الالوان
واما كيفية لعبهم ومبارزتهم للثيران لا زايد على ما تقدم ذكره في ذلك
ولما حان انصراف القوم لا قبال الليل تقدم الينا احد المراكيس وهو من اعيان
القوم لغرابته من طاغيته ومكانته المكينة عنده وبيت مال عظيمه الذي
هنالك تحت يده ومفتاحه من الذهب معلق في عنقه بسلسلة من الذهب
ايضا بحيث كل من راه يعرف قدره ويخاطبه بما يناسب مرتبته من الادب
والحاكم بنفسه الى نظره فرحب بنا وعظم وخص وعم وطلب منا الوفاء
بما كنا وعدناه به من الوصول الى داره فاجبناه لما طلب على ان يكون ورودنا
عليه بعد العشاءين فانشرح لذلك وانصرف الحال بسبيله وبالوقت الموعود
به بعث بكديشين مع حاكم البلد واصحبهما عدة من الخدمة وبين يدي كل
واحد منهم شمعتين فذهبنا في عز وكرامة الى ان حللنا الدار فاذا بالباب
القاضي واعيان البسيان والمراكيس وخدمة اخرون حاملين للشمع الذي
قدر القامة فاقبلوا علينا بالترحيب والتعظيم واخذوا بايدينا وصعدوا بنا
لاعلى الدار في مدارج من الرخام تسع وعشرين درجة بجنب كل واحد للذي يليه
الى ان انتهت بنا المدارج لثلاث مقاعد كل مقعد طوله ما يزيد على اربعين
خطوة وعرضه خمسة عشر وقد ستروا حيطان المقاعد بالقماش المسمى
بركاطو والموبر والرابط بين طرفي القماش حمايل منسوجة بخيط الذهب
عرضها اربعة اصابع وجعلوا بهذه المقاعد من المرايا والثريات البلورية
المنظمة بالشمع العدد الكثير والمقاعد الثلاث احدها استقل بالنسوة
الثاني بالاعيان فسيانا ومراكيس والقاضي وبعض الجرابلية الثالث خاص
باهل الموسيقى فذهبوا بنا للمقعد الذي به النسوة والبنات لان الليلة
هي ضيافة نسائهن وتلك عادة جارية في اعراسهم فلما اقبلنا عليهن نحن على

قدمين

قدمين وجعلن يرحبن ويبدين من الفرح بنا ما لا يكيف والترجمان يترجم بيننا
وبينهن ورب الدار والحاكم والقاضي والكثير من اعيانهم كل يعرف بزوجته
وبنته او بهما معا وكلما شكرت واحدة غارت الاخرى فتعبر بما يدل على
استحسان الكل منهن فاذا برب الدار الذي هو معظم فيهم لوفور عقله وكبر
سنه وله مكانة عند سلطانه الى غير ذلك مما يستدل به على ذهابه وعظمته
في قومه قام بنفسه على ثقل حركته وطعنه في السن واخذ بيد بنتين مراهقتين
في غاية الحسن واوقفهما بين ايدي اهل الموسيقى وجعلتا يغنيا باصوات
حسان ما سمعت ولا رايت احسن منهما صورة وصوتا واهل الموسيقى يجيبونهما
وبعد الفراغ من غنائهما اتى بهما الرجل المسن العاقل الامين وجعل يسالني
هل اعجبني غناؤهما وكيف كانت المغنيتان فشكرتهما له حتى اذ قلت له
لم اسمع صوتا مثل صوتهما ولا رايت مثيلا لهما في الحسن فانبسط من ذلك
وجعل يعرف الحاضرين بما اجبته به فقال لهما بنتاي قد دعوت لهما ان يسلمهما
اي يهديهما الى الاسلام وجعل يندب البنات التي حضرن هنالك للرقص
واحدة واحدة وكلما قامت واحدة يعين هو واحدا من اعيانهم للرقص معها
وقد اعتذر عن رقصه هو بنفسه لثقل حركته وقعد زنانه وما زال الحاضر
من اعيانهم يحدث عن محاسن زوجته ويلزم الترجمان ان يبلغ ذلك الينا
لنجيبه بما يقصه علينا من استحسانه ولهم بذلك اهتمام وولوع يفتخر
بعضهم على بعض بذلك ولما انفصل الجمع رجعنا لموضعنا ونحن نستعيذ
بالله مما هم عليه هؤلاء الكفرة من عدم الغيرة وتوغلهم في الكفر نسأله
سبحانه ان لا يؤاخذنا بما اقتدينا به من مخالطتنا اياهم بما اوجبه الوقت
وتعين في الحال وبعد اقامتنا هنالك خمسة ايام استعملنا السير ليلا لاجل
الحر الخارج عن الحد وعدم وجود الماء بالطريق المعبورة في يومنا وكان
رواحنا المدينة لا بريخة عن خمسة عشر ميلا جلها اشجار الزيتون وارض حراثة

على الجهات الاربع

الخبر عن مدينة لابريخة

مدينة متوسطة بين الكبر والصغر والحضارة والبداوة بل اهلها بادون وبعض
وبنيان ديارها غير شاهق وبها قصبة في غاية العلو بنيت بقنة جبل من عمل
المسلمين رحمهم الله وهذا الجبل صغير في الاستدارة عظيم في الصعود والارجاء
المحيطة به على الجهات الاربع في غاية البسط حتى ان سور القصبة مشيدا على
شفير حافة الجبل والحفير دونه باق على حاله ولم يبق من سورها والابراج الا
ما دون القامة وبها غدير مولجن يجتمع بها ماء المطر وقد شاهدنا من هذه
القصبة بسيط ارجاء المدينة غدرانا عديدة كالاودية ومنها يظهر لمعان
الوادي المنحدر من مدينة سبيلية على بعد باين جدا وقد استقل غربها باشجار
الزيتون وشرقها المختص بالحراثة وبداخل المدينة عدة سواني تسقى منها
بعض الاغراس هنالك واما شرابهم فمن عين قريبة من المدينة وهنالك العدد
الكثير من معاصر الزيتون اقمنا بها بقية يومنا وسامرنا ليلا وكلما رحلنا
عن دار يتقدم امامنا بعض اصحاب الطاغية المصاحبين لنا في طريقنا
للدار التي بها مبيتنا ليعلم اهلها فيتاهبون للملاقات ويعينون الدار
المناسبة لنزولنا ويتخذون من الفرش ما يدل على امتثالهم لامر طاغيتهم
من التعظيم والتبجيل ويبرزون للملاقات نساء ورجالا وصبيانا ويبدون
من الفرح والمباشرة ما لا يكيف ويبعث محبتهم القيم الذي هو مقدم معنا
الطعام بحيث اذا اطللنا المدينة نجد الدار مهياة بما يحتاج اليه من طعام
وغيره والمدينة التي كان رحلنا اليها هما مدينتان تتصل الاولى بالثانية
والفاصل بينهما طريق في غاية الطول والعرض احدهما للسلطان بلابرنكة
والاخرى لوزيره بلاصيوص وسميت المدينتين باسميهما هكذا هو

الخبر عن المدينتين بلابرنكة وبلاصيوص

حللناهما عن خمسة عشر ميلا مدينتان صغيرتان واهلهما للبداوة ميل وللمرية

انهم

انهم من بقايا الاندلس وقد التقينا برجل من طلبة المدينتين اسمه ابلاشكوا
هو من اعيان العدول عندهم وقد اظهر من الميل الينا ما غلب على الظن
انه مسلم وصار يشير باشارة خفيفة ويكثر من الالتفات حال مخاطبته
ايانا ولم يستطع التصريح بما في باطن الامر وجاء بنت له عليها اثر
العربان بعيدة من التشبه بالروم خلقا وخلقا وفي عشية يومنا
وردت عدة بنات من مدينة وطريرة كنا رايناها ضحوة عن يمين عبورنا
قريبة منا جدا ولم يمكنا الدخول اليها وبقي في الخاطر منها شيء حيث
كانت من مدن الاسلام والمراد منا ان نتعاهد اماكنهم ونترحم على تلك
العظام النخرة باستعمال الخطا على ما عاهدهم واذا بالبنات الواردات
منها بقصد السلام علينا هن واهل المدينتين واحد في الخلق والخلق
وقد غلب عليهم الحسن ودمهم دم العرب واخلاقهم مباينة لاخلاق
العجم وميلهم للمسلمين وتحننهم للجنس وانسهم عند التشييع يقطع
انهم من بقايا الاندلس وقد طال عليهم العهد وربوا في بحبوحة الكفر
والعياذ بالله والكثير من القابهم موجودة عند ناس الاسلام كعبريرة
وقرطاش وبريس وابن بيدس وارمير وابريكو والشريف واللب واولاد
خويا وغيرون وراغون وبابص ومنضومة وغير ذلك ثم رحلنا بعد
العشائين لبعد المسافة التي بيننا وبين مدينة شبيلية عن خمسة عشر
ميلا والمراد من ذلك ان يكون وصولنا اليها بعد الظهرين ولذلك
استعملنا السير من اول الليل لان المدن المعتبر يقدمون الكتب المتضمن
طلبهم منا اللحوق لبلادهم اول النهار ليتهيا جميعهم للملاقات وابرازهم
للترحيب خارج المدينة وداخلها الى غير ذلك مما يجب عليهم من اداء
الحقوق التي اوجبها عليهم طاغيتهم ولم يسعنا الا الايجاب وكل مدينة
مدينة نشاهد من مباشرة اهلها ما فيه ما فيه زيادة على من تقدمهم

كل ذلك من فضل الله تعالى وما اودع الله في سيدنا المنصور بالله من السر
والعظمة في نفوس الاسلام وانقياد الكفرة لامره المطاع حتى انهم
اذا ذكر اسم سيدنا ايده الله وهم حاضرون لا يسعهم الا نزع الشمار يرعن
روسهم طاغيتهم فمادون تعظيما لجناب سيدنا وتبجيلا وفي ذلك اية
يستدل بها على عز الاسلام ونصر دين الله القويم وتاييد سيدنا المويد
بالله وعظمته

الخبر عن مدينة شبيلية

لما اشرفنا عليها ما شهدنا من عظيم بنيانها وارتفاع ديارها وتعدد
الصوامع بها ما ذكرنا بمصر في طولها وامتدادها وصعود مادنتها
وجرى النهر بناحيتها وعمارته بالاجفان التي لا احصر لها وقد برز من الخلق
للملاقات ما لا ياتي عليه الحصر خاصة وعامة نساء ورجالا وقد تقدم من
القوم الحاكم والقاضي وجماعة من اعيانهم بالكداش عديدة واهل الموسيقى مصا
حبون للجميع ولما اختلطنا بالقوم ترجل جميعهم وادوا الواجب كما يجب
وبالغوا في التعظيم والتبجيل والمباشرة اللايقة بالمقام الاسلامي الذي
جعل الله لعباده المومنين من غير اعتبار هم لذلك وانما خضوعهم واذعا
نهم وامتثالهم وانقيادهم بالخاصية لاهل توحيده ولو كان ذلك خاصا
بامر طاغيتهم لظهرت المباشرة من بعض دون بعض ولما كانت نورانية
الاسلام هي الفاعلة استغرقت الكل منهم في الخدمة والامتثال ثم
بعد ذلك قدموا الينا الكداش اركبناها لجودتها عن الكداش التي كنا بها
زيادة في التعظيم والترحيب وضربت علينا الموسيقى وغيرها من الة الطرب
وذهبنا في خلق كانهم جراد منتشر ولحدق بنا الشلطاظ بالسيوف
المصلتة لرد القوم عنا ومع ذلك سرنا في ازدحام عظيم ولما انتهينا لشط
الوادي وجدنا به اشجارا ممتدة بساحله في غاية العلو والفخامة لا ثمار لها
وانما هي للظل فقط فعبرنا بينها وبين سور المدينة ما يقرب من الساعة لاجل

الازدحام

21

الازدحام واهل المراكب يخرجون المدافع عن يسار العبور وابراج المدينة يخرجون
المدافع عن اليمين فاخرج من المدافع بذلك اليوم نحو الثلاثماية مرفعا ود
خلنا المدينة في هيئة لم تعهد منهم في دخول طاغيتهم على ما حدث به الجم
الغفير ولم يزل القوم منكبين علينا حتى دخلنا الدار المعينة لنزولنا بامر
طاغيتهم فاذا هي داخل قصبة لاحد ملوك الاسلام **قيل** انها كانت للمعتمد
بن عباد رحمه الله هي عندهم محجرة لم يسكنها احد ولا يدخلها الا اذا اتى طاغيتهم
بنفسه او القيم على نظافتها وتفقد احوالها مما عسى ان يحدث بها من ثقل المطر
وغيره وحيث كانت محجرة بقيت على جدتها الى الان وهي من الديار التي لم يكن
مثلها بالبلاد الاصبنيولية بالكلية الا ما كان بغرناطة على قيل **و**قد
شاهدنا منها ما يكل الواصف عن بعض بعضه من فخامة البنيان وتعدد
القباب والغرف والمقاعد والمنازه وقد استوعب جميع الرقم المعجب
من عمل الجباص والنجار والتزليج والتسطير والتقضيب والخطوط المشرقية
والكوفية وصنايع ابدع المهندس في انشايها غير معهود والتمويه بالذهب
في الخشب وبعضه بالجبص حيطانا وسقفا وبازاء هذه الدار رياضات
وبساتين احاطت بها من الجهات الثلاثة ياتي ذكرها كما نصف كيفية بناء
القبة الواحدة من الديار المذكورة ونحيل عليها ما عداها ان شاء الله كل في
محله **و**لنرجع لما هو الاكد والاولى من الكلام على مباشرة القوم ايانا
وبرهم بنا وتردد اعيانهم علينا ومنذ حللنا الدار وهم واقفون على قدم
في تنظيم الشمع بمنارتها الفضية والبلورية وتزيين المقاعد بالفراش
المنتخبة للنوم زيادة على المقاعد المعهودة عندهم للجماعة ووجهوا
للقيم على عمل الطعام ما هو كاف لضعف الضعف من جماعتنا من اصناف
الماكولات على اختلافها والمباشر لذلك ولد حاكم البلد نايبا عن والده لمرضه
فاذا هو نصراني صاحب عقل ومروءة في ابناء جنسه وقد احسن المباشرة

والادب ولم ينفصل عنا قط وفعل من الخيرات ما رغب في ابلاغه لطاغيته
ومن الغد بعث القاضي يستاذن في المجيء الينا فاذناه وقد تقدمه
ثلاث رجال من الاعيان نايبين عن اهل المدينة في السلام علينا ولقنوهم
ما يقولون وقد صاحبهم عدد كثير من الخلق فتقدم الرجال الثلاثة وتاخر
من عداهم من القوم فجلسوا امامنا وتكلموا كلاما فصيحا جامعا شاملا
لما اقتضاه الوقت من انهم بعثوا من اهل المدينة معترفين بفضل السلطان
ايده الله حيث امتن على جنسهم بهذه المهادنة وهم يطلبون من الله تعالى
ان تكون دايمة متصلة وقد امر طاغيتهم بالفرح بالباشادور والامتثال
لامره وكل ما يحتاج اليه سيدنا ويامر به يقضي جميعه وما نحن الا عبيد
وخدام والمدينة مدينتكم فاجبناهم بما يناسب وحدثناهم بما تطيب
به نفوسهم من قبول سيدنا على طاغيتهم وانه مقدم على عظماء الروم
ومميز عنهم حتى انه ايده الله سرح له عدة من الاسارى من غير جنسه
اذ ولده هو الحاكم فيهم الى غير ذلك مما في معناه من امتنان سيدنا على
طاغيتهم وتفضله عليه وقد انصرفوا عنا فرحين مسرورين يحدث
بعضهم بعضا بذلك وفي اثرهم ورد علينا القاضي وجماعته مع احد وزراء
الطاغية كان بعثه لهنالك لغرض ولم يعرف به احد وكانه استكتمهم
وجاء مصاحبا للقاضي مسلما ومختبرا لما راه امامه خبرا ومخبرا عرف
حينئذ بنفسه فجددنا السلام عليه وخاطبناه بما يناسب وانصرف
من غداة ملاقاتنا اياه لحضرة عظيمه لخبر ما راه او سمع وقد طلب منا
ولد الحاكم ضحوة اليوم الثالث ان نذهب معه للوادي بقصد الفرجة
والنزهة وجاء بالكداش ولم يسعنا الا ركوبها جبرا للخاطر وذهبنا
بوسط المدينة في جمع عظيم فلما انتهينا الى الوادي عبرنا القنطرة فاذا
بوسطها قلوع محمولة على صواري واقية لحر الشمس وبظلها زرابي وشليات

عديدة

عديدة وطلب منا الجلوس هنالك ففعلناه ولم نر في ذلك كثير فايدة ولا فرجة
تستحسن فلم نشعر الا والمعلمون النجارة والكثير من البحرية ما يزيد على المائتين
يقلعون الواح جرائد القنطرة باقراص وحركات مسرعة لقلع الالواح والعرود
فسالناه عما يفعل القوم فقال انه يريد فصل القنطرة واخراج احد السفن
الحاملة لها عن المحل الذي هي مرساة به ليحصل لنا اليقين بما هي عليه
وتنكشف حقيقتها حتى نكون منها على بصيرة في الظاهر والباطن و
انفصال هذه القنطرة يشيع بالبلاد الاصبنيولية ويعلم منه اننا ادينا
بعض الواجب من الفرح بكم فان فصل القنطرة عندنا لا يكون الا لاحد
الامرين اما السيل الفادح الذي يخشى من تتابعه عليها فيحتفل لها
بجمع عظيم ونخرج مركبا او مركبين من ترسيتها فاذا رجع السيل عادت
لمحلها في الحال واما ورود سلطاننا للبلد فنستعملوا ذلك فرجة له
ومرحبا به وانتم عندنا بمنزلة سلطاننا ولو كانت لدينا فرجة اعظم من
هذه لا بتدرنا لها فجازيناه خيرا وطلبنا منه ان يبقي القنطرة على حالها
ويكفي في العلم بها واليقين ما حدث به وشاهدناه عيانا ولا زايد على
الاكرام الصادر والفرح بنا من غير انفصال القنطرة واخرته عن ذلك جهده
لما في ذلك من المشقة الفادحة مع تعطيل الذاهب والايب من المدينتين
مع ما يضيع من العرود والمسامير اخراجها غير سالمة اذ نزعها من المحل
الذي هي به بعنف فلم ينصت لذلك وتمادى المعلمون على انفصالها فحصلوا
على المراد في اقرب مدة واسحبوا العمل المراكب فاذا هو من المراكب العظام
مستديرة بكبرطة صواري في غاية الغلظ قاعرات وقد شاركتها برود
من اعلاها مبسوطة باعلى راس الصواري في غاية الغلظ وعليها تستمر البرود
المبسوطة الممرور عليها وقدر الفرجة التي بين المركب والذي يليه قدر برد
طوله ثلاثون شبرا وطول هذه القنطرة مائة خطوة وعشر خطوات

وعرضها ثلاثون خطوة ولها ستاير حافظة للمار من السقوط عند الازدحام
وبوسطها قبة من اللوح يسكنها من عين لحراستها من دابة المنار ثم اعيد
المركب لموضعه والقيت عليه البرود واثبتت بمسامر قدر الذراع ورجعت
القنطرة لحالها في اقرب من ساعتين وعبرنا عليها في الحال لمدينة المقابلة
لمدينة اشبيلية وهي مدينة قريبة منها في الكبر وضخامة البنيان وهي
المسماة بطريانة وقد برز اهلها لملاقاتنا وفعلوا ما فعل اهل اشبيلية
من تعظيم وترحيب وعند حللنا القنطرة واهل المراكب يخرجون المدافع
الكثيرة وعند الاوبة تلقانا بطرف القنطرة من ناحية اشبيلية خلق كثير
خيولا واكداشا وراجلين اكثر مما شاهدناه في الملاقات الاولى وذهبنا
في ازدحام عظيم خارج المدينة ودخلنا الى الدار المعينة لنا وما زالت الجموع
مجتمعة هنالك الى الليل الكل ينتظر رؤيتنا فتحصل من هذا ان هذا الجنس
الاصبنيول على قلب رجل واحد وذلك الرجل مستغرق بعضه وكله
في محبة سيدنا ايده الله قلبا وقالبا والظاهر دال على الباطن ومن العجب
استغراقهم في محبة الاسلام على ان هذا الجنس هو اشد عداوة وبغضا
للمسلمين حتى انه يلقب بالعدو الازرق ثم استحالة عداوته محبة و
مودة كل ذلك من مدد مولانا المؤيد بالله والاسرار التي اودع الله تعالى
في عبده ومما يغلب على الظن من ظهور انقيادهم وامتثالهم واذعانهم
ومحبتهم وفرحهم بالمسلمين انهم اذا عرض عليهم الاسلام لاجاب جميعهم
لو لم تكن بين ظهورهم الفرايلية على ان الفرايلية اكثر القوم فرحا بهذه
المهادنة ويبدون من الفرح بالمسلمين ما يكيف ويسامحون بكل عزيز
عندهم في هذا الصلح الا ما كان من محافظتهم على دينهم المعوج وهذا لما ابدته
الفراسة في القوم عند مباشرتهم واختبار احوالهم من غير لفظ ولا اشارة
الا ما كان من بعض بقية الاسلام فمنهم من لفظ ومنهم من اشار نسأل الله

ان يهدي

ان يهدي جميعهم للاسلام **ولنرجع** للكلام على كيفية الدار المذكورة
ووصف بعض ما اشتملت عليه من رائق الصنع وبديع النقش وضخامة
البنيان على ما اقتضته حكمة المهندسين في ذلك ولم يكن مثلها بمدينة اشبيلية
ولا في غيرها وذلك امر مسلم عند العجم معترفون بالعجز عن مثل ذلك لان حكمتهم
استغلت بنحت الحجارة وضخامة البنيان وارتفاع الابواب والاستيعاب
القباب والمقاعد والتصاوير وتذهيب بعض السقف وتزيين الحيطان
بالقماش المرقوم المسمر بالمسامر المذهبة وتعدد المرايا والمنارات البلورية
وما في معنى ذلك وما عدى ذلك من عمل الجباص والتزليج والنجارة فلا طاقة
لهم بذلك ولا شك ان في عمل المسلمين حسن ونظارة وحلية تميل لها النفوس
وفيها نزهة للناظرين **فنقول** على سبيل الاختصار هي دار متسعة جدا
لها اربعة قباب والمباحات الدايرة ما بين القباب محمولة على اثنين وخمسين
سارية من الرخام وكذا الاقواس من الرخام ايضا ومثل السواري والاقواس
المذكورة في الطبقة العليا وصفة القبة الواحدة هي في نفسها ستينية
ولها ثلاثة ابواب دون الباب الكبير الموالي للصحن كل باب له ثلاثة اقواس
محمولة على ساريتين من المرمر نافذة للمقاعد وقباب بظهر القبة وعن
يمينها وشمالها وسقف الستينية على شكل نصف نارنجة اشتمل على
تسطير مموه بالذهب وما فضل عن استدارة نصف نارنجة فمن عمل الجباص
المعروف عندهم بالرخوي غير انه مموه بالذهب ودايرة القبة مما يلي
الارض ازار من الزليج بالتسطير والتقضيب والخط فوقه وما فوق الخط
الى السقف هو من عمل الجباص تسطير وتشجير وتوريق بعضه مموه
بالذهب وبعضه بالوان مختلفة ودفوف هذه القبة في غاية الطول
والعرض بالتسطير والتقشير والخط مستدير بقوايمها والقباب
الثلاثة مثلها في الابواب النافذة للمقاعد وازار الزليج وعمل الجباص

غير ان سقفها مبسوط بالعمل المسمى عندهم بالبساط وقد استدار بحايط
المباحات المقابلة للصحن ازر من الزلايج على الصفة المذكورة والخط
بوفها ثم رقم الجباص الى السقف منه المموه بالذهب ومنه بلا ووان
وسقف المباحات لم يكن مبسوطا وانما هو من العمل المسمى بالجفنة
استوعبه تسطير مذهب وقد خالطه بعض الالوان والصحن مفروش
بالرخام الابيض وبوسطه خصة مرفوعة علوها من الارض قدر قامة
وبوسطها ايضا خصة اخرى دونها في الجرم يصعد منها الماء في الجو
قدر ارتفاعها من الارض وبقدر مساحة هذه الدار يقابلها الاربع
براح خارج عنها مستدير بها من الجهات الثلاثة شيد وابه من المقا
عد والقباب العدد الكثير ما هو نايف من القباب المذكورة ومنها ما يدخل
اليه من الصحن ثم براح ثان خارج عن الاول حكمه في البنيان حكم الذي قبله
واما ما وراء ذلك فبستان محيطة بهذه البناءات من الجهات الثلاث
والمدارج الذي يصعد منها للطبقة الثانية هي عن يمين الداخل للدار
المذكورة خارجة عنها وعن اليسار باب مشيد في غاية العلو يقابل باب
المدارج المذكورة وداخلها اربعة مقاعد في غاية الطول محيطة بصحن
هنالك ثم بعده براح قدر المقاعد الاربعة مع الصحن ومنه يدخل
للرياضات الثمانية وقد تساوى علو المقاعد والبراح المتصل بها بالطبقة
العليا من الدار مع علو المساحات الخارجة عنها المشيد بها ما ذكر من
المقاعد والقباب فصارت الطبقة العليا في الطول والعرض تسع العدد
الكثير من الديار المعتبرة وقد شيدوا بهذا البراح المتسع من القباب
والمقاعد والغرف والمنازه والمخازن والحمامات والمساجد ما لا ياتي عليه
الحصر منها ما يشبه كل القبة الموصوفة ومنها ما هو احسن واجمل ومنها
ما هو دون ذلك وقد ابدع المهندس في ذلك كل الابداع وسقف هذه البناءات

منها

منها ما هو بالمطلع والشبتان ومنها ما هو بالبساط المشتمل على انواع
التسطير والخطوط المشرقية والكوفية واما عمل الجبص والنجارة والتزليج
في جميع هذه البناءات فشيء يتعجب منه في القايم والمبسوط كل ذلك من
عمل المسلمين رحمهم الله ومن هذه الطبقة يمر العابر للصفالات المحيطة
بالبستان من الجهات الاربع كل صفالة بوسطها مدارج نافذة لصفالة
اخرى تحت التي بوفها وقد ضربت على بسط الصفالة العليا اقواس محمولة
على سوار وضعها المهندس على شكل غريب في البنيان جعل في بسيط
الصفالة والسوار والاقواس المنعقدة عليها قدر شبر مبني بالاجر
المملوة بالجير ثم قدر شبر ايضا بالحجر الاسود المقنت من غير طين ثم
بالاجور والطين ثم بالحجر المذكور وهكذا والسر في ذلك هو ان كل حجر
فيه عدة منافذ ترمى بالمياه في الجو والانابيب منها ما هو معوج و
منها ما صاعد للهواء وقدر الانابيب في جري مايها قدر رمح العصاد ثم
او اكثر بقليل والعجب هو نبوذه من ساير الاحجار في حال واحد مع
تفاوتها في الارتفاع العادي والغلاظة البائن والمتوسط واما ما هو
بارض الرياض لم ينوله ما شهدناه باعلى الصفالة فايدة ولا كبير عمل
يتعجب منه وذلك ان احد البساتين مطروم مرصعة بالاجر وفي كل منعطف
شكل خصة مرشومة بالاجر المزدج وبوسطها نيف يصعد منه الماء
دون القامة بقليل ثم يتبعه رشاش يمينا وشمالا من بسيط الخصة ثم من
الاجر المفروش بين الخصص كل الجرة بهامرة انابيب منها ما جريانه
منعطف ومنها ما هو غير منعطف وباعلى السور تصويرة ادمي وبيده
بوق متصل بعينه يزعق به ولا يسكت الا اذا انقطع الماء **وبهذا**
الرياض عدة صهاريج استوعب جميعها مصاو بريد بفو الماء من فيها ومن
ثديها ومن موتها ثم بوسط احد الصهاريج خصة جعلوا بوفها قبة قدر

وسعها وباعلاها تصاوير عديدة واستحوا بهذا الصهريج فلوكة استعروها
لاهل الموسيقى يركبونها عند نزهتهم بالرياض المذكور وهذا الرياض اشتمل
على ثمان بساتين احدها استقل باشجار الفواكه مختلفة الثمار الثاني
اشتمل على اشجار التين الثالث بجابر وخضر الرابع اختص باصناف
النوار ثم الاربعة الاخر استقلت بهندسة غريبة في النبات والتلاعب
بالمياه والتصاوير وما يناسب لذلك في الاول رياض استقل بحركة المياه
على الصفة المذكورة ونباته نور غريب الثاني رياض من الريحان له بابان
فالعابر من احد ابوابه يمر بازقة ضيقة من الريحان غير كيفية علو سورها
دون القامة وغلظه ثلاثة اصابع يذهب مستقيما ثم ينعطف يمينا وشمالا
حتى يستوعب الرياض بالعبور ولم يدر من اين دخل ولا من اين يكون خروجه
الا بدليل عارف بما هنالك وقد ضل فيه بعض اصحابنا حتى بعثنا له من يرشده
فهو بزيادة على مدينة النحاس المخبر عنها وعلى الحنشة المعروفة عندنا
الثالث رياض به عدة صور من الادمي لباسهم الريحان نابت من الارض و
قد كسا اشباحهم بحيث لا يرى منهم الا الرؤوس وزند اليدين فقط كل
واحد من الصور بيده ماعون حرفته وغالبهم اهل الموسيقى الكل يحسبه
الناظر حيا ولا غرابة في اقتدارهم على التصوير واما الغرايب في نبات
الريحان من الارض واستدارته بذواتهم من غير ضخامة في النبات وانما
انتشارهم على اشخاصهم كمن لبس قميصا اخضر وقد يمكن ذلك في ستر ذواتهم
فكيف يمكن صعود النبات من الارض لسترة الذراعين والساعدين
واستدارته بهما الى الزندين ففي ذلك غرابة لا تنكر الرابع فيه عدة
احواض والفاصل بين الحوض والذي يليه حاجز بالبنيان قدر ذراع
من الجهات الاربع وقد اتصل به من داخل البنيان اشجار الورد غير
ان نباتها على صفة غير معهودة لاتصال الاغصان بالاغصان واختلاط

بعضها

بعضها ببعض حتى صار نباتها كنبات السدر وعلوها من الارض قدر
علو الحاجز المذكور بالبنيان وعرضها في النبات ما دون الطول بيسير
ومن اعلى النبات مستو في البسط وما زاد على الاستواء طولا وعرضا
يقص بالمقراص ثم يخطون داخل هذه التربيعة تصاوير ادمي او اسود
وتشجير او كتابة او غير ذلك الكل بنقل الريحان وليس ريحانهم كريحاننا
وانما له شبه بالحبق يخرج من الارض على ساق فاذا صعد في النبات
قدر ستة اصابع انتشرت اغصانه يمينا وشمالا فيختلط نبات كل
نقلة بنبات التي بجنبها فيصير النبات مستويا في طوله وعرضه وما
يخرج عن الاستواء يقص بالمقراص وارتفاع هذا النبات من الارض
قدر شبر وعرضه ستة اصابع وما فضل من الارض بعد ان خطوا ما شاء
من التصاوير وغيرها بالنقل المذكورة فهو فارغ لا نبات به وسور
هذا الرياض ملتصق به اشجار النارنج وتربيته في الغراسة غير
معهودة في بر الاسلام وكيفيتها انهم يغرسون اشجار النارنج
الطرية ملتصقة بالسور غصنا جنب غصن فتختلط الاغصان عند
طلوع اللقاح بعضها ببعض وتنتشر الخضرة في قائم السور فتجتمع الخضرة
في القائم من الارض والمبسوط وفي ذلك نظرة نضرة وفي اليوم الثالث
من حلولنا المدينة ذهبنا الجامع الاعظم الذي كان للمسلمين رحمهم الله
وقد تهيئنا للالفاتنا القلق والكثير من العرابلية فصعدنا للمسجد
بعشر درجات ارتفاعها عن الارض المشيدة بها وقد استدار بجداراتها
من خارج بنيان كالصفالة قدر الارتفاع المذكور حافظا للجدار وسورها
ومن نفس السور سواري ناتية منه وفيما بين السارية والتي تليها
ثمانية اشبار فهي بمثابة الابراج من السور زيادة في الاتقان والتوثيق
والسور والسواري من الحجر المنجور الذي لا يميز اتصال الحجر بالذي يليه

جوفا وتحتا يمينا وشمالا الا بعد التامل التام لتحصيله في النحت والتقويم
بعبرنا المسجد من احد ابوابه الذي هو التاسع عشر باذا بالمسجد محمول
على مائة وعشرون سارية كل سارية مشطرة على اربعة وعشرين
شطرا عرضها اربعة وستون شبرا وطولها خمسة عشر قامة وبين
السارية والتي تقابلها ثمانية واربعون قدما وبزوايا المسجد
قباب اشتملت على تصاوير فائقة على اقدامها ومنها ما اختص بجمع
ذخائر منارات ومسك وغير ذلك مما لا يعبر عنه لعدم المعرفة بما يسمى
به الكل من الذهب المرصع باليواقيت عنطية وغيرها ثم مصابيح
عديدة ذهبية وفضية ثم بوسط المسجد تربيعة بين سوار اربعة
متسعة جدا محجرة بشباك من النحاس اتخذوها للمصلاح وجعلوا بها
طلبانهم وقد استوعبها من التصاوير العدد الكثير من ارضيتها الى السقف
وداخل الشباك النحاسي شباك اخر من العود متصل به من عمل الخراط
المشتمل على ما رق وراق من التشجير الرايق المحكم وبداخل هذه التربيعة
شلبيات وكراسي يجلسون عليها اهل القراءة منهم وهناك مدارج في غاية
الضيق يصعد عليها المباحات بنصب علو التربيعة محولا عليها صنادق
الموسيقى وبازائها جعاب طولها من قامة الى شبر كلها من الرصاص
وبعضها من النحاس باذا حركوها بما لها من الحركات يسمع صوتها من
خارج المسجد بنغمات مختلفات وبصحن الجامع خمس وعشرون شجرة
من النارنج وخصتان وصهريج واحد وبه بيوت عدة يسكنها البرابلية
وصومعتها خارجة عن المسجد بقليل تشاكل في التشييد صومعة الكتبية
في العلو والضخامة والصعود لها من غير مدارج الا ان هذه زادوا في
بحملها علوا ابادها على ما اقتضاه نظرهم لحمل النوافيس بها وعدد
النوافيس التي بها الان خمس وعشرون نافوسا احدها وهو الاكبر وزنه

مائة وخمسة وثمانون قنطارا قيل انه يسمع صوته مسيرة يوم ولما رجعنا من
الجامع تلقانا ولد الحاكم باكراش ركبناها وقد تقدم امامنا وقد اختلسنا جنوله
نذهب من غير الطريق التي اتينا عليها لئلا نحصل في ازدحام لان القوم في انتظار
اوبتنا فاستحسنا ما اشار به علينا فلم نشعر الا ونحن ببلاصة ذات اشجار
عديدة طويلة جدا خارجة عن المدينة قريبة من سورها وللاشجار خمسة صفوف
في غاية الاستيداد وهنالك من الخلق ما لا ياتي عليه الحصر باذا بالموضع محل مستراح
لهم ومن اعظم منتزهاتهم وبه تجتمع كل انيس بانيسه وحبيب بحبيبه من الذكور
والاناث في كل عشية منهم من تحمله الاكراش نساء ورجالا ومنهم من ياتي راجلا
وهنالك مسطبات من الرخام بين صفوف الاشجار يجلسون عليها لهذا الغرض
واعقاب الاكراش يجرون بين صفوف الاشجار ثم يعودون ويستمرون على ذلك
الى الغروب يفعلون ذلك كل عشية على التابيد ما لم يمنعهم المطر الغزير وتتابعه
وقد استثقلنا العبور في ذلك الجمع ومزاحمة القوم باذا بالنافي في كدش
مصاحب لزوجته وغيرها ممن رغبت في موانسته من النسوة فتحققنا ان ذلك
عندهم لا حرج فيه ولا منقصة تلحق فاعله وقصد ولد الحاكم بالمرور من هنالك
نزهة لنا وفرجة وقد كان طلب منا مصاحبته لهذا المحل فاعتذرنا له بتلطف
فاستعمل هذه الحيلة حتى حصل على مراده وقد اجتمع علينا كل من حضر هنالك
من الخلق ولم نتخلص منهم الا بعد الكد والتعب لما لهم من الغبطة والرغبة
في ملاقاتنا والسلام علينا والترحيب بنا وقد ظهرت عزة الاسلام وعظمة
مولانا المنصور بالله في نفوسهم بالخاصية والجملة ومن العدهتم علينا ولد
الحاكم ان نذهب للدار التي تصنع فيها المدافع والقراريط ومقصوده بذلك
اطلاعنا على الامور التي نسال عنها من قبل طاغيتهم عما نشاهده بمدينة —
اشبيلية فيجدنا على بصيرة في الاشياء المؤكدة عنده ومما اظن انه مامور
من طاغيته بذلك ثم الدار التي يغزون بها الصبيان ما يتعلق بامور البحر الى غير

خلك باجبناه لما طلب وذهبنا معه فاذا بالطريق المعبورة نافذة لاسبيطال
في غاية الكبر طولا وعرضا فاستوعبناه بالعبور فاذا فيه بيوت عديدة و
مقاعد طويلة جدا وبصحنه اشجار النارنج وخصص من الماء العذب وقد
استغل بالنسوة المرضى والقيم عليهن مثلهن من النسوة ولم يكن هذا الا
سبيطال لطاعتهم وانما بناه احد من اكابر النصارى وجعل عليه اوقافا
كثيرة ومحضه للنسوة اللواتي لا اهل لهن ولا مال وبجنبه الدار التي تصنع
فيها المدافع دار كبيرة اشتملت على بلاطات عديدة كل بلاط استقل
بعمل يتعلق بامور المدافع في البلاط الاول به عدة مدافع كملت صنعتها
ولم يبق لها الا الحمل على القراريط الثاني به عدد من المدافع اخرجت
من البرييم وانفلت للخرط والمحرك للمدافع حال الخرط ناعورة تدور
بحركات لا تعب على محركها والمعلم الذي يخرطه بيده التي يجريها على
المدفع من راسه الى ذنبه حتى يخلص الثالث فيه ايضا عدة مدافع
في البرييم وكيفية تبريمها منها ما يبرم مثل المكحلة مبسوطا وهو المدفع
المتوسط ومنها ما يبرم قائما وهو المدفع الكبير يربط بين صواري
بكمنات في الهوى ووجهه مقابل الارض والبرييم ممكنة في جوفه تدور
بثلاث نواعر اثنان متوسطان والثالثة قائمة فالمبسوطة الموالية
للارض تحرك القائمة والقائمة تحرك المبسوطة التي فوق وبوسطها البرييم
المتمكنة في جوف المدفع واستغلت حركة هذه النواعر الثلاثة
بحركة بهيمة واحدة وللمدفع المعلق حركات في النزول شيئا فشيئا حتى
يستوعب البرييم منه قدر المحتاج اليه ثم البلاط الرابع وهو الموالي
للمحل الذي تفرغ فيه المدافع به عدد كثير من القوالب وقد وقفنا
على الموضع الذي يذوب فيه النحاس فاذا هو مرتفع عن ارض البلاط
بثلاث قامات وصورته كالصهريج وقد علت عليه قبة لها باب واحد

على صنعة المدافع النسخ

يدخل

27

يدخل منه النحاس ثم يلقى عليه الحطب ثم يسد بالبنيان وله منافس يخرج
منها الدخان وتنفذ منها الرياح لداخل الفرن وبعضها متسع لزيادة
الحطب ان احتيج اليه وهنالك بلاطات اخر مملوءة بالنحاس وبجنب هذه
الدار دار تصنع فيها القراريط بها من المعلمين اثنان وثلاثون معلما
من الحدادة يصنعون ما تحتاج اليه القراريط من العمل ومعلمون اخر
استغلت خدمتهم بالعمل الغليظ مثل المخاطف وما في معناها بهم اثنى
عشر معلما والمعلمون ضعف الضعف وبازاء الاكيار صواري من المعدن
باعلاها جرايرُ بها سلاسل تدني المخاطف للنار بحركات فاذا اخذ القدر
المحتاج اليه من الاصطلاء تخرجه وتلقيه على الزبرة ثم يتضرب فيه
المعلم بمقمعة بما يظهر له من احكام الصنعة ثم يعيد العمل حتى يستوفي
الغرض من ذلك ثم عبرنا دار ازبيتة من هذه فاذا هي قدر قرية في غاية
الطول والعرض وبها عدة مقاعد كل مقعد به عدة من الصبيان على
قدر الطبقات في التعليم ممن يتعلم الحروف الى من فوقه ثم الذي فوقه
وهكذا وعدد هؤلاء الصبيان الحاضرين في الوقت مائة وخمسون وهذا
العدد عندهم لا ينقص وكل من استكمل علمه ذهب لما هو مهيأ اليه
من التصرف البحري يخلفه غيره والصبيان لا يخرجون من هذه الدار المذكورة
قط وموضع نومهم له شبه بالاسبيطال الذي به المرضى كل واحد منهم
بسريره وبين السرير والذي يليه قدر ما يمر به الانسان وتحت كل سرير صندوق
به حوائج صاحبه وباحد المقاعد سفينة صغيرة قدر الفلوكة مشتملة على
جميع ما تحتاج اليه السفن اجمالا وتفصيلا بحيث يقرا الصبي الكتب المشتملة
على علوم البحر وما يتعلق بالة المركب وكل مسألة ترسخ في ذهنه من طريق القراءة
تؤيدها مباشرته للمركب الحاضر معه فيحصل على اليقين علما ومباشرة فمنهم
عدة كذا دمانجيه ثم الاسطارياس ثم الرياس فما دونهم ممن يتوقف عليه المركب

وبهذا المحل

في حركاته ولا يخرج احد منهم من المحل المذكور حتى يستكمل معرفته للامر
الذي هو معين اليه ويباشر من حينه رئيسا او من تحته والمعلمون للصبيان
ثلاثة شيوخ طاعنين في السن غاية ثم عدة يمين دونهم في العلم والسن
يباشرون تعليم الصبيان الصغار المبتدئين وقد اوقفوا الصبيان امامنا
حال التشييع صفوفا ادبا وتعظيما لنا فامرناهم بتسريحهم ثلاثة ايام
رحمة بهم واستراحة مما هم فيه من التعب وقد اجاب المعلمون لذلك
فخرج الصبيان ولهم ضجيج يقولون بيبا وان مراد بيبا فحضور معناها
بالعربية الله ينصر سلطان مراكش الله يعيش الباشادور ولما كانت
اخر ليلة من اقامتنا احتفل ولد الحاكم الليلة لم نر مثلها في جميع ما رايت
جمع فيها اهل المدينة واحضر فيها النسوة والبنات خاصة وعامة
ولبسن من الثياب ما يشاكلهن في الحسن وقلدن من اليواقيت الممنطقة وغيرها
ولا شك ان القصد منهم اظهار القوة والسعة في المال وما هم عليه من البسط
والنعم وهيا لهذه الليلة العدد الكثير من الثليات مما يزيد على الاربعة
الاف استوعبت القباب والمقاعد والمباحات وصحن الدار وكذلك بالطبقة
العليا من الدار واوقد من الشمع ستة الاف وثمانمائة شمعة ما بين المنارات
البلورية والحسك المتصلة بالمرآت المستوعبة في حيطان المقاعد والقباب
والمباحات والحسك الموضوعة بالارض بين صفوف الثليات والشمع
المنتظم على متن الدرابيز بالطبقة العليا وكذلك بالحلقة المتصلة بالسطح
ثم الشمع المجعول بالرياض الذي بجنب الدار وسياتي ذكره والكثير من هذا
الشمع من ثلاثة اذرع طولا وعرضه قدر الساعد باكثر وقد حضر لهذه
الليلة جميع من بالمدينة من الاعيان مراكيس وبسيانا وغيرهم من ذوي الا
قدار في جنسهم وكبار الجرابلية وغيرهم والقاضي وممن يماثله في المرتبة
وجعلوا بكل قبة من القباب جماعة من اهل الموسيقى والموضع الذي نحن فيه

استقل

استقل باعيانهم من الرجال والنساء والبنات المقطوع بحسنهن وما زالت
النسوة والبنات الخارجة عن المحل الذي نحن فيه يترددون الينا فيجلسن بين
ايدينا هنيئة ثم يذهبن ويأتي غيرهن وولد الحاكم واقف على قدم يقرب ويبعد
ولم يحجب احد منهن فحصل من هذا استيعابنا بالنظر نسوة المدينة
وبناتهن كما لم يبق احد منهن رؤيتنا في ليلة واحدة وعند الفراغ من عمل
ولد الحاكم من التقريب والتبعيد للنسوة اقبل علينا طالبا ان نذهب
للرياض الذي بجنب الدار لنجد به بعض الاستراحة من تعب الازدحام فلم نجد
بدا من مساعدته وقد اقتفا اثرنا كل من كان في الدار فوقا وتحتا نساء ورجالا
فاذا بالرياض يضاهي ضياؤه نور الشمس من اتقاد الشمع بالصفا لتين اللتين
باعلى السور والقدر الذي بين الشمعة والتي تليها قدر ذراع فما طول الشمعة دون
ثلاثة اذرع وبجدار السور طرف مرصعة بالاجر عرضها اربعة اذرع وضعوا
بجدار السور وفي المقابل له من الترصيف منارات من الكاغيد على شكل الفادوس
وافية العلو في كل واحد شمعة والفرجة التي بين المنار والذي يليه قدر
ذراع وهناك طرق اخر في وسط الرياض على الصفة في الترصيف واتقاد
الشمع به يمينا وشمالا ثم منارات اخر معلقة بالاشجار وهناك صهاريج استوعب
حواشيها انتظام الشمع وكذا الصهريج المتقدم ذكره صاحب البلوكة
استوعب جميعه شمع مع كبرطة البلوكة الجالسة لاهل الموسيقى فهيئوا
لنا موضعا بشط هذا الصهريج فما شعرنا الا والنسوة يتزاحمن على المحل الذي نحن
به الكل يطلب رؤيتنا الى ان تفاقم الامر الحاج فيما بينهن من شدة الازدحام
فطلبنا من ولد الحاكم ان نعود للدار وتعللنا بغلبة النوم وما الم بنا من الالم
الناشئ عن السهر فاجاب فلما تزحزحنا من المحل علم الكل بالانصراف
فهيئوا للتشييع وذهب كل لحال سبيله ومن الغد استعملنا السير بعد
الاعتراف لولد الحاكم بما هو عليه من النجدة والادب والصواب ووعدنا

بابلاغ ما رايناه منه من الترحيب والاكرام لطاغيته وذهبنا في حفظ الله
وامانه قاصدين مدينة قرمونة عن ثمانية اميال

الخبر عن مدينة قرمونة

مدينة في حجر ربوة وبقنة الربوة قصبة للمسلمين رحمهم الله سورها
في غاية الطول والعرض باق على حاله غير ان ابراج القصبة وسور
المدينة هد البعض منه وبداخل القصبة دار جيدة كانت على عهد عمارها
من المسلمين للمتولي امر المدينة معدة لسكانه والان يسكنها حاكم البلد
وابواب المدينة صارت الان في وسط بنيان احدثه الكفار خارجا عن المدينة
الاسلامية هو قدر المدينة متصل بها من خارج على البنيان القديم افضل واحسن
مما احدثه الكفار في الارتفاع واحكام التشييد وقد برز للاقاتنا على بعد
من المدينة خلق كثير بخيولهم الكدائش فرحبوا بنا واظهروا من الفرح والبشاشة
ما لا يكيف وعبرنا المدينة في ازدحام بين رجال ونساء وصبيان الى ان انتهينا
للدار المهياة لنزولنا وهي من خيار دور المدينة ومازال حاكمها وقاضيها
يستاذنان في دخول الاعيان علينا بقصد السلام والترحيب بنا ولهم رغبة
وغبطة في التحدث معنا وسؤال الاول كالثاني فلم يسعنا الا الايجاب واهل
المدينة اهل نظافة وحسن ولهم ميل للمسلمين وتحنن والكثير منهم ينتسبون
فلله الامر من قبل ومن بعد وارجاء المدينة في غاية البسط وجودة التربة
وقد استغل شرفها بغروس فواكه واشجار الزيتون وغربها بالحراثة اقمنا بها
يوما وسافرنا منها ليلا قاصدين مدينة العوينطي عن خمسة عشر ميلا بين
اشجار الزيتون مستقيمة الصفوف في الغراسة

الخبر عن مدينة العوينطي

هي مدينة صغيرة بالنسبة للتي قبلها مشيدة على ربوة وحكمها حكم
التي تقدم ذكرها حرفا بحرف من تشييدها على ربوة والقصبة للمسلمين وبها

دار

29

دار يسكنها المتولي امرها في الوقت كما كانت على عهد الاسلام الى غير ذلك
مما هو مقرر قبل الا ان اهل هذه المدينة هم بادون محض وقد برز منهم للاقاتنا
خلق كثير وفعلوا ما فعل من قبلهم من الترحيب والتعظيم وتحت
المدينة خنادق عديدة وقد ضربوا على كل خندق قنطرة ذات اقواس فخام
اقمنا بها بقية يومنا واستعملنا السير الى الليل في جل الحر الخارج عن
الحد قاصدين مدينة ايسخا على مرحلة قدرها اثني عشر ميلا جميعها اشجار
الزيتون وارض حراثة

الخبر عن مدينة ايسخا

لحقنا بها ضحوة وقد تلقانا اهلها بالرحب والسعة وشاهدنا من
فرحهم بنا ما فيه زيادة عن تقدمهم والمدينة على شفير الوادي المسمى
بشنيل عليه قنطرة في غاية الضخامة واتقان البنيان اقواسها احد عشر
وعن يسارها عدة ارحاء متعددة الاحجار جريان الوادي مستوي الارض
استواء تاما من غير حافة وجرف وبه دواليب لسقي بحاير وخضر وبشطه
اشجار متسوية الصفوف من الاشجار العظام في العلو والضخامة غير انها
لا ثمار لها وانما هي للظل ذاهبة مع الوادي الى ما انتهى اليه البصر
قيل انه كان على شط هذا الوادي مقاعد واجنة معدة للنزهة على
عهد المسلمين رحمهم الله وبعدهم قد اندثرت تلك المراسم وبادت ولم يبق
الا الاثار من الجدارات فقط وهذا الوادي يجد المقبل عليه في نفسه نشاطا
وانبساطا بالخاصية لما حاز من النضارة والحسن في جريانه وبسط ارجائه
وطيب هوائه وعذوبة مائه وفي كل عشية يخرج اليه اهل المدينة
نساء ورجالا منهم بالكدائش ومنهم راجلين يستنشقون النعيم المتولد
بارجائه من جريانه وقد شاهدنا منهم العدد الكثير ذاهبين بشطه
في الكدائش ايبين وقد اخبرنا ان ذلك دابهم وديدنهم بكل عشية
في سائر الفصول واما ديار المدينة منها ما هو باق على عهد الاسلام من ضيق

الشوارع والتشييد بالاجور وتابيت ومنها ما غيره الكبار وشيدوه
بالحجر المنجور على عادتهم في بناءاتهم وبالجملة ان جميعها ديار في غاية
الحسن وبهذه المدينة عدة مساجد اسلامية عبرنا جميعها فاذا بمسجدها
الاكبر له صحن به سبعة اشجار من النارنج والمباحات الدايرة بالصحن
محمولة على اثني عشر سارية من الرخام وداخل العترة اربع وعشرون
سارية حاملة لبلاطات الجامع علوها كالشواهق وصومعتها كذلك
وللجامع خمسة ابواب واما سور المدينة فقد سقط ابراجه وباقيه
متلاش والبنيان داخله وخارجه اقمنا بها يومان للاستراحة وفي
اليوم الثالث استعملنا السير ايضا قاصدين مدينة الراملة عن ثمانية
عشر ميلا

الخبر عن مدينة الرّاملة

مدينة مشيدة على ربوة وديارها غير شاهقات وشوارعها متسعة
وهي بين الكبر والصغر يليها من القرى العدد الكثير واهلها اهل فلاحة
وقد استوعب ارجاؤها اشجار الزيتون من الجهات الاربع ومحاطق كثيرة وقد
انضم لهم عند الملاقات خارج المدينة من القرى القريبة منها قوم لا ياتي عليهم الحصر
واظهروا من الفرح والمباشرة ما فيه زيادة على من تقدمهم ونزلنا بخيار المدينة
المشتملة على العدد من المقاعد المدينة بالفرش المنتخبة مع ما يضاف لذلك من
اتقاد الشمع واحضار اهل الموسيقى وغير ذلك مما فيه تعظيم واكرام وفي هذه
القاعدة من اشجار النارنج قيل انه من غرس المسلمين وهناك قصبة كانت على
عهد الاسلام هدمها القوم ولم يبقوا منها الا برج في غاية الطول والعرض وقد هيا
اهلها فرجة عندنا قبالة الليل بان جعلوا برجا من الكاغيد كانه صومعة داخله
قواعد ومحرقات سجنوها بالبارود على ما اقتضته حكمتهم ثم صوروا ثورين
من الكاغد ايضا وسجنوا جميع جوارحه بالبارود وقد حمل كل ثور رجل ولما
اتصلت النار بذنب الثور جعلت المحارق تخرج من جميع جوارحه ومن العجب

ذلك

ذلك لفراج المدافع من البرج ثم يتبعها من المحارق العدد الكثير غير ان لخروجها
على شكل غير معهود وذلك ان في اخراج المحرقة الواحدة وصعودها للجو
وضعة غريبة وهي اذا توسطت الجو تعددت في اخراجها عدة محارق ثم
تتبعها محارق اخر ثم اخر بتعدد اصوات المحارق في الجو كل واحدة بعشرة وبين
العشاءين ورد علينا الدار التي نحن بها عدد من الخيل بفرسانها عليهم ثياب
بيض وبرؤوسهم عمايم وبايديهم شمع توقد قدر كل شمعة ثلاثة اذرع وقد
تقدمهم رجلان حاملان لوحة قدرها في الطول والعرض اربعة اشبار مكتوب
عليها بالقلم العجمي اسم الباشادور وتاريخ وروده على بلادهم وعلقوها بباب
الدار التي نزلنا بها وانصرفوا عنا بعد ان ادوا الواجب وقد اكرمهم رب الدار
ولم يعتهم منا اكرام ولرب الدار بتعليق هذه اللوحة بباب داره مزية وافتخار
في جنسه واللوحة كتبت بامر اهل المدينة وقد امر لرفعها على الباب المذكور
الخاصة منهم والعامة وباخر تلك الليلة استعملنا السير قاصدين مدينة قرطبة
على خمسة عشر ميلا

الخبر عن مدينة قرطبة

هي مدينة عظيمة هايلة مشيدة على شفير الوادي الكبير الجامع لاودية
الاندلس وشرقيها جبل غير شاهق معمور معمود بزياتين والاجنة التي لا ياتي
عليها الحصر وكذا الديار التي به وهذا الجبل قريب من المدينة اسمه سيرمورين
شهرته اغنت عن التعريف به ولما اشرفنا على المدينة من ربوة وشاهدنا
ما شاهدناه من تشييد ديارها وصعود مادنتها وتمييز جامعها الاعظم العلوي
عن جميع المباني واستدارتها بالسور الاسلامي وجدنا في نفوسنا من الاسف عليها
ما ضاقت ارواحنا من اجله كيف وقد تذكرنا من كان بها من المسلمين رحمهم الله فلله
الامر من قبل ومن بعد نسال الله تعالى ان يعيدها دار اسلام وعلى بعد منها بما يقرب
من مسافة بريد للملاقات من الخلق ما ضاقت عنهم الارض وقد قدموا لنا الكداش
وركبناها غير بعيدة من الكداش الشبيلية وذهبنا في وسط القوم بين اهل الموسيقى

وغيرهم من آلة الطرب والاعيان راجلون امامنا والشاظاظ يطردون
القوم عنا وكلما قربنا من المدينة تكاثرت الخلق حتى انهم ستروا
ارجاءها بنفرهم على الارض نساء ورجالا وصبيانا الكل يرحب ويبدي
من الادب في مباشرته ما يعجز عن تكييفه فلما انتهينا الى القنطرة
المضروبة على الوادي وجدنا بها من الخلق ما اوجب وقوفنا دونها
نحو الساعة في انتظار فراغها من القوم الذاهبين امامنا فاذا هي
قنطرة من اعظم القناطر في العلو والفخامة لها من الاقواس ستة
عشر وبطرفها من ناحية المدينة باب المدينة والجامع الاعظم
قريب منها جدا وقد عبرنا ازقتها في صفوف من الخلق بين ديار في
غاية العلو من خمس طبقات ما قل لها شراجيب مطلة على الشوارع
معمورة بالنساء والصبيان ولهذا الجمع من الخلق داخل المدينة
وخارجها ضجيج منذ اشرفنا عليهم الى ان وصلنا الدار المعينة لنزولنا
ومعنى لفظهم بالعربية نصر الله سلطان مراكش والدار التي نزلنا
بها من اجل ديار المدينة واجملها هي لحاكم البلد ولم يال جهدا في انتخاب
الفرش وبسط الستور حيطانا وسقفا من الديباج وقد اقتفى اثر
صاحب اشبيلية في الاكرام والبرور غير انه لم يساعده الوقت للاتيان
بكل ما اتى به صاحب اشبيلية لعمارة بلاده واتساعه في المال ومن
الغد ذهبنا للمسجد الاعظم مصاحبين للقيمين عليه من اهل بلنسية
وحاكم البلاد وقاضيها والقسيسان المصاحب لنا في طريقنا المبعوث
من طاغيته فعبرنا من احد ابوابه فاذا هو من اعظم مساجد الدنيا
في الطول والعرض والعلو الفادح حتى ان الاقواس المنعقدة على
سواريه العديدة فوقها اقواس اخر لعلو سمكه ومنذ عبرنا هذا
المسجد لم تفتر لنا عبرة مما شاهدناه من عظمته وتذكرنا ما كان

عليه

عليه على عهد الاسلام وما قرئ فيه من العلوم وتليت فيه
من الآيات واقيمت به من الصلوات وما عبد به الله تعالى وقد تخيل
في الفكر ان حيطان المسجد وسواريه تسلم علينا وتهش الينا من
شدة ما وجدناه من الاسف حتى صرنا نخاطب الجمادات ونعانق
كل سارية ونقبل سور المسجد وجداره ولما انتهينا الى
المحراب الاسلامي فاذا هو باق على حاله لم يحدث به تغيير غير ان
الكعبة محجورة بشباك من النحاس بحيث لا يدخله احد ولم ندر ما
السر في ذلك الى ان فتح علي في فهم موجبه حسبما يسلمه كل مومن و
ذلك ان هذا المحراب اشتملت قوائمه وبناءاته على اية قرآنية ظهرها
الله سبحانه ونزهها عن لمس الكفرة ومباشرتهم لها وقد حماها جل
وعلا بما القاه في قلوب المشركين ولا مرية ان اسلافهم تشاءموا
من عبوره لامر حدث بسبب دخولهم اياه كان فيه وبالا عليهم فحجروه
بسبب ذلك وما زالوا مقتفين اثرهم في تحجيره والمؤيد لهذا الفهم
هو لجاهم لسكناه واحتياجهم اليه غاية ومع ذلك منعوا منه جبرا
لانهم يتخذون بيوتا بهذا المسجد كيفيتها انهم ياتون للبلاط المتصل
بسور الجامع يقطعون من كل ساريتين او ثلاثة بلوح من الجهات الثلاث
هي بيوت سكنى اعيانهم واي نسبة لهذه البيوت لنفس المحراب
المشتمل على قبتين والرقم وحسن التشييد فعلى كل حال انهم ممنوعون
منه بسبب وقد حاورت الكلام على شانه مع بعض القرابلية لنستخرج
ما عنده وقد استحسنت فعلهم في تحجير المحراب وصادفته فيما يزعم
من انه لا يدخل المحراب الا وقت الصلاة فقط ومن دخله في غير وقت
الصلاة يخاف على نفسه الهلاك والعياذ بالله فاجاب هو كذلك
وهذا كلام صحيح فهناك تحقق ما كنت اظنه ولم يبق لي فيه شك

ولا ريب وقد الزمت كبير العرابلية القيم على الجامع بفتح المحراب فاعتذر
بعدم وجود المفتاح في ذلك الوقت فلم نقبل عذره وقد عاب
عليه ذلك الحاكم والفتيان المصاحب لنا فلم يسعه الا الاجابة فذهب
وعاد عن فور وبيده المفتاح ففتح ودخلنا المحراب من قبة متصلة
به خارجة عنه وهو في نفسه قبة وشكله في البنيان مثمن كل ثمن
استقل بلوحة من الرخام طولها عشرة اشبار وعرضها سبعة
اشبار وقد استدار باعلى الرخامات خط كوفي في غاية الحسن
والاتقان مفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى وقوموا لله قانتين ثم بعده امر الامام المستنصر بالله عبد
الله الحاكم امير المومنين اصلحه الله بعون الله بتشييد هذا المحراب
رغبة في جزيل الثواب وكريم الماب فتم ذلك في شهر ذي الحجة
الحرام سنة اربع وخمسين وثلاث مائة ثم يتلوه ما كان تتميما الدايرة
المحراب قوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك
بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ثم بدايرة ثانية فوق
الدايرة الاولى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم
وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو
اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو
سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله
هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير ولخارج المحراب يمينا وشمالا بسم
الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ثم يتلوه امر الامام المستنصر بالله
عبد الله الحاكم امير المومنين مثل ما تقدم ذكره حرفا حرفا والتاريخ اخره

وبوسط

وبوسط القبة الخارجة عن المحراب المتصلة به ثلاثة مقابر في صناديق
من الرخام لم ءال جهدا في البحث عنها ولم اقف لها على اثر وقد غلب
على الظن انها للمسلمين ولو كانوا للكفار لاعتنوا بالتمويه عليها
بالرقم والكتابة حسبما هي عادتهم في مقابر اعيانهم سيما وهم جاهليين
بما هنالك وقد اتخذ الكفار بوسط الجامع تربيعة في غاية الوسع
بين سواري اربعة عقد واعليها قبة صاعدة في الهواء بعد ان هدوا
عدة من سواري المسجد الرخامية وجعلوا موضعها سواري بالبنيان
استدارة الواحدة منها اربع وستين شبرا بوسعة التربيعة
بوسع السواري بعضها من بعض وقد استدار بالسواري شباك
من النحاس المذهب وداخله شباك اخر من العود متصل به اتخذوا
هذا الموضع لمصلاهم وجعلوا بها طلبانهم مع تصاوير عديدة حائطا
وسقفا بعضها من الذهب وجلها من اللوح والحجارة وداخل هذا
الموضع ثليات وبسوط وصناديق الموسقي وجعاب من النحاس
وبعضها من الرصاص فاذا حركوها بالها من الحركات تتولد منها
نغمات تسمع من بعد بائن وقد تقدم ذكر ذلك مفصلا في جامع اشبيلية
ثم مواضع اخر منها ما اشتمل على ذخاير منارات ذهبية وفضية
ومنها كالقبة من الذهب المنظم بما يعجب منه من اصناف اليواقيت
والزمرد والجواهر وغير ذلك مما لا نعبر عنه لعدم المعرفة بما يسمى
به ثم نحو المخزانة فاذا فيها ما شاكل برجا مثمنا له شرف من
الذهب وبعضها من الفضة وهو بنفسه بعضه فضة وجله من الذهب
جميعه منظم باليواقيت النفيسة فقط بها ونحا كل ذلك من اثر
ملوكهم اذ عادتهم ان كل من ولي امر رعيتهم يفعل مثل من تقدمه او
يزيد عليه في كل كنيسة من كنايسهم وهذا الموضع هو بمثابة الخزاين

الحافظة للامتعة والذخاير ثم مواضع اخر تسكنها العرابلية
وهي الابهاء التي بين السواري المتصلة بسور المسجد ثم قبة متمنة
لا يسكنها احد وانما هي عندهم معظمة محترمة لا يدخلها الا من
ومن وقد استغل كل ركن منها بسارية من الرخام حاملة لثمانية من
العرابلية يحسبهم الناظر انهم في قيد الحياة فمنهم من هو باكي ومنهم
من يداه مبسوطتان للهوى ومنهم من عيناه شاخصتان لسقف
القبة الكل واقف على قدميه وهذا الموضع لا يدخله احد من غير
العرابلية الا من اراد ان يقبر له ولا يصل اليه الا بعد بذل المال الذي
له بال فوضعوا لنا شلياث هنالك استرحنا بالجلوس عليها
وجعل كبير العرابلية يحدث عما كان عليه هؤلاء العرابلية في قيد
حياتهم من العبادات والطاعات وما نالوا على ما التهم المعهودة
لهم والمعروفة منهم فحبهم الله واخلى منهم الارض ثم قبة قريبة منهم
من المحراب يصعد لها بعشرة درجات هي من عمل المسلمين اظنها كانت
استراحة للخطيب لم يكن مثلها في البناءات العجيبة لما اشتملت
عليه من رايق الصنع المشتمل على ترليج وتجبيص وتمويه بالذهب
في الخشب والجبص وتعدد الوان الخطوط المشرقية والكوفية وغير
ذلك مما يتعجب منه وانها باقية على حالها الاسلامي الى تاريخه
وسواري هذا المسجد الرخامية اثنا عشر مائة وثمانية وعشرون
سارية وعلى ما قيل انها كانت اربع عشر مائة سارية وسبع سواري
وقد غيروا النصارى بعض السواري الرخامية بغيرها بالبنيان فاذا اعتبر
موضع السواري المحدثة وحسب لموضع السواري القديمة حصلت
على العدد المحدث وطول هذا المسجد ستمائة وقدمان وعرضه ثلاثمائة
وخمسة واربعون قدما وطول صحن الجامع قدر طولها والعرض دون

عرضها بقليل والمباحات الدايرة بالصحن محمولة على سواري من القبة
وبوسطه اشجار النارنج عددها ثمانية وتسعون وثلاثة من النخل
وشجرة من اللوز ومثلها من الزيتون واربعة وعشرون شجرة من البلنز
في غاية الطول وبه صهريج واحد وتسع خصص يصعد الماء منها
ما يقرب من قامة وصومعتها مشيدة على احد ابوابها و
مدارجها مائتا درجة واثنان وعشرون درجة وابواب الجامع
ستة عشر سد منها اثنان وبقيت الاربعة عشر يعبر منها الان وقد
استدار بسور الجامع من خارج محفظات يصعد لها بعشرة درجات
وعرضها عشرة اشبار وسورها القايم موثق بسواري ثابتة
من السور متصلة به بل هي من نفسه فهي بمثابة الابراج من السواري في
بين كل سارية والتي تليها عشرة اشبار وبناء السور وسواريه
من الحجر المنجور لا يميز بين الحجر والذي يليه الا بعد التامل وامعان
النظر لاتقانه في النجارة والتقويم وقد استوعبنا المسجد بالعبور
من يوسنا ولم يبق الا بعض البيوت التي يسكنها العرابلية لم يسعنا
عبورها لاقبال الليل وادبار النهار وخرجنا عن المسجد قرب الغروب
وبقي في الخاطر شيء من البيوت التي لم نعبر على انها ليست من الامور
الاكيدة وانما هي بيوت تسكنها العرابلية عبرنا الجل منها وتحققنا
ما هنالك ومع ذلك وقع في النفس شيء منها وكلما اداع الاهتمام
يعودي لعبورها تجدد ولم يسعني الا الزمت حاكم البلاد بالعود
للجامع بالحاجب فاذا بعتبة داخل اول بهو دخلته لوحتان من الرخام
متصلة بالارض مكتوب على كل واحدة منها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى
الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم وما بعده تاريخ بناء الجامع ومن
زاد فيها على الاولين من الملوك واحدا واحدا فلما اشرفت على القبيحتين

بادرتني العبرة وسقطت على الحجرتين امرغ عليهما شيبتي وانجلى
عنهما الغبار بلحيتي ولم استطع رفع راسي عنهما من القشعريرة
التي ادركتني عند مشاهدة ذلك وفي الحال جمعت كبار البرابلية
واقمت عليهم حججا ناشئات عن غيرة اسلامية لم يسعهم معها الا
قولهم هم جاهلون بما هنالك فقلت لهم الان رفع عنكم الجهل فما
انتم صانعون الان فقالوا ما تشير به علينا وتامرنا به في هذا وغيره
قلت له امركم بقلع اللوحتين وجعلهما باعلى سور المسجد فيا
جابوا الذلك بعد ان راجعوا وماجوا وجعل كبيرهم يواعد بقلعهما
فجلست جنب البيت الذي به اللوحتين وقلت للحاكم والقاضي
والقسيسان للصاحبين لنا لا نبرح من هنا الا اذا اقلعت هذه الحجارة
او اقيم بهذا المحل الى ان ياتي امر الطاغية بذلك ومازال الحاكم والقسيسان
يتلطفان في السؤال والطلب في الامهال الى الغد لفوات النهار
وعدم الامكان في قلعها ورفعهما للموضع اللائق بهما في الحال ولم
يسع الا الاجابة بعد ان اخرج البرابليين من هذا المحل وقبض من يده
الذي به الحجرتان ومن الغد جعلت باعلى السور كما كانت في القديم
على ما اخبرت به بكشف الغيب ان الاهتمام الواقع في النفس بالعود
للجامع واستيعاب ما بقي من الابهاء بالعبور هو الهام من الله تعلى
وارشاد لعبده غيرة منه سبحانه وتعلى على اسمه واسم نبيه عليه
الصلاة والسلام وقد ادخر الله هذه الفضيلة لسيدنا المنصور
بالله وجعل تطهير هذه الاسماء الشريفة على يدي الكريمة واثبتها
في صحيفته كل ذلك اعتناء من الله تعلى بسيدنا وتاييدا له ولو كانت
كانت نتيجة هذا الصلح وفائدته الدنيوية والاخروية التوصل لقلع
هاتين اللوحتين من المحل الذي كانتا به واعداء الله قطاع عليهما

لكبت

لكبت فخارا وعظمة لجانب سيدنا ايده الله واعتناء لمرضي الله تعلى
ورضى رسوله صلى الله عليه وسلم مع ما يترقب به من فكاك المسلمين
من الاسر واستخلاص كتب الاسلام من بلاد الكفر المتخلفة عن عمارها من
المسلمين رحمهم الله فيما سلف وقد بشرنا بالحصول على المومل حيث
افتتحنا هذا الامر الذي وجهنا اليه بالامر المطاع بقلع هاتين اللو
حتين وقد كان ذلك اول الفتوحات والحمد لله **وأما** اهل المدينة
القرطبية فجلهم اهل حرف ولم يرو تواسعة من المال والمدينة في غاية
النظافة وبينها وبين شبيلية مناسبة في الحضارة والكبر غير ان
شبيلية اكثر منها عمارة بالخلق والمال ولها سور من عمل المسلمين
هدم بعضه وجله باق على حاله وتحت قنطرة واديها عدة ارحاء
والاجنة والاغراس دائرة خارج سور المدينة متصلة به لا ياتي عليها
الحصر مشتملة على فواكه صيفية وخريفية وبغربي جامعها الاعظم
قصبة كانت لملوك الاسلام يسكنها الان قاضي البلاد وبشط
الوادي خارج القنطرة عدة ديار واصطبلات لخيل الطاغية
هنالك اقمنا بها ثلاثة ايام وسافرنا قاصدين مدينة الكرابي
من خمسة عشر ميلا وقد تعين ذكر ما اشتملت عليه فنقول

الخبر عن مدينة الكرابي

هي مدينة صغيرة بالنسبة لغيرها على بسط من الارض قريبة
من الوادي الكبير وبارجائها اشجار الزيتون التي لا ياتي عليها
الحصر واهلها اهل بادية وقد احاط بالمدينة سور من عمل المسلمين
رحمهم الله متلاش غير ان ابراجها ما زالت قائمة وبالوادي دواليب
تسقي بها بساتينهم ومجابرهم وبقرب من هذه المدينة عدة مداشر
وقرى ومخارجها ثلاثة قناطير مضروبة على خنادق هنالك اخبرنا

ان الغنادق في زمن الشتاء هي من الاودية العظام اقمنا بها يوما
وكان منها رواحنا المدينة اندوخر عن واحد وعشرين ميلا جميعها
زياتين وارض حراثة

الخبر عن مدينة اندوخر

هي مدينة مشيدة بشط الوادي الكبير بعير لها على قنطرة في
غاية العلو والضخامة لها من الاقواس ثلاثة عشر وبين كل قوس
والذي يليه قوس صغير غير واصل للماء معين للاقواس المذكورة
حال السيل وقد برز لملاقاتنا اهلها بعدة اكوابش وخيول على بعد
من المدينة مع ما انضم اليهم من الخلق المجتمع من المدن والقرى القريبة
منهم ما لا يات عليه الحصر وقد ابدوا من الفرح والترحيب ما اقتفوا
به اثر من تقدمهم هي في نفسها من المدن المعتبرة في الكبر والضخامة
واهلها اهل حضارة وقد اخذوا نصيبهم من الحسن واخبرنا ان الكثير
منهم من بقية الاندلس ولا يستبعد ذلك لان اخلاقهم ليست كاخلاق
الروم وفي ميلهم للاسلام ومحبتهم ما فيه الخبر علامة لذلك وبارجاء
المدينة من البساتين والاغراس شيء كثير وهناك قصبة المسلمين
رحمهم الله ومن جملة فرحهم بنا واكرامهم وتعظيمهم ايانا ان هيأوا فرجة
بالمحارق فيها زيادة على ما شاهدناه قبل من تعدد الابراج وحشوا
كل محرقة بعدة محارق وقد طلبوا منا المقام عندهم ليتداركوا ما
فاتهم من الاكرام فجازيناهم خيرا واعتذرنا لهم وسافرنا ليلا على
العادة قاصدين مدينة بايلان عن اثني عشر ميلا وقد تعين ان نخبر عن
عن بعض ما اشتملت عليه فاقول

الخبر عن مدينة بايلان

هي مدينة صغيرة حضرية واهلها اهل رفاهية وحسن خلق واخلاق

وقد

وقد بالغوا في الترحيب عند الملاقاة خاصة وعامة نساء ورجالا
وفعلوا ما فيه زيادة على من تقدمهم من التعظيم والتبجيل لان عادة
هذه المدن المعبورة البحث عما يفعله من قبلهم وللثاني رغبة
وغبطة في الزيادة على الاول وقد استوعب ارجاء المدينة
زياتين وفيما بينهما وبين سور المدينة قدر ميل وهذا الميل
ارض حراثة تتصل بديار المدينة وقد استدارت بسور
المدينة اشجار التوت وباحد نواحيها قصبة للمسلمين هدمت
من الجهات الثلاث والجهة الرابعة باقية على حالها ستة
ابراج وفي وسط ابراج القصبة برج في غاية الطول والعرض لم
يحدث به تبديل ولا تغيير لقذوه لخزن الزرع وقد صعدنا
لسطحه من مدارج في غاية الضيق اشتملت على مائتي درجة
تنقص ربعة بقصد الفرجة واستيعاب نواحي المدينة فراينا
منه مدينة عظيمة في جرجبل وبازائها قصبة الكل في غاية الجدة
فسالنا عنها فاذا هي مدينة من مدن الاسلام اسمها بينة باقية
على حالها الاسلامي وكذا قصبتها نسئل الله تعالى ان يعيدها دار
اسلام على يد سيدنا الكريمتين وما ذلك على الله بعزيز وقبل
هذه المدينة بقليل تركنا الوادي الكبير يمينا ودخلنا ارضا
ذات اشجار وجبال ووعر وادح فلم يسعنا الا ترك الكوابش وركبنا
خيلا من خيول السلطان الذاهبين معنا واستعملنا السير
بين جبال صعبة بها معادن الرصاص وكان رواحنا الدار بين جبال لين
معدة لمن يعبر سبيله من هنالك ولم تكن طريقة غيرها فقط
واسم هذه الدار لينط مراند عبرناها عن ثمانية عشر ميلا ومن الغد
سافرنا بين جبال شاهقة انتهت بنا الى جبل له شبه بعقبة الحجاز

وبغتة بنيانا جعلوه علامة على حد اقليم الاندلس واول اقليم
مانشا واول مدينة من الاقليم المذكور كان بها مبيتنا مدينة
البيسوا عبرناها عن اثني عشر ميلا

الخبر عن مدينة البيسوا

مدينة بدوية واهلها اهل بلاحة وارضها ارض حراثة وبها تنتج
البغال وقد شاهدنا بعضها من البغال تسرح في ازيد من ميل
ومنها تستمد البلاد الاصبنيولية بالبغال ويقرب منها وادي جار
لناحيتها عليه قنطرة عبرناها ضحوة من غداة ليلتنا في اثناء
سيرنا لمدينة بلط بنيس حللناها عن اثني عشر ميلا ولم يال
جهدا اهلها في الترحيب والاكرام

الخبر عن مدينة بلط بنيس

هي مدينة بين الكبر والصغر واهلها باد ون نخص وبنواحيها الاربع من الاجنة
واغراس الفواكه ما يزيد على ستة اميال على ما حدث به اهلها واما براح العين
بشيء لا يكيف وقد نزلنا بدار عجيبة جدا من احسن ديار المدن المعتبرة وقد
بالغ اهلها في الترحيب والاعتذار عن اداء الواجب وطلبوا منا الاقامة
عندهم ليتداركوا ما لم يمكنهم وجوده في اليوم الذي حللنا بلادهم
يجازيهم خيرا وقلنا لهم لا زايد على الاكرام الصادر منكم والمباشرة
الناشية عنكم واعتذرنا لهم بما هو مقبول من عدم امكان الاقامة
ولما تابع السير في الثلث الاخير من الليل قاصدين مدينة منسنارس عبرناها
عن اثني عشر ميلا

الخبر عن مدينة منسنارس

مدينة بدوية بين الكبر والصغر تلقانا اهلها بملاقات من قبلهم بالرحب
والسعة والتعظيم والاجلال ونزلنا بخيار ديورهم هي لحاكم البلاد
ولم يال جهدا في اتقاد الشمع وانتخاب الفرش وقد اتى باهل الموسيقى

على

على ان البلاد بدوية محض فتعجبا من وجود ما استقر لنا به اجمالا
وتفصيلا وكشف الغيب انه احتفل لذلك قبل ان نصلوا اليه وقد
افتى من تقدمه بالطلاق المحارن غير انه اتى في اطلاقها بكيفية
غريبة تصعد المحرقة من الارض للجو قدر قامتين ثم تنحط حاذا
وصل الارض يتولد منها صوت كصوت المدفع فسالنا عن ذلك واذا
صانعها اراد ان تنفجر في الصعود على قامتين خشية صعودها في
الجو فتصيب قوادر الزرع من خارج المدينة وبارجاء هذه المدينة
اجنة عديدة وارض حراثة سافرنا منها اخر ليلتنا قاصدين مدينة
ارينسيا عن واحد وعشرين ميلا وفي خلال هذه الاميال عبرنا في وسط
مدينة اسمها بلرط وباخر المدينة قنطرة مضروبة على غدير من الماء
لا ينعدم ماؤه في الفصول الاربعة ولم تكن طريق غيرها للعابر ولهذه
القنطرة ثلاثة وثلاثون قوسا من الاقواس المتوسطة العلو العظيمة
في الضخامة والمدينة متسعة جدا غير انها بدوية كاهلها وديارها
مموهة بالجير داخلا وخارجا ولها من احد نواحيها اشجار مستوية
الصعود في غراستها لا غارلها

الخبر عن مدينة ارينسيا

مدينة كالتي قبلها في البدوية وانها بين الكبر والصغر وقد برز اهلها
للملاقات خاصة وعامة واظهروا من التعظيم والتبجيل والاكرام ما
قدروا عليه وكان نزولنا بدار احد تجارهم دار غير بعيدة من ديار
المدن المعتبرة والعجب ما رايت عند صاحب الدار عدة حمر كانها
البحث لا تخرج من اصطبلاتها الا في وقت مخصوص بقصد بقصد التي
النتاج ثم تعود لمحلها ذكر لنا ان ثمن الواحد منها سبعمائة ريال
وقد عير بعض اصحابنا راس احد الحمر فاذا طوله ثلاثة اشبار ولم يال

جهار رب الدار واهل المدينة في الفرح والترحيب بنا عند الملاقات والحال التشييع ارتحلنا قاصدين مدينة طنبليكي عن واحد
وعشرين ميلا

الخبر عن مدينة طنبليكي

مدينة متوسطة بدوية برز اهلها لملاقاتنا وقد اقتفوا اثر اخوانهم فيما هم مامورون به من طاعتهم من المباشرة والاكرام والوقوف على قدم في الترحيب والتعظيم وعند اقبال الليل اطلقوا المحارف وعند طلق كل واحدة يرفعون اصواتهم بكلام تعريبه الله ينصر سلطان مراكش والدار التي نزلنا بها احسبها من ديار الخواص ما دون شبيلية وقرطبة ومنها كان رواحنا لمدينة مورة عن اثني عشر ميلا

الخبر عن مدينة مورة

مدينة مشيدة في بسيط الارض ولها من الجهتين جبلان على قنة كل جبل منها قصبة من عمل المسلمين لحراسة البلاد كل قصبة مطلة على ما يزيد على اثني عشر ميلا من الارض والجهتان الاخريان لم يحجب المدينة حاجب لبسط الارض وبها الجنة العنب ما لا نهاية له والمدينة متسعة غاية غير ان بنيانها غير شاهق ولا منتخب وانما هي ارضية وبنيانها بالاجر والتابية وعليها اثر القدم وسكانها اهل بادية اقمنا بها بقية يوم الحلول بها وسافرنا منها قرب الفجر قاصدين مدينة بلاصيك
عن خمسة عشر ميلا

الخبر عن مدينة بلاصيك لاماكي

هي مدينة صغيرة بالنسبة للمدن واهلها اهل حضارة وديارها متقنة البنيان بسيحة الشوارع برز لملاقاتنا من اهلها خاصة وعامة نساء ورجالا مصاحبين للاكداش وقد بالغوا في الترحيب واظهار البشاشة

والفرح

والفرح بورودنا على بلادهم وذهبنا في وسط القوم الى ان وصلنا للدار المهياة لنا فاذا هي مزينة بفرش منتخبة وستور مناسبة واحضروا اهل الموسيقى للحال زيادة في الاكرام والبرور وقبل وصولنا لهذه المدينة بقليل قطعنا الوادي الكبير المسمى بانطاخو وهو المار بمدينة طليطلة وقبل الوادي بنحو المسافة تظهر طليطلة عن يسار عبورنا وعلى شفير الوادي غابة متلفة بالاشجار وهي معدة لاصطياد الطاغية محجرة لا يصطاد بها غيره ولا يوخذ منها حطب وقد شاهدنا بالغابة بعض الوحوش من غزلان وغيرها تسرح امنة وبشط الوادي دار عجيبة هي لنزول الطاغية ومحل استراحته حال اصطياده لا يسكنها احد ولا يدخلها الا الحداد الموكل بنظافتها ولهذا الوادي قنطرة وليست بقنطرة وانما هي بمثابة المعدية عندنا الا انها من اللوح مسمر على قاربين عرضها ما يسع عشرين رجلا جنب كل واحد لصاحبه والطول ضعف العرض وبالعدوتين صواري ممكنة من الارض وبها كمنات غلظها قدر الساعد تتصل بالمعدية فاذا حملت المعدية العابر يجذبها اليه الموكل بقطع الوادي حتى يمكنها من الارض يحمل فيها اكداشا وبغالا وخيلا وغير ذلك فاذا اردت الرجوع للشط الاخر بعد الحمل ودونه يجذبها ايضا القيم عليها من الجهة الاخرى فيصل العابر في امن وامان من غير مشقة ولا خوف داية ولهذه المعدية اضبابطات من اللوح يمينا وشمالا خشية الازدحام من الدواب وغيرها زيادة في التحفظ على العابرين والمدينة المذكورة كان رواحنا لمدينة ايلاصكاص عبرنا
اليها عن تسعة اميال

الخبر عن مدينة ايلاصكاص

مدينة حكمها حكم التي قبلها بحيث لم تخالفها في شيء من ارضها ولا في اهلها

خلفا وخلفا وقد اقتفوا اثرا اهلها في الملاقات والترحيب وما
يناسب لذلك والمدينة بدوية محض ومنها كان رواحنا لمادريد عن
عشرين ميلا عبرناها بين مدن وقرى عديدة والمدينة الموالية
لمادريد هي مدينة كبيرة جدا يقال لها الخطاب يسكنها الشلطاظ
وعليها اثر القدم والطريقة المواصلة لمادريد هي في وسطها
وكانت تتردد عليها رسل الطاغية منذ خرجنا قرطبة بالترحيب
والسلام من طاغيتهم يعودون اليه مخبرين بمحل مبيتنا كل
ليلة ليلة فلما كانت الليلة الاخيرة من سفرنا وكنا ازمعنا
على ان نقصد الدار التي هو بها وهي على بعد من مادريد
بنحو ستة اميال لان عادته ان يسكن زمن الصيف والخريف
ديارا خارجة عن مادريد ينتقل من هذه لهذه لما اشتملت
عليه هذه الديار من الهواء الطيب حال المصيف وقد
لحق بنا في اثناء طريقنا احد من اعيان خدمه مصاحبا
لكتاب مضمنة التهنئة بالقدوم وامر الفسيان المصاحب
لنا ان يذهب بنا لمادريد ويكون نزولنا بداره وقصده
بذلك الاكرام والتعظيم لان مادريد هي حاضرة للحواضر عنده
ولا نسبة بينهما وبين الدار التي هو بها الان وتقدم بعض
المراكيس الذي يتكل عليه في مهماته ليهيئ الدار ويزينها
بالفرش وما يناسب لذلك وامره ان يتهيا لملاقاتنا مصاحبا
لاعيان البلاد والشلطاظو والة الطرب والقونطوات
والباشادورات من سائر الاجناس ففعل ما امره وزاد عليه

الخبر عن مدينة مادريد

وقد برز لملاقاتنا على بعد من المدينة بما يقرب من مسافة مصاحبا

لخلق

لخلق لاياتي عليهم الحصر خاصة وعامة نساء ورجالا وصبيانا
الكثير منهم في الاكداش ثم الخيول ثم الراجلين وقد ضاقت
عنهم الارض مع وسعها وكان يوما مشهودا وكان ما قبله
بالنسبة لما شاهدناه كالغدير من البحر على ان ما شهدناه
من اجتماع الخلق بالمدن المعمورة المعتبرة شيء يعجز عن تكييفه
ثم ان هذا الجمع لم يبق تعجبا مما تقدم ومع ما هم عليه من
هذه الجموع الوافرة لا قدرة لهم على مباشرة القتال اصلا
الا ما كان من رمي المدافع والبنب واستعمال الخدايع وما في
معنى ذلك واما المحاربة على بسيط الارض بالخيول والرماح
مكافحة من غير حصن فلا طاقة لهم بذلك فان المائة
الف منهم تغلبها العشرة الالاف من المسلمين بنص الكتاب
العزيز ولولا ان ما عاهم البحر لاستوعبهم الهلاك في اقرب مرة
وهم عارفون بذلك ولذلك استعملوا جهدهم في تحصين المدن
المتصلة ببرنا بجعل الابراج والبساتن وتعدد الاسوار وتنظيمها
بالمدافع وغير ذلك من الة الحرب ويوهمون ان مرنهم مثلها
في التحصين دفعا لما عسى ان يقع في نفس الاسلام من الاهتمام
بالقطع اليها مثل ما تقدم في الفتح الاول فان عوض هذا
لمحاربتهم للاندلس واستيلائهم على الجزيرة يجاب عن ذلك
بالحقيقة والشريعة اما بالحقيقة وكان امر الله قدرا مقدورا
تعالى ان يكون في ملكه ما لا يريد واما بالشريعة فلو كان
والهة الا الله لفسدتا فان تعدد الامراء وانتصار بعضهم
على بعض واتباع الاهواء يفضي الى الحرب والعتو والعياذ

بانه وأما العدد الكثير فقد وعد الله تعالى عباده بالنصر
عليه والظهور فلا يلتفت للكثرة منه ولا القلة وهذا
امر مسلم وقد استعملنا السير في وسط هذا الجموع وشلظا
ظهم تدفع عنا القوم بالسيوف واعيانهم راجلين امامنا
متادبين كأنما على رؤوسهم الطير فانظر عزة الاسلام وما
اودع الله تعالى في سيدنا المنصور بالله من السر والعظمة
وقد انتهى بنا السير الى قنطرة عظيمة هائلة
عبرناها في ازدحام عظيم مضروبة على الوادي الذي
بقرب المدينة اشتملت على تسعة اقواس في غاية
الطول والعرض وابتداء بنيان هذه القنطرة قبل نفس
الاقواس وبعدها بالترصيف والستاير عما يقرب من الميل
وتحت القنطرة اقواس معقودة على سواري من الرخام
والمسافة التي بين القنطرة والمدينة ما دون نصف
الميل بقليل وبساحل الوادي عرشانا من القصب واخبية
للنسوة من حر الشمس حال تصبين اثوابهن بالوادي وارجاء
المدينة في غاية البسط عامرة باشجار الثمار لما جلبها
بطرفي الطرقات يمينا وشمالا ولقرب غرس الاشجار
بعضها من بعض واستواء صفوفها صارت تحجب الارض
من نفوذ نور الشمس لانتشار الاغصان من اعلاها واختلا
طها بالجو وامتداد هذه الاشجار بالطرقات العديدة
منها ما نهايته عشر مسافات الى الاربعين الى ما دون فا
لعابر يذهب بين صفوف الاشجار الى البلاد التي يريد
مظللا وقد استوى في العبور العارف بالطريق والجاهل

بها لذهابه بين صفوف الاشجار والاشجار واصلة اليها فهذا في
كل مدينة مدينة ومن خارج المدينة المادريدية متصل بها
جنة كثيرة اشتملت على فواكه خريفية وصيفية على ما شاهد
ناه قبل الدخول اليها لان الموكل من قبل الطاغية على بلاد فاتنا
كان يعرج بنا حال العبور وعلى هذه الاماكن وقد تلقتنا
قرب المدينة الكداش هي للطاغية فركبناها ودخلنا المدينة
في هيئة عظيمة وعز وكرامة لم تحصل لمن قبلنا من رسل
الملوك المتقدمة ولا شاهدوا ما شهدناه ولما حللنا
دار الطاغية في جمع عظيم جعل الشلظاظ يدفعون عنا القوم
ولم تزل اعيان الدولة تتردد الينا بقصد الترحيب والسلام
بقية يومنا ومن الغد وبعده الى ان اعترانا من ذلك الم نشأ
عن التعب والنصب حيث لم نجد استراحة مقدار لحظة لما
للقوم من الغبطة في الحديث معنا والسؤال عن سيدنا ايده
الله والرغبة في الاطلاع على ما هو عليه من الاسلام وذكر كل
مدينة مدينة على حدتها الى غير ذلك من السؤال الموجب
لطول مقامهم لدينا وسؤال الاول كالثاني وهاكذا ثم ورد
خبر موت ام الطاغية فلم يلبثوا الا وقد لبسوا ملابس سود
وذهبوا معزين لطاغيتهم فحصل لنا بعض الاستراحة ومنذ
بلغ خبر موتها والنوقيس لا تفتر من الضرب بخطة تسعة
ايام بضرب مخصوص فيه علامة على موت احد من اقارب
الطاغية زوجته او امه ودخل الطاغية دار الحجبة الى امر
معلوم عندهم لا يتكلم مع احد ولا يدخل عليه الا من كان من خاصته
وقد اقام مقامه الوزير في مباشرتنا ومؤانستنا برسايله وكتبه

مضمنها ان عظيمهم كان في غاية الانتظار والتشويب لملاقاتكم
وقد حدث هذا الامر الموجب لبعض التاخر عن حصوله على
المقصود من رؤيتكم وبالقرب ان شاء الله تكون الملاقات ويحصل
الكل على مراده وان عرضت لكم حاجة نحو رتقضا بها فان
طاغيتهم امرهم بذلك وحضهم عن الامتثال لما نامرهم به بتحيبه
جاءنا سبب في الوقت **ولما** تاخرت الملاقات بالسبب المذكور
شرعنا في الكلام على الدار التي نزلنا بها وذكر ما اشتملت عليه
من فخامة البنيان وارتفاعه في الجو وما يضاف لذلك مما يضيق
عنه التكييف ويعجز عنه التعبير فنقول على طريق الاختصار هي
دار تسع دايرتها ما يتيي دار من الديار الكبار المعتبرة فبابها منفا
عرها لا تحصى ولا تستقصى كل مقعد او قبة تشتمل على اربعة
ابواب وقوايم الابواب في البنيان مع عتبتها العليا والسفلى من
حجر واحد غير منفصل منها ما هو من المرمر ومنها ما هو من الحجر
الابيض ومنها ما هو من الاصفر الذي يشاكل اللوبان ثم من الحجر الذي
مشجر خلقي ومثله في الاخضر وكذا غيره بالبياض والسواد الكل
من معادن هنالك كل قبة او مقعد يستقل بنوع من انواع الحجارة
المذكورة يشاهد فيها الناظر وجهه كالمراءات لجودتها في الصقالة
ثم بزوايا القباب والمقاعد رخامات في غاية البسط كلها من
المعادن المذكورة ومنها ما فيه زيادة هندسية تتعجب منها
وهي جعلهم تشجيرا يشتمل على الوان مختلفة على بسط الصحيفة
من المرمر الشديد السواد والتشجير المذكور فوق الصحيفة
كانه من نفسها حيث لم يعل على بسطها جرم اللون الموضوع عليها
فان قيل انه صبغ فكيف يمكنه الصبغ مع تعدد الالوان واتصال

قضب

40

قضب التشجير بعضها ببعض مع اختلافها في الالوان فاذا اتصل اللون
الواحد بغيره وقع المزج فان قيل يوخر اللون الثاني عن الاول حتى
يتمكن الصبغ الاول من الصحيفة ثم يمر عليه بلون اخر وهكذا يعارضه
اذا جعل اللون الثاني فوق الاول المخالف له واتصل الجرم بالجرم
المجعول فوقه ينشا عنه علو على بسيط الرخامة والرخامة هي
كالمراءات في الصقالة والصفاء والبسط فهذا والله مما يتعجب منه
وهذه الرخامات منها ما يجعل عليها اواني ومنها ما يتخذ ونها للكتابة
جميعا محمول على كراسي من الجبص المموه بالذهب وعلوها من الارض قصب قامة
وسقف هذه القباب والمقاعد منها ما هي شبكة من قصب الذهب
متصلة برخام مبسوط بالسقف ومنها ما استوعب تصاوير ومنها
ما هو منسج بالوان عديدة وحيطان المقاعد والابواب ستور من
الديباج المذهب وغيره من القماش الرفيع كالكمخة والموبر وما شا
كلهما في الصفة الكل مسمر بمسامر من الذهب وكل مقعد او قبة
بجنبها مقعد للنوم هو دون المقاعد في الكبر ولحسنها في الفراش
والستور وبهادة خاشيش من القماش المسمى ببركاظوا **واما** الشليات
فقد استوعب المقاعد والغرب والمنازه كلها من الديباج المذكور
وبناء هذه الدار جميعه بالحجر المنجور في قائمة والمبسوط ولم تكن
بها خشبة في ساير بنائها الا ما كان بقوايم الابواب واما الواحها
فمن خالص البلور والقوايم التي هي من الخشب مموهة بالذهب
وقد استوعب حيطان المقاعد والغرب من اعلى الستور مراءات طولها
خمسة عشر شبرا وعرضها تسعة اشبار جميعها من ماء واحد غير منفصل
وقد عثرنا على قبة مشيدة بين بساتين يحيط بها من الجهتين والبساتين
مشتملة على فواكه مختلفة المطاعم ولهذه القبة عشرة ابواب نافذة كلها

للبساتين المذكورة يمينا وشمالا والابواب العشرة هي كا
لابهاء لها شبابك من النحاس المذهب وعليها ستور من
القماش المذكور وفيما بين الباب والذي يليه مرءات
متصلة بدائرة والقبة خارجة من الابهاء التي هي الابواب النا
فذة للبساتين على الصفة المذكورة في الطول والعرض ومن
اعلى هذه المرءات القائمة مرءات اخرى مبسوطة فهي من
المرءاة التي بين الابواب بمنزلة التاج لها والرابط بين المرءاتين
صفائح من الذهب وبنحو الثلاثين من علو هذه القبة مباحات
نافذة بعضها البعض على الاربع جهات محمولة على برواز لها
حيائط من النحاس المذهب مطلة على وسط القبة وقد استوعب
هذه المباحات تصاوير قائمة على اقدامها جنب دقة المنزلة و
اعلا سقف القبة في شبكة من قضب الذهب على شكل غريب
في الصنعة وبصدر القبة المقابل للداخل قبة صغيرة مثمنة من
البلور قسم المهندس كل ثمن على ثمانية اشطار فاجتمع مائة
وثمانية وعشرون شطرا قسمها عرضا على ما جعلها مربعة
الاشطار فصارت القسمة على شكل بيوت الجدول
غير ان كل بيت فيه شبر في طوله والعرض وجعل في كل
تربيعة لوحا من البلور متصل الاطراف بعضها ببعض وبه
تعريج خفي حكمت به الاستدارة الاصلية في التثمين
والتربيع ذلك انه اذا عبر عابر هذه القبة تعدد جرمه
بتعدد الالواح البلورية فالشخص الواحد يبلغ عدده العدد
العدد الكثير بتمثيل كل لوح من الالواح لشخص العابر والباب
الذي يدخل منه الصفة فاذا اغلق بعد عبور العابر واراد الخروج

يغلق

يضل على الباب ولا يهتدي من اين دخل للقبة الا اذا ارشد لها
ثم عبرنا قبة اخرى الى جنب هذه القبة فاذا هي اكبر
واضخم من التي قبلها بكثير وبها من العجب ما ليس بغير
ها وذلك لما عبرنا من بابها نحو عشر خطوات تلقتنا
درابيز من المرءات والدرابيز مطلة على مهوات والقدر
الذي بين الدرابيز وارض المهوات قدر ما بينها وبين سقف
القبة وهذه الدرابيز مستديرة بمباحات نافذة بعضها
لبعض مقسمة على اثنين وخمسين قسمة كل قسمة بين
ساريتين والسواري في نفسها مثمنة هي من المرءات صاعدات
من متون الدرابيز وقاعدة السواري وبسط الدرابيز الرابطة
للمرءات صفائح من الذهب وقد نزلنا المهوات
من مدارج من الرخام فاذا هي قبة في غاية الطول والعرض
ارضها من اللوح وفيما بين بعض اللوح والذي يليه فرجة
قدرها اربعة اصابع تنفذ لمهوات في باطن الارض عمقها
قدر نصف علو القبة فاكثر وتقابل الفرجات التي بين
الالواح الارضية قلوع مطوية على عمود من الخشب
قرب السقف وبجنب القبة صنادق الموسقة
ونواعر واكداش وغير ذلك من الاشياء التي لا نعبر
عنها ولا ندري ما تسمى به منها برد خشب طوله
عشرة اشبار وعرضه ثلاثة اشبار على الاستدارة
فاذا وقع يتولد منه صوت هائل يشبه صوت
السيل العظيم الممطر بالحجارة ولا يزال يصوت مدة
وقوعه فاذا ضعف صوته يجعلون ما ليه سابله فيشتد

صوته ايضا وهكذا ولا ينقطع صوته الا اذا اسند
للارض فيسال الناعورة عن ذلك وباذا القبة معدة عند الطاغية
للفرجة وما بها من الاشياء المذكورة هي الة لاهل
اللعب لها والمباحات المستديرة بنصب القبة هي محل
جلوس الطاغية مع زوجته واولاده للفرجة وخواصه
وهي المسمات عندهم بالكميدية وبسور البساتين
المحيطة بهذه القبة والقباب المتصلة بها تصاوير
من اعلا السور ويجدراته ينحتون من جبسه من نفس السور
محارب ويجعلون بكل محراب صورة ادم قايما على
قدميه ومثل ذلك من خارج السور ايضا ويوسط احد البساتين رخامة
علوها من الارض قدر قامتين وعرضها ستة اذرع عليها فرس من النحاس ٥
وراكبه من النحاس ايضا وبيده عصى والفرس وراكبه في غاية الضخامة
يزعمون انه هو الباني للدار التي نحن بها وهو من اعيان ملوكهم واسمه قلب
الكوارط اي الربع وبعض الاغراس المذكورة النباتات الذي يخطون بفتله
من تشجير وتصاوير وغير ذلك مما شاء وقد تقدم ذكر بحيرة اشبيلية لا بد
في اعادته ويتصل بخارج سور الدار بستان الطاغية في غاية الطول والعرض الشجرة
مستوية الصفوف لا ثمار لها وبه صهريج كانه البحر وقد استدارت به قباب
من جميع نواحيه مضروبة على سواري عديدة وما وصل نافذ الصهريج
ولا مدد له الا من ماء السواني المذكورة ودوران دوابها على التابيد وللبستان
طرق عديدة مارة بين الاشجار والقيم على هذا البستان مجتهد في نظافة طرقه
ورشها بالماء حال المصيف مع سقي الاشجار وما تحتاج اليه من تنقية
وغير ذلك وله عدة من الخدمة يساعدونه على ذلك وتحت ظل
الاشجار كراسي من اللوح كل واحد يسع العشرون من الناس في الجلوس

عليه

42

عليه منها ما هو بشط الصهريج ومنها ما هو خارج عنه وهذا البستان يعمره
كل عشية الغني والفقير والجليل منهم والحقير وبه يجمع كل انيس بانيسه
ذكورا واناثا فعندما باح الطاغية عبوره لكل احد كان من كان وفي اي وقت
كان وبطرف هذا البستان دار رضية متمنة بكل ثمن من اثمانها بيتان يقابل
بعضها بعضا على استدارة ابوابها في الطول والعرض واحد وداخل الابواب
شبابك من المعدن وباذا هي دار الاسود كل اسد داخل الشباك بسلسلة ومن
ذلك الشباك يطعم ويسقى واذا اراد القيم على الاسود نظافة محله يجذب
الاسد بسلسلته الى زاوية من زوايا البيت ويفتح الشباك حتى ينقضي وطره
من البيت ويعود الشباك والاسد الى مكانهما عليه وقد راينا بهذه الدار اسدا
على غير خلقة اسدنا هو اقرب شبها بالعجلة الصغيرة التي عمرها
سنة قيل انه جاء من الهند ثم دخلنا دارا بضاحي قريبة من دار الاسود
في غاية الكبر والضخامة لها مغاعر لا تحصى يصنع فيها الوداع في غاية
التحجير لا يدخلها الا من اذن له الطاغية وقد كان الطاغية امر بفتح منا
لمواضع مخصوصة عندهم بالفرجة زيادة في الاكرام منها هذه الدار المسماة
بدار الميثنة فتلقانا صاحبها بالرحب والسعة وقد صعد بنا الى احد المقاعد
هو خاص بمن يعجن الطين كانه الجبص ثم مقعد ثان يصنعون به الاواني
من مناجل وجفان وصحون وغرابيب وكيسان مما رق وراق ولا فرق بين
صانع الاواني بارضنا وصانعيها هنالك في العمل الا ما كان من الطين وقد مثل
بين ايدينا شجرة من الياسمين مفتحة الازهار مبسوطة الاغصان ومثلها من
اشجار الورد الكل على خلقته يحسبه الناظر انه خلقي فكشف الغيب انه من
الطين وقد اخذ ما احتاج اليه بعد التصوير من الاخضرار والحمرة في خضرة
الاغصان والاوراق وبياض النور والحمرة كل على خلقته وجميعه من الطين
وهذا مما لا يجوزه العقل ويحار فيه ذهن مشاهده عيانا ثم عبرنا

مقعدًا ثانيا به عدة معلمين يشتغلون رقم الفناجل وغيرها من الاواني بالالوان و
الذهب وقد جارينا الكلام معهم في الصنعة والمراد ان نستخرج ما عندهم من عمل
الذهب في الاواني ولم يلتصق الذهب على الرخام والجبص وغير ذلك وقد اوهمتهم
بحجة الفتى في نفوسهم انه صاحب حكمة وانه سؤاله لهم سؤال تنكيت
بان اجابوا حصلت على المراد وان امتنعوا انما تسببوا الا في عدم حصولهم على ما
عندي من الحكمة التي هي اقرب واعجب مما عندهم ومررت عنهم مرور زاهد
بما في ايديهم ضنينا بما عندي بجاه واعتذروا عن كشف حقيقة ذلك حيث
حجر عليهم طاغيتهم الاعلام بذلك فقلت لهم نحن المسلمون لا يحجر علينا سلطاننا
اظهار الحكمة بل اذا اتصل بحريم علمه اننا كتمنا الحكمة وظننا بتعليمها
للطالب يعاتبنا عليها اذ ليست الحكمة عندنا تستقبل بنوع واحد وانما هي
حكم عديدة اذا القينا البعض منها بقي الكل ومصداق ذلك القينكم حكمة في
اثبات الذهب على الاواني والرخام والخشب وغير ذلك من غير افتقار
لاصطلاء في الاواني بعد وضعه عليها كيف تستعملون انتم في حكمتكم وذلك
ان تاخذوا وزن كذا من الغفار المسمى بكذا وتضيف له وزن كذا ثم تنقع الغفار
في ماء كذا مدة من جمعة وتستقطر الغفار فيدخر ما يستقطر منها ويوخذ
منه القدر المحتاج اليه فيكتب به على الاواني ثم تلقى عليه ورقة الذهب
فتلصق على الخط في الحال ولا يمحقها محو بالكلية وذهب الورقة ابهى
واجلى من الذهب المحلول الذي يستعملونه بالاواني فقيدوا عنا هذه الحكمة
النفيسة وبالغوا في التكلمات عليها والمجازات باللسان ونكصوا رؤوسهم
امامنا بعد نزع الشواشي واعترفوا بفضل الاسلام واهله وصار يحدث بعضهم
بعضا بما سمعه وراه في ذلك وغيره ومن الغد ذهبنا للدار الطاغية التي
بناها لنفسه واما الدار التي نزلنا بها هي لغير اسلافه من ملوك الاصبنيول فاذا
هي دار على شكل الدار المذكورة وبها زيادة كثيرة من عمل الرخام والتصاوير وسعة

القباب

48

القباب والمقاعد والاشكال المجزأة بهجة ونضارة وموقعا في النفوس والى الان لم تكمل
وبها من المشاغل عدد كثير مجتمعة من اهل الحرب على اختلافها ويضرب هذه
الدار دار معدة لخزين العدة وحفظها وهي من المواضع التي امر الطاغية بالعبور
اليها وقد بالغ القيم عليها في الترحيب واخبر انه مامور من طاغيته بمطالعتنا
على ما عنده بخزينته من السلاح مكاحل وسيوف واقواس وفرارف ودرقات
ودروع في المقعد الاول استوعب من الجهات الاربع خزائن مملوءة مكاحل
مرصعة باليواقيت والزمرد والمرجان ثم مقعد ثان فيه ايضا مكاحل مذهبة
وكوابس من الصفة ثم صناديق مملوءة بمكاحل استوعب سائرها حجر اليمنط
وغيره من الاحجار والجعاب مذهبة في غاية الجودة هي خاصة بالطاغية
لا يباشرها غيره حال اصطياده ومن هنالك خرجنا للقنطرة بقصد الحركة واستراحة
النفس ودفع لما اعترانا من الوخم وطول الاقامة بمحل غير موافق للطبيعة
الغريزية وقد اشار علينا بعض اصحاب الطاغية بالحركة وان نقصد بالعبور
بستانا عظيما خارجا عن القنطرة بما يقرب من نصف ميل فذهبنا اليه وقد تلقانا
اصحاب البستان بالترحيب والاجلال فعبرناه فاذا بداخل الباب صورة فرس
من النحاس وراكبه من النحاس ايضا مثل ما تقدم ذكره في البستان الاول وحكم هذا
البستان في الغراسة حكم ما قبله في مساواة صفوف الاشجار حتى ان بين كل
شجرة والتي تليها ثمانية اشبار ومما يتعجب منه ايضا مساواتها في العلو
والغلظ ولانتشار اغصانها بالجو واختلاط بعضها ببعض ينفذ نور الشمس
للارض بالكلية والاشجار لا ثمار لها ايضا وهناك ازقة بين اشجار مستقيمة
ضيقة جدا يصطادون بها انواع الطير وبهذا البستان خمسة صهاريج في
غاية الطول والعرض وباحدها قبة مشيدة داخل الماء لها دار بزخض على الاستدارة
وباقصى البستان دار يسكنها القيمون بشؤون البستان وبجنب هذه الدور
رياض في غاية الطول قسم على ست قطع بسلك منسوج والعرجة التي بين

السلك والذي فوقه وتحته وعن اليمين والشمال فربما تولج فيه النملة وبجنب
كل قطعة من الست بيت له باب نافذ للقطعة الموالية له وهذه الرياضات
الست المعبر عنها بالقطع كل رياض منها استقل بنوع من الطير بحيث الطير
يسرح بالرياض ويروح للبيت النافذ لمحل مقيله ومن الغد يعود للرياض وهاكذا
حكم ما بقي من الطيور وهذه الطيور على اضاءة الخلقة لم ير مثلها في بر العرب
بالكلية ثم منها ما اشتمل على الوان عديدة ومنها ما استقل بلونين مع مخالفته
في الخلق ومنها ما تشاكل في الخلق وتغير في اللون فسبحان القادر على ما يشاء
يحكم ما يريد وبهذه الغاية من الغزلان الكثير انيسة غير شاردة خلقتها
اكبر من خلقة غزلان بلدنا ومنذ خرجنا من سور هذا البستان ونحن ذاهبون
في ظل اشجار كالارزات طوله الى القنطرة وهنالك تحت الشجر خلق كثير والارض
منقاة من الازبال وقد رشت بالماء وللقيمين على نظافتها وبلها كل عشية
خارج له بال لان اهل المدينة يسترجون هنالك كل عشية على التابيد فمنهم
من يعبرها تيك الاماكن بالاكداش ومنهم راجلون كل على قدر ره
وبناء المدينة المادريدية جميعها بالحجر المنجور ودارها من خمس
طبقات فاكثر ولا تجد دارا الا ولها منزه في علو بادخ زيادة على علو
الديار المشتملة على خمس طبقات وشكل المنازه في البنيان متمن فاذا بلغ
الغاية في الارتفاع اقبوا عليه قبة مقرمدة بالرصاص وجعلوا لها
جامورا مذهبا وبعض الجوامر مفضضة تلمع في الجو بلمعان الشمس وعرض
شوارع المدينة ما يزيد على اربعين خطوة وترصيعها فيه زيادة على ما عهد
من ترصيف غيرها من المدن فقد قسم المهندس عرض شوارعها تربيعة
قدر كل تربيعة اربعة اذرع خططها بالحجر المنجور المبسوط وداخل كل تربيعة
بحجر صلد صغير على خلقته اقمنا بها ما يزيد على الشهر بايام فلا بد وفي كل عشية
من مدة اقامتنا يجتمع خلق كثير من النساء والرجال والصبيان براح متسع تحت

القفص

القفص الذي نحن به راغبين في رؤيتنا ولم يسعنا الا الاشراف عليهم ونشير لهم
باليد مرتين او ثلاثا وذلك في اعرافهم هو رد السلام عليهم وبه اذنتهم بالانصراف
فيضجون ضجة عظيمة فاذا هم يعلنون بنصر سيدنا ايده الله ويذهبون فرحين
مسرورين ومن الغد يعودون وهكذا الى ان بعث الطاغية يطلب منا الورود
عليه للمدينة الذي هو بها وبعث بالاكداش ركبناها وسافرنا من مادريد يوم بين
الظهرين ثاني شهر ربيع الاول عام تاريخه ولما جن الليل لحقنا دار امعرة لا
ستراح الطاغية في سفره بينها وبين مادريد تسعة اميال فقمنا بها نحو
الساعة واستعملنا السير بقية الليلة وفي ضحوة الغد نزلنا قرية اسمها
رواصة لحقنا بها عن ثمانية عشر ميلا فاذا هي ذات اشجار وثمار وعيون
وصاحب القرية لم يقصر في المباشرة والترحيب غير انه لم يقم لدينا الا
بقدر ما سلم ورحب بنا وذهب ولم يعد الينا فسالت عنه فاذا هو عامل من
طاغيته بامر لا يمكنه ان يتزحزح عنه لحظة وهو حراسة الذاهب والايب
من الطريق المحدثة التي يجبيه قرييته ولا يعبرها عابر الا اذا ادى ما هو موظف
عليها وبعد الاداء ياخذ خط يده بانه دفع ما وجب عليه بحيث اذا طلبه الثاني
ممن هم مكلفون بالطريق ايضا يستظهر له بخط يد الاول ويخلي سبيله وهذه
الطريق اصلحها الطاغية وانفق عليها مالا لانه شق الجبال وهدم
الشواهق وكم ضاع فيها من المسلمين رحمهم الله وكم اصيب منهم بالحجر عند
اخراج المينات بالجبل وطول هذه الطريقة المحدثة ما يزيد على سبعة اميال
ولم يزل المسلمون يخدمون بها الى الان وقد اشتكى من اسارى المسلمين اربع
وعشرون في الزمان الذي حللنا مادريد ولما اخبرنا انهم بالسبيطال بعثنا لهم
في الحال بعض اصحابنا للاعادة واصطناع صلة ووعدناهم بخير واخبرناهم بما امتن
به سيدنا ايده الله عليهم من الاكرام واحسانه المعهود وخيرناهم في قبض ما وجب
لهم بين اخوانهم من صلة مولانا المنصور بالله الان او يؤخر الى جمعهم باخوانهم

باختاروا التاخير خشية الطمع فيهم من المباشرين لهم بالاسبيطال وكنا وعدنا
لخوانتنا الاسارى الذين يخرجون بالطريق ان تكون ملاقاتنا بهم بالموضع الذى هو
على نزاههم فكتبنا لهم بالحال ووعدناهم بالملاقات عنده ونبه ان شاء الله تعلى
وقد استعملنا السير من الغربية المذكورة بين جبال شواهق غير ان الطريق هي
في غاية الصعود والانحدار ولم يكن بها وعر وقصدنا العبور للمدينة التي
بها الطاغية المسماة بالكرلنخة وقد تركنا مدينة سغوبية عن يسار العبور
بما يقرب من ستة اميال والاميال المعبورة من الغربية الى الكرلنخة نحو خمسة عشر
ميلا الخبر عن مدينة لاكرانخة ● هي احد الديار الربيعية التي يسكنها
الطاغية في الفصلين المعلومين المصيف والخريف لطيب هوائها وعذوبة
ما بها غير ان هذه احصى عنوة اذ والمراد هو الذى يتنزهها بعد ان تخيرها في الارض
الطيبة الهواء فلم يجد بها من هو شواهق عظيمة وقد ابدع المهندسون
في التشييد بازائها واخترعوا من الحكم ما لم يسبق لها غيرهم في البناءات و
التلاعب بالمياه والفيافى وسياق الكلام على ذلك بعد الفراغ مما تاكد تقديمه
من الملاقات بالقدوم حيث اشرفنا على المدينة فما عبرنا نحو ثلث الميل الا ورسل
الطاغية واردة علينا بالترحيب والتهنية بالقدوم على لسان طاغيتهم وفي اثرهم
خلق كثير من اعيان الكرطي ووزراء ومن دونهم في المرتبة مصاحبين كذاشهم هذه
لم نر مثلها بالبلاد الاصنيولية فرحبوا بنا كثيرا واظهروا من الفرح بنا والمباشرة
والتعظيم والتبجيل ما يكيف وخبروا بان طاغيتهم اصحبهم سلامه علينا واقامهم
مقامه في ملاقاتنا ونوبهم عنه في التهنية بالقدوم المصاحب للسلامة الى غير ذلك
من اداء الواجب عليه ومن جملة ما حدثوا عنه انه في غاية الانتظار للملاقات
والتشوف لرؤيتنا وما اخره عن البعث الينا ساعة وصولنا الماد ريد الا ما حدث من
وفات امه على ما اقتضته عادتهم واعرابهم تاخير الاشياء المعتبرة الى امد معلوم
عندهم حكمت به الاقدمون في الجاهلية وما زالوا مقتفين اثر من تقدمهم في ذلك فقلنا

لهم

من البلاد التي
سكنها كاعيتهم
ومرا لهم

لهم قد قبلنا عذره والزاير تابع لغرض المزار ثم قدموا لنا الكواش ركبناها وذهبنا
معهم في جمع عظيم الى ان انتهينا الدار المعينة لنا وهي في وسط بستان في غاية الحسن
والنظارة خارجة عن المدينة قريبة منها ذات مقاعد وغرف وشراجيب مطلة
على البستان المشتمل على اصناف الفواكه ولما استقر بنا المجلس طلبوا منا الاذن
في الانصراف وذهبوا لطاغيتهم في الحال مخبرين بالواقع وما زالت الاقوام تتوارد
علينا على قدر الطبقات الكل يحدث عن طاغيتهم بما حدث به الاولين من التهنية
بالقدوم ومن الغد بعث الوزير يطلب الوصول لداره بقصد الاكرام فركبنا وذهبنا
اليه وقد احسن المباشرة عند الملاقات وتكلم بكلام حسن واجيب بما هو مناسب
وخبر بان طاغيته مستغرق في محبة مولانا المنصور بالله بعضه وكله وله فرح بهذا
الصلح المنعم به عليه من الجانب المولوي اسماه الله تعلى ويطلب الله ان يجعله دايما
متصلا وقد سره ايضا سيدنا ايده الله على قدومه الواردين على مراسيه
المحروسة بالله بالاحسان لهم والمباشرة الى غير ذلك من الاعتراف بفضل سيدنا
عليهم وقد اجيب عن مقالته فصلا فصلا فاستحسن الجواب وانطلق لطاغيته
يخبر بما سمعه وراءه فتهيا الطاغية للملاقات من الغد وقد اعلمنا الوزير بذلك
فجعلت افكر فيما اخاطب به الطاغية عند ملاقاته بما يسوغ شرعا وقد لخصت
من الكلام ما المحذور فيه ثم مثل في فكري اذ دخلنا دار الطاغية وقد تذكرت قوله
تعلى ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون فجعلت اردد هاته الاية
مرارا ثم اهتديت لاختبار ما فيها وهاء العدد لنتفاءل بما تبديه القدرة في ذلك
فاذا المقاوم لها تنصرون بالله ثم عددت ايضا فيما بعدها من قوله عز وجل فاذا
دخلتموه فقام المقاوم له فاستبشرت بتاييد من الله ثم اختبرت جمال الاية فانكم غالبون
فاذا عدد نقطها عام تاريخه فبشرت في الحال بالتاييد والنصر على اعداء الله
وقد خرج في التوقيع ان انصرنا عليهم بالله وبشرنا بتاييد الله في هذه السنة
المباركة وهذا من الفتوحات الربانية المبشرة بالحصول على المومل وبلوغ

المقاصد فلم نشعر الا واصحاب الطاغية بالباب مصاحبين للكدش الذي يركبه الطاغية
ومعهم الوزير فسلم علينا وقال ان الطاغية يطلب رؤيتكم فركبنا وذهبنا اليه واتفق
بالفتح والنصر والتاييد فما قربنا من دار الطاغية الا وبرز لملاقاتنا هنالك خلق كثير
من اعيان الكرطي وغيرهم من الباشادورات من سائر الاجناس وما انضاف لهم من خاصة
وعامة وقد اصطفوا من باب المدينة الى دار الطاغية فلما اقبلت عليهم نزعوا الشمارير
وعكسوا رؤوسهم امامنا ومكثوا على حالهم متادبين كانما على رؤوسهم الطير تعظيما
لجناب مولانا المنصور بالله ولما دخلنا على الطاغية وجدناه قائما على قدميه وعن
يمينه احد العرابلية الملازم له واربعة من الوزراء عن شماله فلما قربنا منه نزع
الشمرير عن راسه وطاطا راسه شيئا ما فقلت للترجمان يسلم منا عليه فجعل
ثم رد علينا السلام وشفعه بكلام طيب لفظه الحمد لله على سلامتكم وكيف انتم
مع تعب الطريق وكيف كانت المدن التي عبرتم عليها وهل احسن اليكم عمالها فاجبناه
بما يناسب من ان اهل المدن لم يمنعهم تقصير في المبرة والاكرام الكلي بامرك وقد كتبت بذلك
لمولانا المنصور بالله فتحقق ما انت عليه من المحبة والخدمة فانبسط من جوابنا وقال
الله يجازيكم خيرا وجعل يسال عن سيدنا ايده الله وكلما يذكر سيدنا ينتزع الشمرير
عن راسه فقلنا له سيدنا والحمد لله بخير منصور مؤيد وقد امرنا ايده الله ان
نعلمك ونخبرك بما انت عنده من المنزلة التي لم تكن لاحد من الطغاة الصالحين
بانك المقدم فيهم والمميز انت وفوقك عن جميعهم مراعاة امتثال امر سيدنا المطاع
في شان الاسارى ومحبتك في المسلمين فانشرح من مخاطبتنا اياه غاية وقال ما انا
الا واحد من خدام سلطانك وعند امره ونهيه وكلما يامرنا به نفعله وقد فرحت
بهذه المهادنة التي انعم بها سيدنا علينا نسال الله ان تكون دائمة وحيث
طال وقوفه معنا بما يزيد على ربع ساعة ولم يمكنا ان نامر بالانصراف حياء
وادبا قلت للترجمان استاذنه علينا في الانصراف فقد اشفقت عليه من
طول وقوفه معنا وليس لجنابه هذا التعب الناشي عن سبب مباشرته ايانا

الموجبة

الموجبة لطول قيامه لان نفوس الولاة ليست كنفوس مطلق الناس فانشرح من
مخاطبتنا اياه بذلك وجعل يضحك وينظر للاعيان الحاضرين كانه يتعجب مما سمع ورءا
مما لم يخطر له على بال وقال جزاكم الله خيرا على هذا الخطاب الحسن فقد انشرحت صدورنا
وانستنا ارواحنا بحديثكم المستطاب المنبئ عن العقل الراجح والصواب فقلت
له بقيت لي عليك حاجة زيادة على الترحيب والمباشرة اذ مباشرة الضيف بالترحيب
واسعة مع اظهار البشاشة ضامنة لقضاء المآرب والحصول على المؤمل فقال
وما ذلك قلت له ان تعطي الاذن للوزير في الكلام معنا في الامور التي تعرض لنا
على الاجمال والتفصيل منها ما امرنا به من مولانا المنصور بالله ومنها ما اقتضاه
الحال وتعين في الوقت لئلا يحصل ثقل في سرد الاغراض على مسامعك وانا لا نرضى
ان نثقل عليك في ذلك فازداد بذلك فرحا وامر وزيره في الحال ان يتعاهدنا ويتفقد
احوالنا وان يباشرنا بمباشرته لعظيمه ويمتثل امرنا في جميع الاشياء من غير ان
يستاشره في شيء منها وانصرفنا عنه في عز وكرامة وما زال يحدث قومه بما كانت
به مخاطبتنا اياه ويقول ما راينا مثل هؤلاء المسلمين وما هم عليه من الصواب والعقل
والتمييز وقد اوصى اعيان دولته بالتردد علينا صباحا ومساء كل يحدث عن عظيم
ما هو عليه من البسط والانشراح مما اعجب به ومن بعث الباشادورات المذكورون
من ملاقاتنا بالطاغية على تلك الحالة التي لم تحصل لغيرنا من المسلمين فضلا عن
الكفرة وكتبوا بذلك لطغاتهم ومن الغد ذهبنا للسلام على اولاده بامر منه
حيث طلبوا من والدهم رؤيتنا واولاده الذكور اربعة اكبرهم من عشرين سنة
وبنية واحدة وقد لقنهم ابوهم ما يقولون في مباشرتهم ايانا على ما حدث به الوزير
ثم نصرنا لمحل الخيمة بعد ملاقاتنا بالاولاد فتلقانا اخوه بالرحب والسعة وما هو
من الخيمة ببعيد خلفا وخلفا فاخذ بايدينا ودخلنا القبة في غاية الحسن مزينة
بالفرش والستور والمرايات الثريات البلوريات وغير ذلك مما يتعجب به
وبصدر القبة كرسي من الرخام علوه من الارض نصف قامة باطرافه صبايح

من الذهب وقد علاه شاب ما وقعت عيني على احسن منه صورة قط وبيده شبابة
متصلة بفيه وانامله على ثقب الشبابة تتحرك بما تقتضيه النغمات ترفع وتخفض
وقد توسد ركبتيه كلبان احدهما باسط ذراعيه على ركبته اليمنى وعيناه شاخصتان
للشاب ولسانه وذنبه يتحركان تحركا تنضبط به حركات الميزان فهو بمنزلة الوساد
من اهل الموسيقى والكلب الاخر باسط يديه على ركبته اليسرى يحرك ذقنه فقط
وحالهما في الميزان واحد ولم نشعر بان الشاب والكلاب تصاوير من غير روح الا بعد
حين فالناظر على البديهة ولا بعد التامل يقطع ان ما شاهده من الصور لم تكن
من غير روح ولو بلغ في العقل وحدة الفهم والحذاقة ما بلغ وبشارة هذا الشاب
والدم الجاري في وجهه مع ما خالطه من البياض الناصع ما يتعجب منه فهو في
طراوة المراهق ومن العجب ايضا حركة في عنقه خفية مع تكميش ضعيف بطرفي
فيه لجمعه على الشبابة حال النفخ فيها والحركة التي بعنقه نشات عن اخراج الريح
من فيه ودفعه لباطن الشبابة لان حركة الفم والعنق واحدة وقد سالت اخا
الطاغية والزمته ان يطلعني على حركة ذلك وكشف ما في باطن الامر فنهض
في الحال وفتح بيده من احد جهة الكرسي بابا بحركات فاذا بناعورة من النحاس
الاصفر تدور بدوران ناعورة اخرى من خارج القبة بالماء وفي هذه الناعورة
تاتيه منها مسامير طولها قدر الانملة تتصل باوتار واصلة لانامل الشاب ويتفاوت
نقر الاوتار بالمسامير التي بالناعورة على ما تقتضيه النغمات فيقع رفع الانامل على
ثقب الشبابة وحطها وتقديم بعضها على بعض وهناك اكيار تنخفض وترتفع
بحركات الماء ايضا وما يتولد منها من الريح هو نافذ لفم الشاب من باطنه
ثم حركة اخرى على شكل عامود الميزان ينجذر تارة يمينا وتارة شمالا متصل
بطرفيه اوتار هي المحركة للسان الكلب وذنبه ثم وتر مفرد من نفس الاوتار المذ
كورة يحرك ذقن الكلب الاخر وعلى كتف الشاب قمري يخفق بجناحيه العلى
تابع لميزان النغمات المسموعة من الشبابة ثم انصرفنا متعجبين مما شهدنا

وقد بعث لنا الطاغية اخر اليوم وحتم علينا بالعبور لبستانه المتصل
بداره وكان فيها برجة مما صنعه المهندسون في جريان المياه على صفة غريبة
غير معهودة فدخلنا البستان بين الظهرين وقد حضر معنا خلق كثير نساء
ورجالا فيهم بنت الطاغية وغيرها من بنات اعيانهم فاذا هو بستان اشجاره
في غاية العلو مستوية الصفوف في غراستها وفيما بين الشجرة والتي تليها
سور من النبات الاخضر اليانع علوه قدر قامتين واغصانه ملتفة بالتي تليها
من الاغصان وقدر ما بين الشجرة والتي تليها بجنبها عشرة اشبار وصورة هذا
النبات المجعول سورا بين صفوف الاشجار اصله عود غلظه قدر الساعد واغصانه
لا تزيد على شبر غير ان هذه الاغصان استوعبت الاصل على الجهات الاربع مما يلي
الارض الى منتهى علوه الذي قدره قامتان فتتصل الاغصان بالتي تليها يمينا وشمالا
وما كان من خلف وامام فذلك وجه السور الحسن للطرق التي بين صفوف
الاشجار والحاجب لبعضها عن بعض وكلما مررت بطريق من طرق البستان شاهدت
ما شاهدته في الطريق الاولى ومن اعلى سور النبات المذكور بين كل شجرة والتي
بجنبها باب مخرصنة في وسط النبات من اصله نافذة للجهة التي عن اليمين
والشمال وهذا النبات يدبونه على القدر المحتاج اليه وما فضل عن مرامهم يقصونه
بالمقراض وبهذا البستان عدة صهاريج مدرجة فيتحدر الماء من اعلاها لما
دونه وهكذا فالصهريج الاعلى عمقه على ما قيل خمسة قامات باكثر وطوله
والعرض واحد وقد عبرناه من احد جهاته الاربع فاذا فيه ما يزيد على المائتي
خطوة ومنه تمتد الصهاريج الاخر المنحدرة عنه على التدريج وماؤه مجتمع
من اودية وعيون باعلى الجبل الذي عمره الطاغية وجعل به داره وبستانه
المذكور وبقيت جبال عديدة يمينا وشمالا على خلفتها في غاية الصعود للصهريج
قواديس من الحديد كالمدافع في باطن الارض متصلة بالصهريج الاكبر نافذة
للذي دونه فيتلقاه ما يخنقه ويمنعه النفوذ لعدة انابيب فاذا اراد نفوذها

لوسط الصهريج اولا انابيب بحاشيته يمكن قطعة من الحرير باحداق نادم من المعدن
قرب الصهريج نابتة من الارض قدر اربعة اصابع فيولج عين القطعة المذكورة
بالوتر ويعبر به يمينا او شمالا فتصعد عدة انابيب في الهواء من وسط الصهريج
قدر ماية وعشرين ذراعا ثم ما دون وكذا من حاشية الصهريج انابيب معوجة
لناحية الصهريج والانابيب الصاعدات من الصهريج منها ما صعوده من فم
اسد مستلقي ومن غيره كالفرس والجمل والادمي الكل بوسط الصهريج وبعضه
بحاشيته وكل صهريج مباين للاخر في التلاعب بالمياه ومخالف لغيره وهناك
خصص تعين ذكرها لما اشتملت عليه من الصنع الغريب العجيب وذلك جعلهم
بهذا البستان موضعا مثمنا في غاية البسط وضربوا على كل تثمينة قوسا من
الرخام محلا على سواري في غاية الصناعة من الرقم بالنحت فيها منها ما هو
من المرمر الشديد السواد ومنها ما هو من الرخام الابيض وامام القوس
صهريج متصل به وداخل القوس صورة ادمي متصل راسه بشوكة القوس
وهو واقف على قدميه وامامه خصة في غاية العلو صاعدة من الصهريج وعن
يمينها وشمالها فرسان يخرج الماء من فيهما معوجا صاعدا ثم يهوي بوسط الخصة ثم
بطرف الصهريج اسود تدفق الماء من فيها لداخل الصهريج ثم بين كل اسد
تقابلين وبمنتهى علو السارتين الحاملتين للقوس عدة انابيب صاعدات
للجو صعودا باذخا ومثل هذا القوس بجميع ما اشتمل عليه من التصاوير وغيرها
بكل تثمينة وبين كل قوس والذي يليه طريق بين اشجار مستوية الصفوف والسور
من النبات متصل بالاشجار على الصفة المتقدم ذكرها يمينا وشمالا وفي منتهى
الطرق الثمانية ثمانية خصص تشتمل على انابيب صاعدة للجو وبوسط هذه
التربيعة قطعة من الرخام مثمنة قدر علوها من الارض قامتان مستديرة
بمسطبات من نفسها يجلسون عليها للفرجة فاذا عرجت على جميعها بالعبور
ابصرت الاقواس الثمانية مع ما اشتملت عليه من الخصص والانابيب ثم الخصص

الثمانية

الثمانية التي باخر الطرقات تستوعب جميعها بالنظر من محل واحد وفي ذلك
عجب ثم خصة اخرى في غاية العمق والانفساح في دائرتها ما يزيد على المائتين
خطوة وبوسطها حجر كانه قطعة جبل ملتصق به عدة صور ادمي وحيوان
والحجر كذا استوعبه ثقب يخرج منه الماء معوجا على الاستدارة غير ان صعوده
لم يكن بكثير وانما صعوده وانحداره كالجوهر وبطرفي دايرة الخصة انابيب
مثلها معوجة مقابلة لانابيب اخر الخارجة من الحجر الذي بوسط الخصة
فتختلط المياه بالمياه فيستوعب القطر الجو من اعلى بسيط الخصة فيا
لناظر يرى اللؤلؤ من المياه بين متصل ومنفصل وفي جريانه كعقد
الجواهر وقد اجتمع في جريان هذا الماء الضدان الاتصال والانفصال في الحال
ثم خصة اخرى مثل التي قبلها غير ان في وسطها سارية من الرخام مثمنة
في غاية الضخامة وباعلاها تسع انابيب صاعدات للجو وقد اتصل باعلى
كل ثمن من اثمان السارية صورة راس اسد يدفق الماء من فيه ثم بين الاسد والذي
يليه انابيب يصعد الماء منها وينحدر معوجا للخصة من الجهات الثمانية
ثم تقابل الانابيب مثلها من حاشية الخصة ثم في مقابلة رؤوس الاسد ضفادع
بحاشية الخصة ترمي بالمياه معوجة ايضا ثم ما بين طرفي الخصة والسارية المذكورة
كالحلقة في وسط الماء من النحاس يخرج الماء منها على شكل سوسنة وقدره
في العلو نحو ذراع ثم خصة اخرى يتغير بها حكم جريان الماء فيها على وجوه
عديدة ومنفذ الماء واحد غير ان الموكل تتبعه له حركات تغير اسلوب جريانه
على اشكال في حال واحد ودار الطاغية متصلة بهذا البستان وحكمهما
في البنيان واحد على ما تقدم ذكره من صفة بنيان دوره التي بمادريد وغيرها
من المقاعد والتصاوير وما في معناه وقد تكرر ورودنا لهذه الرياض بامر قف على صنع
صاحبه وكلما ذهبنا اليه يتهيا لملاقاتنا اخوه واولاده وبنته الكل منهم يبديه الزجاج
من البشاشة والترحيب ما لا يكيف وبقرب هذه الدار دار يصنع فيها الزجاج

مرايا والواح البلور التي تجعل بها الدوايش والشراجيب وما اشبه ذلك وبجنبها دار
اخرى لعمل البلور الكاسات ومصابيح وغراريف وثريات وغير ذلك وقد امر الطا
غية بعبور الدارين بقصد الفرجة ثم ان القيم على الدارين طلب منا ان نؤجل له
في العبور اربعة ايام ليقضي فيها غرضه في تهيئة العمل تصنع منه المرايا فاجبناه
لذلك ثم ذهبنا اليه في اليوم الموعود به فاذا بافران عديدة مغلقات ولها
رجاجات من الجهات الاربع باعلى الفرن مثل القرجات التي تستعمل بسقف الحمامات
عندنا وبازاء كل فرن سلسلة يتصل طرفها الموالي الى الارض بلوح من الحديد
هو باب للفرن يرتفع وينخفض بحركات وبداخل الفرن بوط مربع قدر
ذراع في طوله والعرض وغلظه ثلاثة اصابع محمول على قطع اربعة من الحديد
متصلة الاطراف وهذه القطع محمولة على جرابر من المعدن فيسد الفرن
على البوط بعد وضع العمل التي تستعمل منه المرايا بداخله وتوقد عليه النار
فاذا استكمل الطبخ للاجزاء المضافة بعضها لبعض اخرج البوط من الفرن
والحيلة في اخراجه ياتون بقضيب من الحديد براسه تهليل فهو كالسنارة
فيكون بحزصة متصلة بالقطع الحاملة للبوط ويجبد به المعلم اليه فاذا اخرجه
من الفرن يمر به على جرابر الى قرب القالب والبوط والجرابر والعمل المذاب
ولهب الاصطلاء فاذا انتهى البوط الى القالب الذي يفرغ عليه العمل يرفع
البوط بحركات على بسيط القالب ويفرغ العمل بطرف القالب وكيفية حمل
البوط ورفعه الى اعلى القالب الذي قدر ارتفاعه من الارض بنصف قامة مع ما
هو عليه من الاصطلاء فقد جعلوا قرب القالب ساريا من المعدن براسه سلسلة
ترتفع وتنحط بجرابر وبطرف السلسلة قطع اربعة من الحديد تحيط القطع بالبوط
وتضغطه بحركات فتصعد به الجرابر التي براس السارية الى اعلى القالب وهناك
قطعة من الحديد ممكنة باحد جهة القطع الحاملة للبوط يستعان بها على
تفريغ البوط عند استمالته على بسيط القالب وهذا العمل غير سائل وانما هو

في الرطوبة كالصابون فقط وعند وضعه على القالب يبقى مجتمعا فياتون بعود خشب
غلظه ثلاثة اشبار في الاستدارة مكتسي بورق النحاس فيمرون به على العمل الذايب
فينتشر حينئذ على بسيط القالب في غاية الاستواء الى منتهى القالب وما فضل من
العمل يلقطه العود من الخشب المار على القالب عند تمامه وصورة القالب لوحة
من النحاس في غاية الاستواء والبسط ولها احتياطات من الجهات الاربع
علوها اصبعان فاقل وذلك هو غلظ المرآت ويتصل بهذا القالب فرن مستو
في العلو وصواء معتدل فتندرج اليه المرآت المفروغة في الحال بسهولة والرابع
للمرآت لداخل الفرن خشبة مبسوطة مموهة بالنحاس عرضها وعرض المرآت
والمرآة تمكن بطرف المرآت وتضغط بها المرآت بتمر مستقيمة مستوية حتى
تنتهي لوسط الفرن ويعلو عليها فتمكث بالفرن مدة من نصف شهر وتحمل
لموضع الصقالة وكيفية صقلها جعل المرآت على الجبص بموضع مرتفع
قدر نصف القامة ثم يجعلون فوقها مرآة اخرى قدر ربعها في الجرم فتقر الصغرى
على الكبرى غير ان الصغرى يجعل عليها ما يثقلها من الجبص والحجارة فهي متصلة
بلوحة من الخشب على شكل المايدة من غير رد ورد فيستمر العمل عليها بمرور الصغرى
على الكبرى مرة الى ان يكمل صقلها معا كبرى وصغرى ويلقى على المرآت حال الصقل
شيء من الرمل ورشه بالماء حال العمل ليس بكثير فاذا جف الماء يعاد له الماء على
الصفة وهكذا وغاية المرآت في الكبر على ما شهدناه ما عرضها ثمانية اشبار
وطولها ستة عشر شبرا والعمل المذاب الذي تستعمل منه المرآت ربيع يحرق فاذا
ذاب وحمر صار له شبه بالغاسول وقد شهدناه على الصفة المذكورة غير ان
ذوبان الربيع لا يصوره العقل ولا يثبته الذهن وبهذا حرف حابغه وقال انه
يضاف له شيء من الرمل ويذاب الجميع ويصنع منه ما ذكر وقد عبرنا دارا اجنبية من
يصنع فيها اوانى البلور فيها افران عديدة داخل كل فرن صهريج من ثلاثة اذرع
طولا وعرضا مملوءة بمذاب العمل الذي يصنع منه البلور اصله ملح البارود والرصاص

المكلس والرمل من معادن هنالك والالة التي يستعملون بها الاواني ويباشرون بها اخذ
العمل المذاب من محله قضيب من الحديد مجوف غلظه قدر الاصبع وطوله ثلاثة اذرع
يغمسه في العمل فيعلق به من العمل المذاب ما يحتاج اليه الصانع براس القضيب فتارة قدر
النارنج وتارة ما دون ثم يدرج العمل الذي براس القضيب على رخامة ثم ينفخ في القضيب
ثم يدرجه ايضا على الرخامة ثم يعيده للاصطلاء وله قواليب مخرصنة من داخل ومن
خارج على شكل المهراس فيولج فيها العمل الذي براس القضيب فيصير مخرصنا ثم
ينفخ في القضيب فيتسع ولا يغير النفخ ما به من الخرصنة ومن الة هذا العمل ايضا
لقافيط يتوصلون بها لغرضهم في الصنعة على ما اقتضته حكمتهم كاستدارة فم
الكاس وما في معناه وهذه الالة اخذ يكرر عليها العمل وكلما صنع منها شيء يعاد للاصطلاء
ثم يعيد العمل ثم يعيده للاصطلاء الى ان تكمل الصنعة في الانية وان احتاجت لما يزاد لها
من العمل كيد القراب واذان الكيسان ياخذ من العمل المذاب براس القضيب القدر المحتاج
اليه فيلصقه بطرف الكاس او القراب ثم يقص منه ما يزيد على الحاجة بالمقراض ويباشر
صنعته بهذه اللقافيط الذي طوله دون الشبر وهذا العمل المذاب هو في الرطوبة
كالحلواء ومنه تصنع الالواح البلور التي يجعلونها بالسراجيب والابواب وكيفية
عملها ان ياخذ الصانع من العمل المذاب على راس القضيب المجوف قدر الكورة ثم ينفخ
في القضيب فيتسع العمل ثم يمر بالقضيب يمينا وشمالا فيستطيل العمل ثم يعود
للاصطلاء ثم ينفخ فيه ايضا فيتسع ثم يمرون بالقضيب في الهوى فيستطيل ثم
يعاد للاصطلاء وهكذا حتى ينتهي القدر المحتاج اليه ولهم الة يقطعون بها
طرفي العمل المصنوع جوفا وتحتاج اقرب من لحظة فيبقى العمل كالقادوس العظيم
المتسع فيمرون عليه من داخل الحجر المنتظم فينفصل على شطرين فيصير كالقرمود
ثم ينقل للبرزان المعد لهذا الغرض وهو متوسط ليس بحر بارح ولا ببارد فيبسط
الالواح البلورية من الحرارة المتوسطة حتى يعود في غاية الاستواء وقد
شاهدنا هذه الامور بامر الطاغية كل ذلك منه تانيسا لنا حيث علم اننا اشتقنا

لبلادنا

50

لبلادنا وعلقت نفوسنا بالسفر ولم يبق لنا ارب في الاقامة بالكلية فامر حينئذ
الطاغية بجمع عظيم من اعيان قومهم خارج المدينة بما يقرب من مسافة وقدم لنا
الاعلام انه يريد ملاقاتنا بهذا الجمع المشتمل على الخاصة والعامة من قومه
مصاحبين لما بعث اليه سيدنا ايده الله من المواصلة الناشئة عن محض الفضل
خيلا وابلا فتهيانا لذلك وذهبنا الى ان اشرفنا على القوم وقد اصطفوا صفوفا
على راي العين ثم تقدم لملاقاتنا اربعة من الوزراء فرحبوا بنا غاية وقد نزع الشمرير
عن راسه كل من حضر من القوم حين اقبلنا عليهم تعظيما لجناب سيدنا ايده الله
الا الطاغية مقبل هو واخوه في كدش واحد وفي اثره الكداش حاملة الاولاد
فنزل عن الكوش واخذ بيدي وهش وبش وجعل يرحب على لسان الترجمان
ومن جملة ما قال ان هذا اليوم هو عندي اعظم عيد فرحا بما تفضل علينا به سيدنا
المنصور بالله الى غير ذلك مما وقع معنا وقد قدم لدينا اثنين من اولاده عمر الكبير
منهما سبعة اعوام والاخر قريب منه فنزعا الشمرير عن راسهما وتكلما بكلمات
فقال الطاغية للترجمان عرب ما يقولان لسيدنا صاحب سيدنا السلطان اعزه
الله فقال الترجمان معنى كلامهما الله ينصر سلطان مراكش يعيش الباشادور
ثم قال انهما على خدمة الباشادور وان لهما محبة فيه كثيرة فضممتهما الي فرحا
بهما وجعل الطاغية يضحك من قولهما ولا شك انه الملقن لهما ذلك فقلت
له محبة الاباء تظهر على الاولاد ومحبة الملوك تظهر في الرعية وقد شاهدنا ذلك
في اولادك وفي رعيتك فانبسط من جوابنا غاية وجعل يفهم خاصته بما اجبت
به وقد طاطئوا روسهم امامنا باجمعهم مجازات على ما خاطبت به عظيمهم
ثم قال الطاغية انا واحد من خدام سلطانك ومن جملة عبيده وامره ممتثل
فليامر بما شاء وهذه المواصلة التي انعم بها علي هي عندي [illegible] وبها ملك اصبانية
فهي عندي اغلى واعظم فقدموا الخيل فجعل يمسح على كفل كل فرس ثم يستره بجلاله
ويقبله بين عينيه واحدا واحدا وقال هذه الخيل اريد ان تتناسل منها خيلا حرا ابر

ان شاء الله وكذا الجمال سر بها سرورا عظيما وحيث حان وقت الانصراف امر
باحضار الكروش الذي كنت اركبه مقدم الي واراد الطاغية ان اركب قبله تادبا
منه وتعظيما لجانب سيدنا ايده الله فابيت ذلك وقد حتم علي الركوب قبله
ففعلت بمرءا ومسمع من جماعة من الباشادورات من سائر الاجناس وقد
اخبرت انهم كتبوا بذلك لطغاتهم وشاع ذلك بالبلاد الاصبنيولية وغيرها
من بلاد الروم من تعظيم الطاغية وفرحه بخدام الجناب المولوي اسماه الله
وتعجب الكل من خضوعه واذعانه وانقياده وامتثاله الذي لم يتفق لغيرنا
من ملوك الاسلام ولا لرسل غيرهم بالكلية وقد الم بنا الم عند الاوبة من هذا
الجمع حتى عاينا الموت وقد راجع الله بنا وتداركنا بعفوه ورحمته وعند
وعند تقدم الراحة قال الطاغية للوزير ظننت ان هواء هذه البلاد لم يساعد
اصحاب السلطان وقد خفت عليهم فاني احب ان ابعث بهم لمادريد يقيمون
بها في عز وكرامة الى ان نرد عليهم ونؤدي البعض من حقهم في الضيافة والاكرام
ومن هناك يكون تشييعهم لبلادهم فانطلق اليهم الان واستاذنهم على ذلك
فلما قص علينا الوزير ما حدثه به طاغيته قلت للوزير ان كان مراد عظيمك
في اقامتنا بمادريد البرور والاكرام فلا مزيد على ما تقدم من بره بنا واكرامه
ايانا وان كان مراده شيئا اخر يبينه لنا لنجيبك عنه فقال انه يريد ان يبعث معكم
باشادوره ويبعث معه هدية مولانا السلطان ورءى من الراي بعثه معكم ونحن
نجتهد في جمع الهدية وقد بقي منها مسائل بارض بعيدة نحن في انتظار
قدومها علينا فقلت له هذا امر اكيد يجب علينا مراعاة الراي فيه ومساعفته
لذلك لكن احب ان تتامل بعقلك في كلام اقصه عليك فان ظهر لك انه عين الصواب
فما عليك اذا استاذنت عليه عظيمك وان كان غير صواب فاستره علينا
قال وما ذلك قلت له اما تعلم اننا مامورون بالذهاب لقرطجنة لملاقات
الاسارى والنظر في شؤونهم وتفريق المال عليهم نقيم بها ما شاء الله ثم بغرناطة

ثم

91

ثم بمالقة ثم بقالص لاستصحاب العالم الذي به اسيرا وهذا فصل الشتاء مقبل
فاذا اقمنا بمادريد في انتظار تهيء باشادوركم هل يذهب معنا لقرطجنة او
يقيم في انتظارنا بمادريد او يتقدم امامنا للبلاد من عمالتكم ينتظرنا بها كيف
يكون العمل في ذلك ففكر هنيئة وقال لما ترى انت من الراي قلت له الراي و
الصواب هو تشييعنا مع الطاغية من هنا ونذهب للغرض الذي امرنا به من
سلطاننا ايده الله وفي المدة التي نقضي فيها غرضنا تقضون انتم غرضكم لباشادوركم
ويكون الوعد بيننا وبينه بقالص اما ان يتقدمنا بقليل او نسبقه بقليل ومن
هناك يكون سفرنا والحمد للحضرة العالية بالله ومع هذا ان ساعد طاغيتك
في مراده ان لم يقبل ما اشرنا به في هذا الامر وظهر له خلافه فقال الوزير والله
ان هذا لهو الراي والصواب المحض والنظر العجيب النافع للجانبين فذهب
لطاغيته واخبره الخبر فاستحسنه غاية واجاب عنه بالقبول وشرعنا
في الكلام على ما يتعلق بالامور التي امرنا بقضائها من الطاغية عن الامر المولوي
اسماه الله وقد جمعت جميعها بزمام منها تسريح الاسارى الطاعنين في السن
والضعفاء والمبطولين ومن في معناهم من اي ايالة كانوا ثم ما يخص من اساري
الايالة المولوية عند تسريح جميعهم واستيعاب الاسارى باسمائهم والقابهم
ثم فكاك رجلين من الجزاير بين احدهما طالب علم والاخر متسيد بمروءة وقد
تقدم منه الكتب لسيدنا ايده الله انه طالبا انقاذه من الاسر مصاحبا لكتاب
الفقيه العلامة المذكور وهو السيد مصطفى بن علي اليابادغي وكان سيدنا
اعزه الله حتم واكد على فكاكهم وتسريحهم مما هم فيه من الاسر بادرجتهما في
الزمام المذكور ثم ختمته بمسائل اشتكى منها الكثير من الاسارى منها اذا مات
احدهم يتولى دفنه اخوانه ويترك لهم وان لا يولي عليهم احدا من المتنصرة حال
الخدمة لانهم اضر عليهم من مطلق النصارى وان لا يمنعوا من كتب رسائلهم
بالقلم العربي وان يرفق بهم في الخدمة ولا يكلفوا ما لا يطيقونه وان مريضهم

يعالج بالاسبيطال مثل غيره من المرضى وان لا يلزموا بالخدمة وقت صلاتهم ولا يهملوا
فيما لابد منه من الكسوة والماكول على ان هذا كله لا يكبر على الطاغية ولا يامر بخلافه
لكن المولون على الاسارى يجحفون بحقوقهم وياكلون ارزاقهم ويؤذونهم لعدم
من يخبر خبرهم للطاغية فلما قرانا ذلك على الوزير حرج حرجا وبينا له كل مسألة
استيقظ لذلك وكشف عنه الغطاء عما هنالك وامضى جميع ما بالزمام اجمالاً
وتفصيلا بعد اعلام طاغيته بذلك في الحال امر بكسوة جميعهم واوصى بالرفق
بهم حال الخدمة والاحسان اليهم والبر بهم الى ان يجعل الله لهم فرجا ومخرجا
وقد وثقنا بما وعد به من الخير في جانبهم ولما تعين الانصراف شرعنا في
الاستعداد للسفر فقال الطاغية لوزيره سل اصحاب مولانا السلطان عما في
خواطرهم لنبادر بقضائها ولا انتهى عندي من اكرامهم واداء بعض ما يجب
من حقهم يجازيناهم خيرا وقلنا له قد وفيت بما كنا نؤمله من فكاك الاسرى
الذين هم من ايالة سيدنا وغيرهم من الطاعنين في السن ولم يبق لنا عليه الا ما
وعد به على لسان العرائشي الملازم له من اكراسنا بما لديه من كتب الاسلام
ثم بالرفق باخواننا المؤمنين ثم الطلبة الحاملين لكتاب الله تعالى بعلامة
تدل على توقيرهم واحترامهم فان جميع الاغراض عندنا واعظم الحاجات هذه
المسائل فما امضاه منها فقد حصل وباقيها الحق في انتظار قضائه على الفور
واما غير ذلك من حطام الدنيا فلا نلتفت اليه ولا نرضى ان نخاطب به بالكلية
فانتا اغنياء بسيدنا نصره الله ولدينا من الذهب والفضة واليواقيت شيء
كثير فتعجب من الطاغية ان ايسا ومنا بذلك وحفظ علينا مروءتنا والاكرام
المقبول منه زيادة على ما ذكر هو ان نوب لبرنا في عز واكرام مثل ما كانت
الموجهة اليه من مرجع رعيته بنا والعمل بالخواتم في سامر في الحين بمكاتبة
عمال المدن التي نمر بها وامرهم بمباشرتنا والفرح بنا اكثر مما كان في العبور
الاول وعين لمصاحبتنا في طريقتنا احد الفسيان وهو الذي كان بعثه لملاقاتنا

قبل

52

قبل حيث شكرناه واثنينا عليه وفارقناه على ما ينبغي ولا خلفنا وراءنا الا ما
يحب شرعا وطبعا مما تقتضيه الملة الاسلامية والحمد لله وقبل التشييع
باربعة ايام ذهبنا المدينة شغوبية لملاقاتنا بالاسارى والرياس المسجونين
بها وقد تعددت منهم رسايل يطلبون رؤيتنا متشفعين بسيد الشفعاء في
الوصول اليهم ما داموا اربعة عشر فسلمنا عليهم ورحبنا بهم وقد انسنا غربتهم
ووعدناهم بالخير من سيدنا ايده الله وبشرناهم بان سيدنا لجتهد في فكاك
اسرهم وانقاذهم مما هم فيه واقمنا معهم من الصباح الى العصر ولم يفتر لنا
ولا لهم عبرة شفقة منا عليهم وهم اكثر منا حسرة عند مشاهدة اخوانهم
المومنين وقد احضرت حال التشييع الموكل بهم واوصيته على الرفق لهم والا
عتناء بامورهم ووعدته ان نذكره لطاغيته بخير وقد كانت له حاجة عند
الوزير في الوقت تحملت له بقضائها عن الوزير في مقابلة احسانه لاخواننا
فانبسط اللعين لذلك والزم نفسه المبرة التامة لهم وان يسعى في مباشرتهم
والاحسان اليهم وعند التشييع معهم قال جميعهم نحن ايسون من قومنا
ولم يبق لنا طمع في مخلوق الا في سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم اما ان يكون
عتقنا على يده الكريمة او نحن الى الهلاك اقرب نسال الله حسن الخاتمة
وما زلنا نواعدهم حتى انست نفوسهم بالحصول على الانقاذ مما هم فيه
من فضل سيدنا ومدده ثم انصرفنا عنهم وجميعهم يدعو لسيدنا بما نرجوا
من الله قبوله ولنذكر ما هي عليه مدينة شغوبية مما لابد من ذكره فنقول

• • الخبر عن مدينة شغوبية • •

هي مدينة مشيدة في حجر جبل وقد صعد البنيان من بسيط الارض الى اقصى الجبل
بديارها بين خفض ورفع واهل المدينة بادون ولم يوتوا سعة من المال فهم
ضعفاء جدا وجل نساء المدينة يستعملن غزل الصوف وبطرف المدينة بلاطاط
عديدة ينسجون فيها الملف والديار غير شاهقة وعليها اثر القدم وبها

بنيان باق على حاله من عمل المسلمين في مواضع معروفة عندهم وبقبة الجامع قبة
من عمل الروم في غاية الفخامة والعلو بها عدة مقاعد معمورة بأولاد الاكابر
يتعلمون ما يتعلق بأمور البحر وهؤلاء الصبيان يخرجون من القبة وقد وقفت
على موضع مبيتهم بمقاعد عديدة هي فوق المقاعد التي يقرؤون بها كل واحد
بفراشه على سرير وتحت السرير ربيعة وبازائه شلية ومن العجب ان عدد
الفرش شيء كثير وفيما بين كل واحد والذي يليه قدر ما يمر به الانسان وهنالك
ولدان صغار جدا وقد مارست عدة منهم بسؤال الواحد بعد واحد اين فراشه
فيهتدي اليه من غير تأن ولا تأمل ولا يرتاب احد منهم في محله مع انهم على هيئة
واحدة وعند اكلهم يستبد كل واحد منهم في محله بآنية من طعام وآنية من
شراب ولا ياكل احد منهم مع الآخر والعجب من هذا ان صاحب الطعام يعرف كل
آنية وصاحبها ولا يتمارى فيها مع اتحاد نوع الطعام وداخل هذه القصبة
اخواننا الاسارى المذكورون نسأل الله ان يجعل الله سراحهم على يد سيدنا الكريم
وسراح غيرهم ممن هو في قيد الاسر وما ذلك على الله بعزيز وبوسط المدينة
كنيسة كبيرة جدا وحكمها في البنيان والتصاوير والصلبان والزخارف حكم
كنائسهم المتقدم ذكرها على التفصيل وماء المدينة من نهر قدره في العمق
ذراع وعرضه اربعة خطوات اخذوا منه ما عملوه على صقالة هي من العجب
مبداها قوس علوه نصف قامة ثم الذي يليه قامة ثم الذي يليه قامتان
وهكذا ولما جاوز الحد في الصعود جعلوا فوق الاقواس الموالية للارض
اقواسا اخر ثم اقواسا اخر فهي من ثلاث طبقات وعلو الاقواس من
ثلاث قامات وبناء هذه الاقواس والسواري المنقعرة عليها من
الحجر المنحوت والمقلوب مسندا بعضه على بعض من غير طين وبين الحجر
والذي فوقه وتحته وعن يمينه وعن شماله برجات قدر ما تدخل فيه اليد
وهذا مما يتعجب منه فلو كان بناء هذه الصقالة الحاملة للماء من الحجر

المبسوط

3

المبسوطة المستوي في تحته وتقويم تقوّس بسطه وتقويمه معين على ائتلافه
التشييد وانما البنيان لهذا الحجر الموصوف على الكيفية المذكورة مع استدارة
الاقواس وارتفاعها في ذلك عجب حتى قيل انها من عمل الجان ولما خرجنا
من المدينة ايلين لمدينة لاكرانخة وجدنا بباب المدينة الشغوبية احد
وزراء الطاغية مع جماعة من اعيان الكرطي بعث بهم طاغيتهم لملاقاتنا
هنالك وامرهم ان يرموا بالمدافع والبنب خارج المدينة لنشاهد ما هم عليه
من الاصابة في الرمي من اولاد الاكابر الذين يعلمون بأمور البحر هنالك ولهم
قرب باب المدينة ارشاق عليه عدة مدافع ومهاريس ثم جعلوا امامهم علامات
وجعلوا يرمونها بالكور ثم بالبنب وقد تجاوز الحد في اصابة الرمي ومراد
طاغيتهم برحتنا بذلك والتمويه بقدرتنا ثم اطلاعنا على ما هم عليه من الا
عتناء بما يتعلق بالحرب واظهار القوة فقلت ان حرب الاسلام لا يلتفتون
للمدافع ولا للبنب حال القتال وانما الشأن عندهم السيف والرمح والنبل
واستعمال البارود انما هو عند الصدمة الاولى فقط فاذا اختلط القوم
بالقوم فما عندنا الا السيف وما اضيف اليه ورمح ونبل وجال الخيول
بين الصفوف هازمة للجيش وما كان من المدافع والمهاريس انما هو لاتلاف
من في اهل الجدار والمدن التي حصرها العدو وتدفع بذلك عن نفسها العجز
عن مقاومة من حاصرها فقال الوزير ما قلت الا حقا والصواب والخوف اظهار
القوة الثبات عند مكافحة القتال صفا وهذا المختص به الاسلام وقد وهنت
ما ابدى من القوة بالاغماض والبنب وقنعته بذلك ولم يجد بدا من قبول ما
حدثته به وكان وصولنا لكرانخة بين العشاءين لان المسافة التي بينها
وبين الشغوبية ثلاثة اميال ومن الغد سافرنا لمدينة اشكريال على واحد
وعشرين ميلا بالطريق الحديثة المتقدم ذكرها في ما اعلاه

الخبر عن مدينة اشكريال

هي كنيسة وبازائها دار الطاغية ثم بنى بها اعيان الدولة الاصبنيولية ديارا
عديدة الى ان صارت الان من المدن المعتبرة ولم يكن مثلها فقط في اقليم
الاصبنيول ولا في غيره من ارض الروم وهذا الامر مسلم عند سائر الاجناس على ما
قيل وقد اجتمع فيها ما افترق في غيرها حسبما ياتي ذلك مفصلا كل في محله
وسبب تشييد هذه الكنيسية ان احد طواغي الاصبنيول وهو فليب
الكورط ذهب لحصار مدينة من مدن الافرانصيص فاقام على حصارها زمانا
ولم يحصل منها على مراده وقد نصب عليها مهارسا ومدافع فحالت بينه وبين
المدافع كنيسة عظيمة ولما طال حصاره فيها لم يجد بدا من هدم الكنيسية
الحاجبة للمدينة عن رمي المدافع بعد ان نذر انه يجعل كنيسية عوضا
عنها على صفة لم تعهد ممن قبله ولا يقدر احد ان يشيد مثلها بعده
ولما حصل على مراده شرع في تشييد هذه الكنيسية وسماها باسم
العرايلي الذي كان في الوقت اسمه اشكريال وصوره على احد ابوابها
وبناء هذه الكنيسية هو شيء يتعجب منه فحسب المعبر عنه ان يقول هي
مدينة مشيدة من حجر واحد ارضا وحيطانا وسقفا ولم تكن بها خشبة
الا الابواب فقط وهذا الحجر الذي بنيت به كاد ان يكون من الرخام وتخليصه
في التقويم اذا اسند الحجر للذي يليه لا يميز طرف الحجر من طرف الاخر المتصل
به يمينا وشمالا وفوقا وتحتا ولم يظهر به اثر الطين الذي يجعل بين الحجر
والحجر وبهذا الكنيسية اربعة عشر مدرسة كل مدرسة من اربعة طبقات
وبيوتها تنقص يسكنها العرايلية وللكنيسية اربعة ابواب والباب
الاكبر في غاية العلو والفخامة وفوقه صورة العرايلي المسماة الكنيسية
باسمه وهو صاحب الكنيسية التي هدت ببلاد الافرانصيص وداخل هذا الباب
صحن متسع جدا يلتقي الى ستة اقواس نافذات للكنيسية واعلى كل قوس
تصويرة ادمي من الحجر كقطعة جبل وعلى راس كل واحد منهم تاج من النحاس

المذهب

المذهب وزن كل واحد منها خمسة ارباع وبالنسبة للتيجان المحمولة على رؤوسهم
تدرك ذواتهم على اي شكل في العظمة والعجب هو في مباشرة هذه
الذوات العظام حال رفعها ووضعها بالمحل الذي هي به الان على ان علوه
ما يزيد على الستين ذراعا وكل صورة تحتها اسم صاحبها فمنهم من بيده
الة الطرب ومنهم من بيده سبنية ومنهم من لا نعبر عما في يده لعدم المعرفة
به وهذه الاشياء التي بايديهم جميعها من النحاس المذهب ايضا وفيما يزعمون
ان اصحاب هذه الصورة ملوك بني اسرائيل اذ لم اتعرض لذكر انبياء الله
تعالى في هذا المحل تنزيها لهم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام والكنيسية
هي في نفسها عريضة متسعة طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها مائتا ذراع
وثلاثون ذراع وهناك مقاعدة قدرها في العلو نصف ارتفاع الكنيسية
وطولها والعرض قدر نصف ساحتها وهي محل قراءتهم وتعليمهم للصبيان
وبصدر هذا المحل صناديق الموسقى ومثلها بالكنيسية وبوسطها في صحنها
قبر مكتس بالديباج وقد علته قبة تجاوزت على الديور الحاملة للنواقيس
على ان عادتهم في البنيان لا يتجاوزها علو بناءاتهم الا ما كان من هذه القبة
المضروبة على هذا القبر المحروق والقبة مشيدة على اربع سواري بين
كل سارية والمقابلة لها خمسون خطوة وغلظها عشرون شبرا في احد
الوجوه الاربعة من كل سارية وصاحب القبر بنت الطاغية الباني للكنيسية
وقد دفنت على دينها هنالك بعد ان جعلت اوقافا على العرايلية للقراءة
عليها وقد شاهدنا مصداق ذلك حين عبرنا الكنيسية راينا ما يزيد على
المائتين من العرايلية شيوخا وكهولا وصبيانا محدقين بالقبر من الجهات
الاربع واقفين على اقدامهم يقرا كبيرهم قدر مائة كلمة ثم يتبعونه باصوات
مرتفعة ثم يعود فيعودون ثم يخرج كبيرهم من الصفوف ويذهب حتى
ينتهي للقبر فيشير للقبر بيده يفعل ذلك بالجهات الاربع يهوي ساجدا

لناحية خزاين هي بصدر الكنيسية فيها عدة من الصلبان وسياتي ذكرها
ثم يرجع لما كان عليه من القراءة والتضرع ثم يفعل ما فعله اولا من
الاشارة بيده للقبر وسجوده وفي الثانية يذهب للقبر وبيده مبخرة
يشير بها للقبر ايضا وينصرف جميعهم يفعلون ذلك ضحوة كل يوم
احد والخزاين المشار اليها خزانتان بصدر الكنيسية يصعد لها بدرجات
كل خزانة من ثلاث طبقات وبين الطبقة والتي فوقها نصف قامة وعرضها
ثلاثون شبرا وقد اشتملت الطبقات الثلاثة من الخزانة على ذخاير
لا يعبر عنها منها بمقدم الطبقات المذكورة منارات وثريات وحسك
وبيزان وما هو على شكل الجانة وما اشبه المحفبات التي يجعل فيها النوار
وقد صعد منها اغصان كل غصن يشتغل بنوع من انواع النوار الكل من خالص
الذهب المنظم باليواقيت يغبط بما دونه وبين هذه الاشياء صورة
امراة من الفضة قايمة على قدميها وعلى راسها تاج من الذهب المرصع
بالدر واليواقيت وبجيدها قلادة من الذهب بها تنبيت من الجوهر وبوسط
القلادة حجر من اليمنط قد ر طير الابهام وظاهر كل طبقة من الخزانة
تسع صور من حسان النسوة خلقة ولم يبد منهن الا ما فوق صدورهن
وفي اجيادهن قلايد من الفضة المذكورة وعلى رؤوسهن شبكات من
الذهب المنظم بالدر والياقوت والخزانة الثانية على شكل الاولى
مملوة بالاشياء المذكورة من الذخاير غير ان ما فيها من صور النسوة ابدلت
برجال ولحاهم من ذهب ثم ذهبنا لمقعد هو جنب الكنيسية فاذا فيه
صناديق داخلها كسي للقرابلية يلبسونها في يوم معلوم عندهم منسوجة
من خيط الذهب منظمة بالجواهر اشتملت على صنايع غريبة وهذه
الصناديق استوعبت دايرة المقعد على الجهات الاربع وقد علاها
مرايا على الاستدارات ايضا حاملة لتصاوير وفيما بين كل تصويرة –

والتي

والتي يليها محفبة ذات اغصان مفتحة الازهار على اختلافها الكل من
الذهب المنظم بالدر والياقوت والزمرد والمرجان وبعض حجر اليمنط
ثم صعدنا لموضع مرتفع فاذا فيه منارة على شكل قبة علوها قامة
استدارتها ثلاثة اشبار في استدارته وما بين القايم والعمود تشجير
مفتوح في صفايح من الذهب الكل به تنبيت من يواقيت على الوان
ودر وزمرد ويمنط على قلته ثم مقعد اخر به من الذخاير مثل ما
تقدم غير ان به زيادات منها ياقوتة صفراء قدر بيضة الوز لمعانها
بالحايط المقابل لها كشعاع الشمس هي فوق راس صليب من صلبانهم
ثم ياقوتة يمنطية تحت رجليه قدر اللوزة في قشرتها ثم ذهبوا بنا
للهواة بسبعين درجة بعد ان اوقدوا عدة من الشمع فاذا بالمدارج
من الرخام الاصفر وكذا حيطانها وسقفها المنحدر المقبي من اول درجة
الى منتهاها الكل من حجر واحد في غاية الصقالة بحيث يشاهد الناظر
فيها وجهه كالمراة ولا اعجب عندي من جميع ما رايت الا انه من حجر
واحد مع ان هذا لا يعقل ولا يمكن وجوده بالكلية فجعلت امعن النظر
اين اتصل الحجر بالذي يليه فلم اقف على شيء من ذلك وانما هو من حجر واحد
في قايمه والمبسوط والمقبي الذي هو سقف المدارج وهذا مستحيل عقلا
فلما انتهت بنا المدارج وجدنا قبة محمولة على سواري من المرمر في
غاية العلو ولها تيجان من الذهب وبنيان القبة مثمن لكل ثمن قوس
من الرخام متصل بسورها داخل كل واحد من الاقواس اربعة صناديق
من الرخام بعضها فوق بعض وقدر ما بين الصندوق والذي فوقه
قدر ذراع وهذه الصناديق موسدة على كرسي من الرخام وعلى اطراف
الكرسي حمايل من الذهب عرضها دون الشبر بقليل وغلظها ما دون
الاصبع وبعض الصناديق مكتوب عليه وجلها من غير كتابة فسالنا عن

ذلك باذا هي مقبرة ملوكهم وقبر الطاغية الموجود الان مميز عندهم
قرب قبر والده وقد استقبل هذا الموضع يدفن الملك وزوجته او امه
باذا مات احد منهم يجعلوه في الصناديق وحشوه به واغلقوا عليه
وكتبوا على الصندوق هذا قبر فلان والقبة استوعبها ما يتحير منه من
رقم وتمويه السقف بالذهب والالوان والتصاوير والصلبان من الذهب
ايضا وبها من المصابيح الذهبية والفضية والثريات عدة الكل من الذهب
المنظم من الياقوت والدر تحمله سلاسل من الذهب وقد الم بنا الكرب
وضيق النفس حتى خشيت الهلاك ولم ندر ما السبب فبادرت للصعود
من المهوات وقد سري عني وذهب الحال ما كنت اجد من الالم فعلمت
ان موجب ذلك العارض هو نزولنا وحلولنا في تلك المهوات التي هي
حفرة من حفر جهنم فحمدت الله تعالى على نعمة الاسلام ومن
هنالك ذهبنا لقبة قريبة من ان تكون ستينية وسمكها غير مرتفع
جدا وفيما الظن ان علوها قدر ساحتها وقد استقلت بحكمة غريبة
وهي من العجب يقف الرجل بزاوية من زواياها وصاحبه بالزاوية
المقابلة له بالقطر فيمكن جهته من الزاوية وصاحبه كذلك ويتكلم
احدهما مع الاخر بصوت منخفض جدا والساحة التي بينه وبين صاحبه
مملوءة بالناس يتجسسون على ما ينطق به الرجل المتكلم مع صاحبه فلم
يسمعوا شيئا بالكلية وصاحبه الذي بينه وبينه هذا البعد البائن
يسمع كلامه والاخر يسمع جواب صاحبه ايضا وانما نفوذ الكلام خاص
باذان المتكلم والمجيب ولم يكن بهذه الزوايا ثقب ولا ما يتوهم ان
بباطن سور القبة مسلك للصوت الواصل لمسمع المتكلم والمجيب
وكم اجهدنا في البحث من ذلك ولم اقف على ما هنالك وهذا امر يتعجب
منه واما دار الطاغية التي بهذه الكنيسة فحكمها حكم ديار

الموصوفة

الموصوفة من تعدد القباب والمقاعد والغرف والمنازه وغير ذلك مما تقدم
ذكره مفصلا في غير ما موضع غير ان هذه مبنية من الحجر المحض ارضا وحيطانا
وسقفا وكذا ما بها من التصاوير كلها من الحجارة وبجنبها دار مملوءة مقاعدها
باواني الادوية اشربة ومعاجين وادهان وغير ذلك مما يتعلق بامور الطب
وتتصل بدار الطاغية عدة بساتين ذات اشجار من الفواكه والنوار وبها
صهاريج وقد احاط بالجميع من خارج اشجار لا ثمار لها هي في غاية العلو
مستدير بها سور من الحجر من غير بنيان وانما هو من الحجر المسند بعضه
على بعض ولقل هذه الغابة من الغزلان ما لا حصر له تسرح هناك امنة
ومعها الكثير من الايل جميعها يسرح في محل واحد فهي كالماشية عندنا
وعلى بعد من المدينة بنحو ميلين موضع اصطياد الطاغية وهناك
ديار لاستراحة الطاغية عند العود من الاصطياد وبارجاء هذه الديار
صهاريج عديدة نابذ ماء بعضها لبعض اقمنا بها بعض ايام وسافرنا مصاحبين
السلامة قاصدين مدينة مادريد على احد وعشر ميلا وفي اثناء طريقنا التقينا
باخواننا الاسارى وفرحنا بهم وقد انسنا غربتهم وخبرناهم ان سيدنا نصره الله
مهتم بشانهم مشتغل بالبعض والكل اعزه الله في السعي في فكاكهم وانقاذهم
من الاسر ودفعنا لهم ما انعم به سيدنا عليهم حسبما هي عادته الجميلة معهم
في كل سنة وقد وجدنا الكثير منهم مثقلا بالسلاسل والاكبال حيث تكرر
منهم الفرار فكتبت في الحال متشفعا في ازالة السلاسل عنهم والاكبال وتسريح
رجل منهم اصابه البارود بعينيه فعمي فاجاب الطاغية بسراح الرجل البصير
وازالة السلاسل عن اخواننا المومنين وقد بالغنا في الايصاء عليهم للمتولي
اسرهم من قبل الطاغية وبذلنا المجهود في اكرامهم بالامر المطاع لكي يحصل الرفق
بعباد الله وقد ظهرت نتيجة ذلك لان بصيرة سيدنا نصره الله منورة وقد
ظهر اللعين حين اكرم الميل للمسلمين والشفقة عليهم والرفق بهم ووعد بمباشرتهم

والاحسان اليهم ما دام مولى عليهم ومن جملة الاسارى المستعملين الان في خدمة
الطريق الذاهبة من مادريد لشكريال ما بين اسير واربعة وقد كانوا قبل ثلاثمائة
بر منهم البعض واكرم بالشهادة البعض وبقي منهم الان العدد المذكور وهؤلاء
الاسارى جلهم من اهل الجزائر وبعضهم من الترك نسئل الله ان ينقذهم مما بيده
ويفرج عن جميعهم بمنه وفضله انه على ذلك قدير وعند تسراحهم تبين ان بالا
سبيطال بمادريد ثلاثة عشر منهم يعالجون به ما الم بهم من الالم ومن
الغد وصلنا مادريد وذهبنا للعيادة لاخواننا وحملنا لهم ما انعم به سيدنا
عليهم من جملة لاخواننا فسلمنا عليهم ورحبنا بهم غاية وحدثناهم بما انست
به نفوسهم من وعد سيدنا ايده الله بسراحهم والكل على اعتقاد واحد
من انهم ايسوا من قومهم ولا طمع لهم الا في سيدنا ايده الله في انقاذهم
من الاسر وقد انصرفنا عنهم وهم داعون لسيدنا نصره الله بكل خير والموكل
عليهم في الاسبيطال والمعين لمباشرتهم نصراني امرا بلي له عقل راجح وسمت
حسن في قومه يحسن مباشرة المرضى في الاكل والشرب وتنظيف اثوابهم
وتطهير اماكنهم الى غير ذلك مما يحتاج اليه المرضى والمعين لمباشرتهم عدد
كثير من النصارى والكل الى نظره وقد اوصيناه على اخواننا فاجاب بالسمع
والطاعة على انهم حدثوا عنه انه يحسن اليهم ويقدمهم في المباشرة على ابناء
جنسه باكرمنا وقد وعد بزيادة الاحسان اليهم لاجل ايصائنا عليهم وقد
بالغ في الترحيب بنا وابدا من المباشرة ما دل على باطنه ومن جملة مباشرته
وتادبه معنا ان ذهب بنا للبيت الادوية المشتمل على معاجين واشربة وادهان
وعقاقير واعشاب وطلب منا ان ناخذ منها ما نحتاج اليه حيث ظن اننا نحسن
شيئا من علم الطب فجازيناه خيرا واعترفنا له بما هو عليه الصواب والادب
ثم ذهبنا للمقعد اخر فاذا به من الحكماء يستعملون الادوية الوقتية والمباشرة
لهشم العقاقير صبيان صغار بالمهارس ومنهم من يزيل من الاعشاب ما لا فائدة

يجم

57

فيه ثم هنالك قطاطير قدر القامة من النحاس يقطر فيها ماء الاعشاب المحتاج
اليها وموضع الطبخ دار داخل الاسبيطال في وسطها صهريج به ماء جار وبها عدة
من القوم يباشرون الطبخ تزيد على المائة رجل وقد شاهدنا هذه المطبخة ما
يزيد على ثلاثين راسا من الغنم كل واحد يباشر قطع لحم شاته والاسبيطال
في غاية العلو وضخامة البنيان وله مقاعد عديدة والبياحات الدائرة با
لصحن محمولة على مائة سارية من الرخام وقد ذكروا لنا ان هذا الاسبيطال
هو واحد من اثني عشر الكل على شكله بهذه المدينة المادريدية وقد عبرنا له
بوسط المدينة اذ كان بطرف المدينة ولم نجد بدا من المرور على اسواقها فشاهدنا
من المدينة ما لم نشاهده قبل من علو ديارها واتساع شوارعها والاسواق التي
لا ياتي عليها الحصر وقد اجتمع بها من الفواكه الرطبة واليابسة ما لا يكيف
منها الخريفية والصيفية الكل يجتمع في اوان واحد والمباشر لبيعها نساؤهم والكواتش
هذه المدينة لا حصر لها وصوتها في العبور بالازقة والشوارع كصوت الرعد
القاصف لا يفتر ليلا ولا نهارا وبشوارع المدينة فنارات معلقة توقد كل ليلة
من المغرب الى الصباح على التابيد وقد ذهبنا ليلة لدار احد المراكيس الذي بعثه
الطاغية لملاقاتنا حين حللنا مادريد وهو خاص الخواص عنده عظيمه وقد كان
في خاطره ان يكون منا عود اليه فعاقه عن ذلك تاخير ملاقاتنا بالطاغية اذ في اعرافهم
انهم لا يتقدمون على الطاغية في اكرام الوارد عليهم من الاعيان فاذا حصلت الملا
قاة بالطاغية فحينئذ يسوغ لهم ذلك ولما كانت الاوبة لمادريد بعد التشييع
مع الطاغية كان هذا المركيس بحضرة عظيمة كتب لابنته وامرها ان تبذل المجهود
في ضيافتنا بجميع انواع الاكرام من الاطعمة واتقاد الشمع واحضار اهل الموسيقى
وان تجمع بنات الاكابر عليها لهذه الضيافة ففعلت ما امرت به من والدها
بعد ان قدمت لنا الاعلام بذلك وبعثت بالكداش فركبناها وذهبنا مصاحبين
للبرايلي الذي يوم بعابه طلاتها مع عدد من اعيان الذين في طبقة والدها ومرتبته

عند طاغيته والكثير من خدامها حاملون الشمع امامنا ولما بلغنا الدار تلقتنا
في جماعة من البنات القريبة منها في السن وغيرهن من النسوة الكل يرحب
ويحيي وهذه دارها من خيار الدور بها مقاعد غير بعيدة من مقاعده يار
الطاغية في البنيان ولا في الفراش والستور والنقا ويروما يصاب لذلك
ولما استقر بنا المجلس اخذ اهل الموسيقى في العمل فقامت البنت منشدة
فيهم بصوت يدهل العقول ولها اخ ما ظننت انه يحسن الكلام ولا يلحق
بين الحروف لصغره وعليه مخايل البله فلم اشعر الا وهو بين اهل الموسيقى
وبيده رباب وانامله تدب على اوتاره فتعجبت من ذلك وسالت في الحال
اهل الموسيقى هل يحسن شيئا اولجلسوه معهم من غير فايدة فكان جوابهم
ان تركوه وحده يضرب وقد اجاد فلما سمعت اخته تعجبي من اخيها نهضت
في الحال للصندوق الموسيقي وقد كان يباشره شيخ كبير فجلست محل الشيخ
وجعلت تحرك ما به من الاوتار وتجيب عنها بصوت رخيم بعد ان اسكتت
المعلمين الحاضرين وقد راينا منها ومن اخيها ما فيه عجب ثم بعد ذلك قامت
ترقص ثم انتبى ترها في الرقص من حضر بالمجلس من بنات الاكابر على الصفة
المعهودة منهم في الرقص الذكر مع الانثى وقد استبعدت ذلك من بنات
الاعيان واولادهم ويكشف الغيب ان علم الموسيقى هو شعار الاعيان منهم وذوي
الاقدار وءالة الموسيقى الحاضرة بهذه الدار هي لوالد البنت والشيخ الذي كان
يباشرها بالصندوق من النغمات هو المعلم للبنت ولاخيها وهذه البنت
صغيرة لم تبلغ الحلم واخوها دونها في السن ولما فات النصف الاول من الليل
تشيعنا مع البنت واخيها ومن حضر من الجماعة واظهر الكل من الادب حال
التشييع ما لا يكيف وبعث قاعدة من الخدام حاملين للشمع امامنا الى محلنا
وانصرفوا عنا مكرمين ومن غرائب الليلة كتبت البنت لوالدها تخبره كيف
كانت الليلة اجمالا وتفصيلا فاجاب والدها بما فيه مجازات لها وغني

انلو حضر بنفسه واكد عليها ان تطلب منا العود فاعتذرنا لها بعذر
مقبول وما زالت تتعهدنا وتعيد الطلب الى ان سافرنا وكانت
اقامتنا بمادريد بعد التشييع مع الطاغية ما يقرب من الشهر في انتظار ما وعد
به من كتب الاسلام التي كانت بالمدينة المدريدية ولم يكن الطاغية بالمدينة
حال التشييع فامر باخراجها من المحل الذي كانت به ووجه لنا وزدنا على
ما صحبنا من الكتب كتابا من غرناطة ثم ما بعث به الطاغية لقالص بعد
سفرنا من مادريد واصلا لدينا وقد كان وعد بذلك حيث لم يمكنه التوصل مه
قبل السفر وقد وفى بما وعد ثم استعملنا السير من مادريد مصاحبين
للشلطاظ والبسيان المعين من قبل طاغيتهم لمصاحبتنا في طريقنا
في الثامن والعشرين من جمادى الاولى من عام تاريخه قاصدين احد دار الطاغية
من الديار الاربعة المعهودة لسكناه في البطلين المذكورين وهي المسماة
بارنخويس عبرناها عن واحد وعشرين ميلا بين صفوف الاشجار التي لا ثمار
لها استوعبت الطريق يمينا وشمالا خارجة عن سوار من الرخام علوها
نصف قامة وفيما بين السارية والتي تليها عشرة خطوات صاعرات
من صفايح الحجر الذي كالرخام بحاشيتي الطريق وعند كمال كل مسافة سارية
مربعة مرسوم عليها بالغبار المسافة الاولى فاذا انقضت المسافة الثانية
تجد بالسارية شكل الاثنين بالقلم الغباري ايضا وهكذا في كل مسافة مسافة
وفي خلال هذه المسافة لحقنا بالوادي المسمى بالحراسة عليه قنطرة لم يكن
مثلها بالبلاد الاصبنيولية فيما رايت ولا ما حدثت به افواسها خمس وعشرون
والسوار التي بين الاقواس من الجهتين كالشواهق وكل قوس فوقه قادوس
من الرخام من اعلى القنطرة يتبعط الماء عن بسيط القنطرة من الجهتين حال
نزول المطر والقواديس قدر المدافع وتتصل بمحجازات القنطرة يمينا وشمالا
مبسطات من الرخام وبناء القنطرة من الحجر الذي هو في البياض والصفاء كالرخام

قيل ان اخا الطاغية الموجود الان هو الذي شيدها منذ عشرين سنة
وهذا الوادي يتصل بالوادي الكبير المسمى بانطاخو على قرب من ازخويس
بثلاثة اميال وهو المار بمدينة طليطلة المحيط باسباع اثمانها

الخبر عن مدينة ازخويس

هي احدى ديار الطاغية المعدة للاسترلحة من الصيف لطيب هوائها حسبما
تقدم ذكره وقد بنا بازائها اعيان دولته من الديار المعتبرة حتى صارت من
جملة المدن وقد اجتمع فيها ما افترق في غيرها مما ياتي ذكره **فنقول**
دار الطاغية فهي كديار الموصوفة في ايما موضع من تعدد القباب والمقاعد
والغرف والمنازه والتصوير وما يضاف لذلك من نقش ونحت في الحجارة
وتمويه السقف بالذهب والفضة وغير ذلك مما هو مقرر وموصوف
غير ان هذه الدار تزيد على غيرها بمسايل استحسنة منها جريان الوادي في
جدراتها الثانية ضبط ارجابها واستيعاب نواحيها بالاغراس الثالثة
ما ابدعه المهندسون في قباب منها الاولى هي قبة من الودع الشديد
البياض حيطانا وسقفا وقد استوعبها تصاوير ادمي وحيوان ووحش
وطير وحشرات من ذوات السموم وغيرها الكل ناتي من نفس الواح الوداع
كل صورة على شكل خلقتها في تغيير الالوان والشكل كالسواد في العين
والشعر وبياض الاسنان وغير ذلك والاعجب من كون ذلك من نفس الودع
ولم يخالطه غيره ولا اتصال هذه الصور ببسيط لوح الوداع والالواح الواد
عية المشتملة على هذه التصاوير لا يشاكل بعضها بعضا في الجرم حال
انفصالها منه ما قدره ذراع في الطول والعرض مثله ومنها الكثر وموضع
كل لوح من الوداع مرسوم بخط على شكله في لوح القبة التي تكتسي بالوداع
وداخل الخطة علامة بالقلم الغباري المسمى عندهم بالنومر ثم علامة مثلها
بجنب الواح الوداع فيهتدي بالعلامتين لوضع كل لوح بمحله حال ايتلافها

واثبات

واثبات هذه الالواح الوداعية على الواح الخشب بلواليب من ظاهر الوداع
والطرشة التي يقابلها هي في الخشب فيتصل كل لوح بلوح على الصفة
حتى يستوعب القبة المذكورة ثم انبشر الواح الودع عليها فابعها والمبسوط
ومن العجب ان لا يميز اتصال اللوح من الودع بالذي يليه بالكلية وكذا
راس اللواليب لا تميز الا بعد التامل وامعان النظر هذا اذا اخبر الانسان
بما هنالك فيجتهد في البحث عن هذه اللواليب والبحث عنها لانها مموهة
باللون الذي حلت به اما من لم يسبقه اعلام بذلك فلا يهتدي للواليب
بالكلية لشدة لصقها بالتمويه وهذه القبة ان اراد صاحبها نقلها
لمحل اخر لا تعب عليه في ذلك وانما تنفض الواحها الوداعية بحل اللواليب
الثابتة لها على الواح الخشب ثم ينقل القبة الاصلية التي هي من العود ثم يضربها
في اي محل شاء وتكتسي بالواح الوداع على صفة ومساحتها سبعة وعشرون
قدما وطولها كالعرض ثم قبة اخرى من المرايا ثلاث مرايا في كل جهة من الجهات
الاربع طولها ستة عشر شبرا وعرضها ثمانية اشبار تشتمل على اثني عشر لوحا
من المرايا والرابط في المرات والتي تليها قضيب من الذهب قدر الابهام عرضا
وسقفها شبكة من قضب الذهب وداخل الشبكة رقم بالوان عديدة والباب
الذي يدخل منه لهذه القبة هو واحد من المرايا فاذا اسد شاكل غيره من المرايا
ولم يدر العابر من اي موضع كان عبوره والمرايا تمثل من القبة التي فوقها
عدة قباب خارجة عنها والناظر لاحد المرايا التي بالزوايا يشاهد طريقا في
غاية الطول وعرضها عرض المراة تماثلها التي تقابلها فاذا ارسل طرفه يمينا
وشمالا واماما وخلفا تعددت الطرق التي بزوايا القبة وهذا يدرك عقلا من
مقابلة المراءات للمراءات على الصفة وبناء هذه الدار قرب شط الوادي
المذكور المسمى بانطخو وهو واد كبير جدا قريب من وادي سبو المهدية
اخذ منه الطاغية نحو ربعه وجعله محيطا بداره وبستانه بعد ان بنى سور

مجراه يمينا وشمالا بالحجر المنجور العرض منه ستة اذرع اى عرض الواد وطول
السور من مجرى الماء الى الدرابيز المضروبة بافصاء داخلا وخارجا قدر
قامة والدرابيز من الحديد المموه بالذهب وداخلها ارض في غاية البسط
مساحتها طولا وعرضا نحو الاربع ماية خطوة تنتهي الى شط الواد في
الكبير الماخود منه ما ذكر وقد اشتملت هذه الارض على خصص يصعد
الماء من انابيبها للهوى بما يزيد على ماية ذراع وبها بعض الاغراس لم نرى
مثلها قط اذ خلقتها لم تعهد عندنا علوها قدر قامة وساعدها قدر
الساعد ليس به نبات ولا اغصان وباعلى ساعدها كرة من النبات ملتف
بعضها ببعض يانعة جدا لا ثمار لها والماء الصاعد من الخصص المذكورة
وغيرها مما شاهدناه في رياض على شكلها ينحدر من صهريج باعلى جبل شرقي
المدينة في قواديس من الحديد طولها عشر اشبار وعرضها في الاستدارة
اربعة اشبار وهي على شكل المدفع وبطرفي القادوس لوحة من الحديد
مبسوطة دايرة على فمه من الجهتين ويتصل كل قادوس بالذي يليه بطراشة
ولواليب بتمكينها من اللوحة المتصلة بفم القادوس ثم الذي يليه وهكذا
وبين الصهريج المذكور ودار الطاغية ثلاثة اميال وبازاء الواد الكبير تبيغة
عريضة جدا داخلها سفينة مموهة بالذهب وقامرتها لها شبه بالكدش
في الشكل وبين التبيغة والواد ثلاثون خطوة والسفينة يركبها الطاغية
مع زوجته وخواصه في زمن مخصوص للنزهة ثم تعود لترسيتها بالموضع المذكور
ثم تبيغة اخرى اكبر منها وبها سفينتان قريبتان من الاولى قيل انهما كانتا
لوالده والبنيان الحرفي بهذه الدار هو في غاية الطول والعرض يشقه الوادي
الكبير وهناك يتصل به الوادي الماخوذ منه المحيط بالدار المذكورة له خمس
قناطر ثلاث داخل البستان واثنتان خارجتان عنه يعبر عنهما للمدينة وقد
بالرياض قباب ومنازه واشجار في غلظ الارزات العظام وطولها غير

انها

انها لا ثمار لها وقد بوسط هذه الاشجار المذكورة اشجار الفواكه التي لا
تجد ثم بستان لخر استقل بالفواكه الصيفية والخريفية وقد عثرنا على دار
داخل اخر غراسه يوجد نابها مفعرا طوله ماية خطوة وعرضه ثلاثون
احاطت به مرابع بعضها فوق بعض والدرجة التي بين الطبقة والتي فوقها
قدر ذراع وعرضها اربعة اشبار حاملة الفواكه الرطبة الكمثرى والتفاح
والتوت بين كل ثمرة والتي تليها خال وضعها قدر طبع معين على الخط واسع
العساد وقد المراش الذي تحط عليه هذه الفواكه ربيع كالفضة وكذا ارض المقعد
استوعبها براش من النبات المذكور وقد علاه من الفواكه ما يعجز عن جمله ذكر
الفم على ذلك ان هذه الثمار تمكث بقية السنة ولا يدركنا الغير فهي مدخرة
لاكل الطاغية بحيث يبعث له في كل ثمانية ايام ما هو كاف له في المدة المذكورة
اذ عادة طغاة الروم احضار فواكه الرطبة واليابسة في اوان واحد وقد
التفاح والكمثرى قدر الا ترجة وطعمها طيب جدا وكذا السفرجل نسمة
وطعما اقمنا بهذه المدينة يومين وسافرنا قاصدين مدينة طليطلة
واحد وعشرين ميلا وقد كنا في غاية الاهتمام بها وبقي في الخاطر منها
شيء كثير حيث عرجنا عليها حال العبور لمادريد ولم يساعدنا الوقت في
الدخول اليها وقد عند التشييع مع الطاغية اعلمته بذلك وسالته كم بين مدينة
طليطلة وبين طريقنا الفرسخنة فقال الطاغية ان كان لك غرض في طليطلة
فاتكل على الله بان الطريق واحدة والزيادة التي بين الجادة وبين العبور
على طليطلة شيء يسير مبلغه دون مسافتين فقط وامر بالكتب لصاحب
طليطلة وغيرها من المدن التي نمر عليها ان يبذلوا مجهودهم في الاكرام
والترحيب وقد فعل كل واحد ما امره به طاغيته وزاد عليه وكان القصد
منا بالوصول لطليطلة ان نتعاهد الاماكن التي كانت للمسلمين ونحيي
معاهدهم ونقف على مقابرهم ونترحم عليهم ونعبر جامعنا الاعظم

ونبحث عما هنالك من الكتب العربية وما نجري بالموضع الذي لا يناسبه
ننقله للموضع اللائق به الحافظ له من لمس الكفرة فضلا عن أن يطئوه
أن الطاغية فوض لنا في ذلك واستحسن منا ما فعلنا وبقرطبة من قلع
اللوحتين من الرخام اللتين كانتا بالأرض ورفعنا لهما بأعلى سور المسجد
واعتذر عن ذلك بعدم المعرفة بما هنالك من البرابلية وغيرهم

الخبر عن مدينة طليطلة

مدينة مشيدة على ربوة في غاية الصعود وقد أحاط بسبعة أثمانها
الوادي الكبير المعروف بانطاقوا وديارها من ثلاث طبقات بأقل على
البناء الإسلامي فهي بين خفض ورفع وأزقتها ضيقة جداً والمدينة
في نفسها غير بعيدة من فاس تشاكلها في البيوت والغرف واستدارة
الطبقة العليا بالدرابيز من الخشب وسور المدينة لم يغير منه القدم
شيئاً يصعد بصعود الربوة وينحدر بانحدارها وللوادي قنطرتان إحداهما
من ثلاثة أقواس والأخرى من أربعة من عمل الروم وأما القنطرة الإسلامية
فقد هدمها السيل على ما قيل ولم يبق منها إلا الجدار وبخارج القنطرة تبقى
قصبة من عمل المسلمين رحمهم الله لها أربعة أبراج متمنعة في البنيان في
غاية الإتقان يحسبها الناظر أنها بنيت في الحال لجودتها وجدتها
ولما قربنا من المدينة برز أهلها لملاقاتنا في جمع عظيم وفعلوا ما فعله
من قبلهم من المدن من الترحيب والإجلال ونزلنا بدار هي من خيار دور
المدينة فلما كان من الغد ذهبنا للجامع فإذا هو من أعظم المساجد
اجتمع فيه ما افترق في غيره فهو أعلى من مسجد قرطبة وقريب منه
في طوله وعرضه إذا ضيقته البيوت والمقاعد والمخازن المتصلة
به من نواحيه الأربع وسواريه ليست كغيرها من السواري التي بالمسا
جد كل سارية محيطة بها ثمانية سوار متصلة بها منعقدة عليها

أقواس

عليها أقواس في غاية العلو وبناء الجامع وسواريه من الرخام وقد جعلوا
بين كل حجر والذي يليه في القائم والمقبي لوحة من الحجر الأسود عرضها كعرض
وعلوها قدر الأصبع زيادة في الحسن والنضارة وبوسط المسجد قبة
طولها اثنان وسبعون قدما والعرض مثله أحاط بها شيء من النحاس المذهب
واستوعبها تصاوير عديدة حيطانها وسقفها ومباحلات مستديرة
بنصب علو القبة حاملة لصناديق الموسيقى على الكيفية المقدرة وغير
ما محل من أماكن متعبدهم المشتملة على عدة من الصلبان وغيرها وبطرف
الجامع مثلها ثم أبهاء عديدة خارجة عن المسجد متصلة به يدخل
لها من الجامع وليس لها أبواب من خارج منها ما اشتمل على خزائن
مملوءة بالذخائر المعهود استعمالها من ملوكهم بكنائسهم من قديم
وكل من تولى منهم يزيد على من قبله وفي ذلك لهم أثر يتنافسون فيه
وقد اجتمع في هذه الخزائن ما لم يكن في غيرها مما شهدناه من التيجان
العديدة والأساور والقلائد والخواتم والمنارات والحسك والطيسان
والصور من الصلبان وما لا يعبر عنه ولا ندري تسميته الكل من الذهب
المنظم بحجر اليمنط وغيره على ألوان عديدة ومنها ما خالطه زمرد وجوهر
نفيسة وأما ما هنالك من أواني الفضة فلا تنحصر عدداً ثم بأحد الخزائن
ما كان على شكل منار الجامع قدره ما وزنا مئتين بيسير محمولة على
ظهر صور آدميين يحسبها الناظر أحياء وذواتهما من الفضة ولباسهما
من الذهب وقد استوعب المنارة تنبيت من أصناف اليواقيت وبإزاء
هذه المنارات سواران دارتهما من خمسة أصابع وبسطهما من أربعة
وغلظهما من أصبع وبهما تنبيت من اليمنط وغيره من جنس الياقوت
وبعض الجواهر النفيسة ثم كتاب مرسوم بالذهب هو عندهم بمكانة
مكينة لا يطلع عليه الأمن ومن قيل إن فيه بعض التوراة وفي الجملة

ان الذخاير التي بالمسجد الطليطلي به زيادة على ما باشكريال على اشكريال
هو عندهم من اعظم الاثار في البنيان والذخاير ولا خفاء ان طليطلة هي
دار ملك قديم ومرت عليه دول كثيرة مسلمة وكافرة وبها معها هو العتيق
بالبلاد والذخاير التي كانت بها لم يحدث بها تفويت حال الاخذ لنقلها
لمحل اخر حين حاصرهم المسلمون وبقيت عندهم محفوظة حتى عادت
لمحلها على ما حدث به احد الرهابنة ثم هناك ابهاء عديدة يسكنها
الرهابنة وباعلى سور هذا المسجد من احد نواحيه سبعون طاقة من
الرخام الملون المسمى عندنا بالزاج العراقي وابواب الجامع احدى عشر
منها ثمانية من الجهات الثلاثة والجهة الرابعة استغلقت بثلاثة
ابواب متصل بعضها ببعض الوسطى في غاية العلو واليمنى واليسرى
دونها نحو الثلث وفوق السواري الحاملة لاقواس الابواب سواري
لطاف عاليات في الجو حاملة لتحت ويرمن نفس الحجر الذي هو في صفايه
كالرخام وبازايه احد الابواب الثلاثة منار المسجد في غاية العلو
مدارجه ثلاثمائة وتسع وخمسون درجة والعرض منه اثنان وثلاثون
ذراعا في احد الوجوه الاربعة وبه النواقيس اثني عشر احدها كبير جدا
ثقيل لم يكن مثله بالبلاد الاصبنيولية يسمع صوته مسيرة يوم وزنه
ثلاثمائة واربعة وتسعون ربعا وقد نقروا عليه ونحن في الصومعة
بيقي دويه نحو الساعة حتى خشينا على انفسنا الصمم عند نقره ولخزنا
الموكل به على العدد اليه بالضرب ومن البر ما يكون مخوفا ولسان
هذا الناقوس المعلق بوسطه المستعمل لنقره هو قدر المدفع والمحرك
له حال الضرب سلسلة متصلة به وطرفها ممكن بناعورة فاذا حركها
بها لهما من الحركات اتصل لسانه بجنبه بعنف عنيف فيصوت صوتا لم
يسمع من صوت مدافع ولا من بنب وبالصومعة جب تجتمع فيه ماء

المطر

المطر وبصحن الجامع اشجار النارنج واشجار النبتر بما يزيد على العشرين
وباحد الابهاء المذكورة خمس صور قائمة على اقدامها اثنان من وحش
الرفيق ذكر وانثى واثنان من الترك رجل وزوجته وواحد من الشلطاط
كل على خلقته وهيئته من الحلية في اللباس المعهود له غير ان طول كل
واحد منهم ستة عشر ذراعا والراس والايد والارجل وما بقي من الجوارح
في خلقة هائلة مناسبة لطول القامة المذكورة فلما قابلنا
بديهة جزعنا وجزعنا سيما وقد استعملت للخطا نحونا لا يتمارى فيها
الذكي الفطن انها ذوات من غير روح بالكلية ثم كشف الغيب انها
صور وقد دخل اشباحها النصارى وهم المحركون لذواتها جعلوا ذلك
فرجة لنا ثم صورة رجل داخل الجامع اعظم خلقة من الصور المذكورة
في الطول والعرض وقد عبر بعض اصحابنا ما بين كعبته الى الابهام
اربعة اشبار وانسب بقية جوارحه لقدمه يتبين لك قدر هذا
الشخص الهائل وبيده نخلة يتكئ عليها وكانه عابر سبيل وهذا
لا غرابة فيه لاقتدارهم على التصوير وانما ادرجناه من جملة ما راينا
بالجامع ومن غرائب يوم العبور للمسجد الزمت حاكم البلد ان يصحبني
للاماكن التي كانت لملوك الاسلام وان يرشدنا للمقابر الاسلام وكذا
ديار الاكابر من المسلمين كالقضاة والوزراء والقواد وما في معناهم
لان الكثير منهم يستعملون الكتابة في ديارهم حيطانا وسقفا وقد كنت
اخبرت بشيء من ذلك فاطرق من الحاكم شيئا ما ثم استاذن على ان يذهب
ويرجع في الحين فلم يلبث الا وهو مقبل برجل مسن جدا غير انه ثابت
الذهن صحيح التمييز له خبرة في البلاد من ذلك لنجابته في قومه وطعنه
في السن ثم جعل الحاكم يسئله بسؤال الناصح استوعب ما عنده من الخبر
وكتب للحاكم جميع ما تعلق بعلم الشيخ وركب في الحال مع الحاكم للمواضع

التي ارشدنا اليها فاذا بمقبرة للمسلمين رحمهم الله سارية من الرخام
مكتوب عليها بخط كوفي بسم الله الرحمن الرحيم يايها الناس ان وعد
الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور هذا قبر الامام
احمد بن احمد بن مغيث كان يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون توفي رحمه الله ليلة الاحد لثمان بقين من ربيع الثاني
سنة تسع واربعين واربعمائة ثم سارية اخرى مكتوب في اولها
ما في الاولى من الاية الشريفة غير ان صاحب القبر لم يعرف من هو لمحو المحل
الذي هو مكتوب به ولم يبق من الحروف الا لفظ اربع واربعين في محل
التاريخ لا يقرا ما قبله ولا ما بعده ثم مواضع اخرى محي جميعها وبقي
اثار لبعض الحروف الا ما كان من ديار الملوك واعيان الدولة من الاسلام
فقد وجدنا بها بعض الكتابة اشتملت على لفظ العافية الباقية
ثم العز لله ثم الملك لله ثم السعادة الكاملة والنعمة الشاملة الكل مكتوب
في الجبس قرب السقف وهذه الديار هي في المدينة ما زالت على حالها
من بنيانها القديم الاسلامي واما القصبة التي بقنة الربوة فقد استولى
عليها الخراب من داخلها واما سورها فباق على حاله وما زالت القباب
والمقاعد والغرف والمنازه مشيدة الاركان مهدت السقف والبعض
منها على حاله القديم غايته فقد ان احدها به قصاوير فائقة الذوات
لم نسئل عنها في الحال ولم يبق في الخاطر منها شيء حيث لم نقف على حقيقتها
نسيانا عن البحث فيها والمقعد الاخر يسكنه المولى امر القصبة من قبل
حاكم البلاد وفي بزوايا القصبة منازه لاحدها باق على حدته له مدارج
يتعجب منها هي على شكل غير معهود صعودها في جوف برج مستدير
من الحجر المنجور بواسطة سارية من الرخام صاعدة الى منتهاه عقد

بن مغيث احمد

عليها المهندس طريقين كل واحدة لها مدارج بحيث يرتقي العابر من احد
المدارج ويصعد الاخر من المدارج الاخرى ولا يلتقي احدهما بالاخرى
حتى ينتهيا لباب المنزه من اعلاه وكلتا الدرجتين منعقدة على السارية
الوسطى وقبل دخول المنزه براح يطرح به مهواتان جنب هذه لهذه
لكل واحدة منهما مدارج يصعد منها على الكيفية وينزل منها على
الصفة المقررة والفضاء الذي بنيت فيه هذه المدارج قدره من السارية
لسور البرج اربعة اشبار يمينا ومثلها شمالا فالعجب كيف امكنه
تعدد طرق المدارج في ذلك الضيق البائن وقد سترت سور القصبة
من خارج الاركان بل الوجوه الاربعة سلاسل معلقة والكبالات باقية
عليها الحصر فسالنا عنها فاذا هي كانت للمسلمين رحمهم الله يقيدون
بها النصارى من الكفار ابقوها هنالك تذكرة لهم منها ما جاء من
غرناطة وجلها من طليطلة والقصبة مطلة من الجهتين على المدينة
ومن الجهتين على المواليا والناحية المقابلة لها وبباب القصبة براح
متسع غاية ينتهي الى شفير الحافة المنحدرة للوادي وسور
المدينة من ناحية الوادي مشيد على صخرة تنحدر بانحدار الجبل تنتهي
الى الوادي وبين الوادي وسور المدينة ما يزيد على مائة وخمسون قامة
والعجب في صعود الماء من الوادي للمدينة بهندسة عظيمة
وهي ان جعلوا ناعورة عظيمة جرا جنب الوادي بعد ان بنوا لها
سورين احدهما داخل الوادي والاخر بشطه ووضعوا من جهة
صندوقا من الحديد ممكنا بالارض محفورا فيه اربعة افواش وجعلوا
فوق كل قادوس عامودا من الحديد طوله قامتان وغلظه يزيد على غلظ
الساعد باصبعين ويطرح به الاسفل قطعة من الحديد طولها ذراع
وغلظها ثلاثة اشبار على الاستدارة فهي للقواديس بمنزلة اليد

للمهراس ترتفع هذه المرازم وتنحط بحركة الناعورة المذكورة تدفع
الماء من القواديس المذكورة في الصندوق لجوف الغلدوس المتصل
بها هو على شكل المربع طولها عشرة اشبار وغلظته ثلاث اشبار
وهذه القواديس يتصل بعضها ببعض مسندة على سور منحدر من
اعلا المدينة الى الواد وكلما دفعت تلك المرازم من الصندوق للقواد
يس يعقبه ماء اخر وهكذا فهو كالة طريبته تجعل في السجن على ما
قيل غير ان هذه العجب في المدينة باقية على ما تركها المسلمون رحمهم
الله الا ما احدثه اعداء الله في المساجد من التصاوير وما هو معروف
لهم من حمل النوافيس وما في معنى ذلك بالواد ارحاء وارجاؤها
خارج الوادي مبسوطة لم نر بها اجنة ولا اغراسا وانما اشتمل غرب
المدينة على مجاير وخضر وعلى معرضها اجنة من العنب وشيء من
اشجار الزيتون وبين سور المدينة والوادي دار بوسطها اسبيطال
متسع جدا واهل المدينة يستعملون نسج الحرير بركاضوا ونحوه
وغيرهما وجل اهل المدينة ضعفاء ولهم ميل للمسلمين وطليطلة هي
اول اقليم مانشا من ناحية مادريد ان مادريد من اقليم نشتالة
اقمنا بها ثلاثة ايام وسافرنا قاصدين مدينة مورة عن ثمانية عشر
ميلا • • **الخبر عن مدينة مادريليخ** • • •
هي مدينة بدوية كاهلها وقد بارزهم للملاقات خلق كثير واقتفوا
اثر المدن المعبرة في اخراج الاكداش واحضار اهل الموسيقى واتقاد
الشمع وانتخاب الفرش الى غير ذلك ولم يصحبهم تقصير فيما يتعلق بامور
الضيافة ومن الغد سرنا قاصدين قرية قريبة من ان تكون مدينة
سميت باسم العرانلي صاحبها الذي بنيت لاجله واسمه سنخوان
لحقنا بها عن خمسة عشر ميلا بين الظهرين من النهار •

الخبر

[illegible]

الخبر عن مدينة مورة • • • • • •
قد تقدم الكلام عليها في العبور الاول اقمنا بها بقية يوما وسافرنا من الغد
قاصدين مدينة مادريليخ عن خمسة عشر ميلا مدينة سنخوان •
الخبر عن القازدى سنخوان • • •
حكم هذه القرية حكم التي قبلها في البداوة وبرزوا اهلها للملاقات والاكرام وما
يضاف لذلك غير ان تلك اختصت بحكمة في صنعة البارود المنتخب المشكور
عندهم بالبلاد الاصبنيولية حتى ان صائغه رمى كرة بمهراس وزنها اربعة
وستون رطلا بثلاث اواق من هذا البارود المذكور من غير دق ولا سحق عليها
داخل المهراس حسبما شاهدناه بتصعدت الكورة في الجو صعودا باهرا وسقط
على بعد من المهراس ماية وستون خطوة لجودة البارود المصنوع عندهم بتلك
القرية وبها تصنع السيوف كسبونيا اقمنا بها بقية يومنا وسافرنا قاصدين
مدينة صكيلموص • **الخبر عن مدينة صكيلموص** •
مدينة بين الكبر والصغر وديارها ارضية واهلها للبداوة اميل وقد احاط بالمدينة
عدة ارحاء المسماة برحاء الريح وقد اقتفوا الاثر من قبلهم في الترحيب حال بروزهم
للملاقات وعندنا للتشييع وقد سرنا من هذه ليلتنا غدوة قاصدين مدينة اسمها
منايا عن خمسة عشر ميلا • **الخبر عن مدينة منايا** •
مدينة غير بعيدة من الاولى في البداوة ومشاكلة من بها خلقا وخلقا ولم يال
احد فيهم جهدا في المباشرة واظهار البشاشة حتى انهم يسمحون بكل عزيز
عندهم رغبة فيما يصل لطاعتهم من المباشرة والاكرام حيث امروا بذلك على
البسيان المصاحب لنا يكتب ما صنع كل واحد من ولاة المدن على حدته بيتنا فيسون
في ذلك ومن غد تلك الليلة سافرنا لمدينة لا الرودة لحقنا بها عشية عن اربعة عشر
ميلا • **الخبر عن مدينة لا الرودة** • • •
مدينة متسعة جدا وديارها شامخة واهلها اهل ملاحة غير انهم بادون محض

ومع ماهم عليه من البداوة فعلوا ما فعله اهل المدن وقد اختلفوا لذلك قبل
حلولنا بلدتهم حيث علموا ان مرورنا عليهم فيجدون ويجتهدون في برورهم
للملاقات وما بعدها حتى تصرف عنهم في عز واكرام ومن هذه المدينة كان
رواحنا للمدينة لختناتا عن تسعة اميال •

• • الخبر عن مدينة لختناتا • •

مدينة عليها اثر القدم وديارها كديار المدينة التي قبلها في التشييد الذي هو
غير شاهق كما حكيناه في بداوة اهلها وبالجملة حكمها حكم التي قبلها في الفعل
والخلق والاخلاق ولا مرية ان هذه المدن المتقدم ذكرها قريب بعضها من
بعض والكثير منها بازائه قصبة للمسلمين هدمها القدم ولم يبق الا الجدار
او بعض الابراج اقمنا بها بقية يومنا ومن الغد سرنا قاصدين مدينة
البسيطي عن تسعة اميال وفي خلال هذه الاميال خرجنا عن اقليم مانشا
ودخلنا اقليم مرسية وفيما بين الاقليمين المذكورين علامة وهي سارية
مكتوب عليها اقليم مرسية ثم بعد العلامة بقليل عثرنا على مدينة كبيرة
جدا عن يسار عبورنا في جبل شاهق وبقنت الجبل قصبة لها اثنى عشر
برجا من عمل المسلمين رحمهم الله لم يحدث بها تغيير وللمدينة سور في غاية
الاتقان بجميعها فسالنا عنها فاذا هي مدينة شيتينية وقد رغبنا في
الدخول اليها واشتغلنا بالحلول به لنستوعب اخبارها ونقف على ما فيها
وقد عاقنا عن ذلك تراكم الامطار وعدم امكان الصعود اليها الا لحد اتى
اذ هي بقنة الجبل ومنها كان رواحنا للبسيطي المذكورة •

• • الخبر عن مدينة البسيطي • •

مدينة بين الحضارة والبداوة واهلها اهل بلاغة وبها عدد من الشلغاظ
فهي كغيرها من المدن المتقدم ذكرها من نزول الشلغاظ بها مدينة مدينة
وكلما حللنا مدينة ياتي المتولي امر الشلغاظ بعدد منهم للدار التي نحن بها

فيمكثون

65

فيمكثون بالباب مدة اقامتنا زيادة في التعظيم والتنويه بنا ولا ينصرف
احد منهم الا بعد سيرنا فنكرمهم بما يناسب وتقتضيه المروءة الاسلامية
وننصرف عنهم ومن عاداتهم انهم يتحدثون بما اكرموا به ولهم في ذلك افتخار
وعظمة من اكرام الباشادور اياهم وهكذا في كل مدينة مدينة واهل
هذه المدينة لم يعجبهم تقصير في اقتفاء من تقدمهم فيما يرجع للضيافة
من ملاقات وتهيئ المكان والمباشرة والاكرام ومنها كان رواحنا لمدينة
منط الكر عن اربعة وعشرين ميلا •

• • الخبر عن مدينة منط الكر • •

مدينة بدوية وديارها غير متخنة في البنيان واهلها ضعفاء جدا ومع
ماهم عليه من الضعف هيؤوا المنازل احسنا وجعلوا به فرشا على قدر طاقتهم
واعتذروا عن ايقاد الشمع اذ لم يوجد عندهم وكثيرا ما رحبوا بنا وجميعهم
يعتذر عن اداء الواجب وقد حللنا مدينتهم بعد المغرب بيوم شديد
المطر مع مكابرة الوحل ولم يسعنا الا الاقامة بهذه المدينة لتتابع
السيل العاتي وباليوم الثالث انجلى الغيم وسافرنا قاصدين مدينة
ايكلا عن اثني عشر ميلا في وحل عظيم •

• • الخبر عن مدينة ايكلا • •

مدينة حكمها حكم ما تقدم من المدن المبدوية على الاجمال والتفصيل
وهي اخر اقليم مرسية مما هو من الناحية المتصلة باقليم بلنسية والطريق
الجادة لمدينة مرسية التي هي طريقنا عبورنا لها من الدار التي بها
مبيتنا عن يسار القبلة وبينها وبين مرسية مرحلتان غير انها لم تكن بها
مدن للمبيت ولذلك عين الطاغية المدن التي نمر بها وان كانت مخالفة
للجادة لهذا الغرض فتياسرنا عن الجادة ودخلنا اقليم بلنسية فكان رواحنا
لمدينة المنوبر وهي اول مدينة من اقليم بلنسية عن اثني عشر ميلا •

• الخبر عن مدينة المنوبر •

هي اول مدينة من اقليم بلنسية وهي بين الحضارة والبداوة غير انها
بالنسبة الى ما تقدمها بالاقليم الاخر هي من الحضارة وديارها لم تكن
حضرية محضة وانما هي بين بين واخلاق اهلها مباينة لاخلاق من تقدمهم
بهم على قدم للحواضر في الرقة والادب والمباشرة الدالة على ما هم عليه
من العقل والتمييز في امور دنياهم ومن اعجب ما رايت عندهم بنية
ما ظننت في عمرها تسعة اعوام وقد احيت الليل كله بالغناء بين اهل
الموسيقى ثم اخذت في الرقص على هيئة غير معهودة عندهم ثم باشرت
عود الطرب بيدها ولما قضت منه الغرض اسكتت المعلمين ثم قامت
على قدميها خاطبة في القوم والحاضرين غاية الانصات لها وجعلت
تارة تدمع عينها وتارة تضرب بيدها على صدرها وتارة تنقبض
وتارة تنبسط ومما يستغرب منها ايضا سردها ما تمليه على القوم
بسرعة ولم يصبها توقف ولا تلجلج واستمرت على تلك الحالة ما يقرب
من ساعة وكتبت الغيب انما كانت تحدث به هو محفوظ من كتاب
عندهم كالعشرية وهم يسمونه بالكميدة والكميدة عبارة عن دار هي محل
جمعهم للنزهة والبهجة يجتمع فيها الرفيع والوضيع من قرب المغرب الى
نصف الليل على التابيد وللدار طبقات عديدة ومقاعدها مطلة على
صحن الدار ولا تجد امراة ولا بنية بهذا المحل الا وبيدها كراسة من جزء
الخرافة التي ظهر قلب هذه البنية المحدث عنها ومن غداة ليلتنا سافرنا
بالسلامة قاصدين مدينة ايلشي عبرنا اليها على اثني عشر ميلا •

• الخبر عن مدينة ايلشي •

مدينة هي احسن من التي قبلها بكثير في الحضارة وسعة اهلها في المال
وقد اجتمع فيها ما افترق من غيرها من وجوه احدها ميلهم للمسلمين

بالقلب

بالقلب والقالب والظاهر والعلى الباطن ولا شك ان فيهم عرقا عريقا
في الاسلام حيث كان اسلامهم على الدين القويم فهم يتلبسون بذلك ويعترفون
بان دين الاسلام اشرف الاديان وان المسلمين هم على الحق ومن سواهم على
الباطل لكن لم تصلهم الدعوة وعلى تقدير وصولها اليهم الان لا يمكنهم
حفظها ولا العمل بها في هذا المقام الستر واما ان جهر احد بذلك فلا يستتاب
عندهم ولا يحكم عليه الا بالقتل وقد استوعب هذه المدينة نخيل من
الجهات الاربع ما يزيد على الاربعين الفا غير انه طعمه وطعم نخيل مراكش
واحد لا يدخروا اهل المدينة غلب عليهم الحسن والنضافة اقمنا بها يوما
وليلة ومنها كان رواحنا لمدينة اريولة عن خمسة عشر ميلا •

• الخبر عن مدينة اريولة •

مدينة حضرية كاهلها فهي اكثر مما قبلها مالا ورجالا وقد شق المدينة
نهر كبير جدا اسمه سكورة عليه قناطر يعبر عليها الذاهب والايب
من الجهتين والمدينة دار مشيدة على شطه يمينا وشمالا مطلة عليه بشرجيب
متقنة ويتصل بدور المدينة اغراس واجنة وقد احاط بالمدينة سور
من عمل المسلمين رحمهم الله من الجهات الثلاثة ينتهي من طرفيه لجبل
شاهق عليه قصبة للمسلمين ايضا وقد برز منهم لملاقاتنا خلق كثير
بالكداش لا تبعد في الجودة عن كداش طاقتهم وكان نزولنا بدار هي من
خيار الديار المتخيرة واما الفرش والستور وايقاد الشمع فشيء كثير
الى غير ذلك مما يدل على رفاهية القوم وقد اجتمع بنا من نسائهم ليلا ما
ضاق عنه المكان مع سعته واهل الموسيقى قد احيوا الليل في استعمال
الموسيقى والرقص ثم لما ان وقت انصرافهم اقبلت علينا عدة من النسوة
يطلبن الاقامة عندهن من الغد فاعتذرنا لهن بما لم يسعهن الا قبوله
وقد حضر لتشييعنا من الغد اكثر ممن حضر عند الملاقات وكان رواحنا

6 للمدينة مرسية عن اثني عشر ميلا وفي خلال هذه الاميال الحقنا العلامة
المميزة بين اقليم بلنسية واقليم مرسية

الخبر عن مدينة مرسية

هي من المدن العظام مشيدة في بسيط من الارض وقد استوعب ارجاءها
اشجار التوت عن الجهات الاربعة قيل ان سعة ارجائها اثني عشر ميلا
جميعها سقي وقوم بوسط المدينة نهر عليه قناطر عديدة وهذا الوادي
هو الماء للمدينة التي قبلها وديارها عليها اثر القدم والكثير من اهلها
يصنعون نسيج الحرير على انواع والغالب انهم فقراء وفيهم جفاوة في
الطبع لا يالفون ولا يولفون حتى يظن مباشرهم انهم ليسوا من الاصبنيول
الغلب طباعهم وتباينهم عن الجنس والمدينة لا يعبرها العابر الا بعد
الكد والتعب من الوحل في طرقها وجميع ارجائها وقت المصيف فضلا عن
زمان الشتاء حتى قيل اذا اطلق الماء على نواحيها منع القاصد لها حال
الحرث ولا يمكنه ان يصل اليها بالكلية بخيل ولا رجل وقد شاهدنا مصداق
ذلك حال العبور اقمنا بها نحو الساعتين وسافرنا منها قاصدين قرية
على بعض بعد منها بثلاثة اميال بموجب السفر منها على الفور وعدم
الاقامة بها ان المسافة التي بينها وبين قرطجنة سبع وعشرين ميلا لا يمكن
عبورها بالكلية في اليوم الواحد ولم تكن دار مناسبة للمبيت في خلال هذه
الاميال لما اقتضى النظر ان نسير بقية يومنا للقرية المذكورة عن ثلاثة
اميال جميعها في وحل وطين وغدران ولم يال الجهد صاحب القرية في الترحيب
والاكرام والقرية باسم صاحبها نظن انه من كبير الصرايلية وقدمنا منها
بالثلث الاخير من الليل قاصدين مدينة قرطجنة عن اربع وعشرين ميلا كلها
في ارض مبسوطة وبها ديار لا تنحصر عددا متفرقة يسكنها الحراثة والغزابة
ولو انضمت الديار بعضها الى بعض لكانت من المدن العظام

الخبر

٦٥

67

الخبر عن مدينة قرطجنة

لما قربنا منها ولم يبق بيننا وبينها الا قدر مسافة بر زملا افاتنا جماعة من
المسلمين رجالا ونساء وصبيان ولهم ضجيج يعلون بكلمة الاخلاص
ثم يشفعونها بقولهم الله ينصر ولد سيدي رسول الله سيدي محمد بن عبد
الله فسلمنا عليهم ورحبنا بهم وسالناهم عن حالهم فاذا هم مسرحون وحكمهم
حكم الاسير لا يستطيعون الخروج من البلاد الا اذا ادوا ما اوجبه النصارى
على المسرح ما لم يكن في قيد اسر الطاغية وجعلوا ذلك من جملة الرقاب
يعرف على ضعفائهم فلا يمكن التساهل فيه ولا التسامح وهؤلاء الاسارى ضعفاء
جدا مساكين متسبعا د ما يخدمون به غير كاف لهم لما يقوتون به اولادهم
لغلاء الاسعار ومكثوا مدة من سنين في الوهن وهم في اشد تعب و
ضنك من الاسر المحض اذ الاسير يجري عليه النفقة مالكه خشية عليه
من الضياع وهؤلاء الناس معين لهم ولا ناصر الا الله سبحانه ومن جملة ما قطع
اكبادهم الخوف على صبيانهم بعدهم وتركهم في بلاد الكفر وقد طال وقوفنا
معهم وهم يبكون ويتضرعون ونحن اكثر منهم بكاء وحسرة عليهم فسكنا
روعتهم ووعدناهم بخير من سيدنا ايده الله وبشرناهم بان يودي عنهم ما هم
مطالبون به وان يحملهم لبر الاسلام ان شاء الله فان سيدنا نصره الله
ما بعث بنا الا امثالكم فطيبوا نفسا وقروا عينا فانطلقت النساء بالزغاريت
والصبيان يفرحون ويرقصون واباؤهم يعفرون وجوههم في التراب
ساجدين لله شكرا حامدين الله تعالى داعين لسيدنا المنصور بالله
بما ترجوا من الله قبوله وكان يوما لم نر مثله بكاء وفرحا حيث اعتق
هؤلاء القوم وانقذ صبيانهم من بلاد الكفر على يد سيدنا الكريمتين
وانفصلوا عنا فرحين مسرورين ثم برز لملاقاتنا خارج المدينة خلق كثير
باكداش عديدة حاكم البلاد وامراء البحر واعيان القوم واما ملقى الناس

نحن امنا

بلا يأتي عليهم حصر ورحبوا بنا كثيرا وركبنا اكداشهم وصاروا امامنا راجلين
من غير شماريركانهم ذاهبين امام عظيمهم كل ذلك تعظيم لجناب سيدنا المؤيد
بالله وقد عبرنا المدينة في ازدحام عظيم والشلظاظ والحاكم والاعيان محدقة
بنا يردون عنا القوم وشراجيب الديار والسطوح مملوة نساء وصبيانا ومنذ
اشرفنا على القوم وهم يصيحون ثم يسكنون ثم يضحكون وهكذا ومعنى لفظ
ضجيجهم الله ينصر سلطان مراكش ولما حللنا الدار المعينة لنزولنا وهي
من احسن ديار المدينة جعل الحاكم والاعيان بعض الشلظاظ بالباب وامروهم
بمنع من يريد الدخول علينا الا بعد المشورة والاستيذان وما زالت الاعيان
تتردد علينا بقصد السلام علينا والترحيب بنا وقد ظهر منهم في المباشرة
ما فيه زيادة على غيرهم ممن تقدمهم وقد كان تقدم لهم الامر من طاغيتهم
بمباشرتنا والفرح بنا وبما يكون عليه العمل في شان الاسارى من تسريح الطاعن
في السن والمبطول والاعرج والاعمى ومن في معناهم والرفق بمن بقي منهم
في الاسر من غير ايالة سيدنا ومن كان من الايالة المولوية يسرح ثم يعير الحامل
لكتاب الله وان يعظم ويحترم وحيث كانت هذه الاوامر بعثت لهم من
طاغيتهم ولم ندر هل استوعب جميع ما كتبت الطاغية ام ترك منها (جميع ما كتب لهم به الطاغية)
شيا نسيا نا بقي في النفس منها شيء حيث لم نطلع على الكتاب المتضمن
لهذه الاشياء فاقتضى النظر ان نوخر الملاقات باخواننا المومنين
ثلاث ايام لنطلب الاخبار بما كتب به الطاغية في ذلك ليلا نقول
مسئلة ونجاب عنها بقولهم لم تكن عندنا في كتاب عظيمنا وحيث
حططنا على اليقين من طريق احد الاسارى له مروءة وعقل بان الطاغية
كتب لامراء البحر بسراح الطاعن في السن ومن في معناه ممن الذين لم تبق
فيهم فائدة ولا مصلحة وكذلك كل من ثبت انه من الايالة المولوية وعرف
ذلك انهم ميزوا من الشيوخ ستة عشر ومن المنتسبين لايالة سيدنا نصره

الله

مثلها في العدد على ان الشيوخ اكثر من ذلك والا من هو من ايالة سيدنا
المؤيد بالله ظنا منهم انه لا تفتيش فيهم ولا تنافسهم في البحث عن الاسارى
حيث امتثلوا امر طاغيتهم وقضوا هذا الغرض فيلزم ان تحل بلدتهم وانما
جعلوا ذلك من عنديات انفسهم فشيعنا الاسير المخبر بذلك وبقيت
معكرا في المسئلة وقد كنت وعدت قائد البحر الذي الى نظره الاسارى
وهو المخاطب في شانهم من طاغيته بملاقات اخواننا المومنين من الغد
فبعث اليه عند اقبال الليل من يوم وعده بذلك بان تاخير الملاقات بالاسارى
الى بعد غد ان شاء الله تعالى لامر عرض فاجاب لذلك واصبحت
ملازما للفراش وكل من يرد من الكبرة بقصد السلام علينا والتعاهد
الواجب عليهم صباحا ومساء يرد من الباب ويقال له الباشا دور ما اشتكى
فيتقنع ويذهب لحال سبيله ثم ناديت كبير الاطباء وباشرته كثيرا
ورحبت به وقد اختبر من حالي ما اختبر فقال لا باس وان ما تجده انما هو
من تعب الطريق فقط وجعلت اتحدث معه في الامور الطيبة واعترفت
له بمزية الحكماء وما هم عليه من الصدق والثقة والامان لتصرفهم في ذوات
الخلق وان امرهم ممتثل عند الملوك والرعية بهم ملوك على الابدان فا
نشرح لذلك غاية واستحسن مخاطبتنا اياه وقال ان هذا الخطاب لم
نسمع مثله قط وانتم المسلمون لكم عقول حادة وبصيرة متنورة وقد
غلب على ظنه انه من اكابر الحكماء على انه لا ايقف شيا وانما خاطبته بحجة
وبسطه لامر اوجبه ولاخذ في السؤال عن بر الاسلام وعمن به من
الحكماء الى ان انجر الحديث لاخبار المملكة وما هو عليه سيدنا نصره الله
من العظمة والجلال والنصر والعز والتاييد وما لديه ايده الله من العساكر
والجنود في البر ومما يأتي عليها الحصر ومنها بالبحر العدد الكثير وجعل
يسئل عن المهادنة التي انعم بها سيدنا ايده الله على عظيمهم هل هي

كمهادنة من تقدمهم من الاجناس المصالحين فقلت قد كان ذلك وموجبه
امثال الامر من طاغيتكم لما امر به سيدنا نصره الله من سراح بعض
الاسارى من ايالته المباركة في الرفق بالاسرى الذين هم من غير ايالته
من المسلم عنده ايده الله واحدا وحيث فعل ما امر به قابله سيدنا
نصره الله بما اقتضته همته العليا بان سرح له العدد الكثير من جنس
الاصبنيول ثم شفعه بسراح جنس اخر ثم بعده شيوخ لم تبق فيهم
فائدة ولا مصلحة وكتب ايده الله للراي كالوصي يحضه على سراح الطاعن
في السن الذي لم يبق فيه مصلحة لما في ذلك من الاجر فاذا الجاب لذلك
الطاغية وها نحن وردنا عليكم لهذا الغرض لكن نقص عليك مسألة
غريبة لا يهتدي لها الا ذو بصيرة من الملوك وذلك اننا لما امرنا بتمييز
العجائز من الاسرى ومن لا قدرة له على الخدمة حصل لنا توقف لان البنية
منها صحيحة وعليلة فلا تختص العلة بالطاعن في السن ولا الصحة با
لكهل وقد يوجد الشيخ اقوى واجهد من الحادث في السن الذي صاحبته
علة اسقطت قوته والشرط في سراح هؤلاء الاسارى هو العجز عن الخدمة
اما بكبر السن او بمرض مزمن وكذا المبطول والمقعد والاعمى وذكرهم
هنا على التفصيل من الاطناب الحسن زيادة في التشنيع عليهم على انهم
ملحقون بالعاجزين فاشار مولانا المويد بالله بان يسند امرهم حال
التمييز عن اخوانهم للاطباء لانهم اعرف بذات الانسان اكثر مما يعرف
من نفسه فحصلنا على المؤمل في ايسر وقت وازيلت عنا غمة التوقف
في المسألة وقد تذكرت هذه القضية عند مشاهرتكم واختبار ما انت
عليه من المهادنة والعقل والصواب وما كرهت حضورك معنا حال
استفسار القوم وكل شيخ كان او اعمى او مبطولا او مقعدا او من يدعي
الما يختبر حاله ويستوعب بالنظر جوارحه فمن كانت فيه بقية للخدمة

جاء علينا فيه ومن لم تبق فيه مصلحة يسرح بحكم اجتهادكم في الصحيح و
العليل فهو من لذلك غاية وقال جزاك الله خيرا فطب نفسا من ذلك ولا
لك الا يعجبك ما طلب انت حضوره معكم حال التسراد تنل المؤمل
وانصرف عني مكرما ومن الغد ذهبنا لاخواننا المؤمنين فاذا الخمسة
اغرباء مشحونة باسارى المسلمين فلما اقبلنا ضجوا ضجة عظيمة
معلنين بالشهادة ناصرين مولانا المويد بالله فنزلنا بالغراب
الاول من المسلمين فسلمنا عليهم ورحبنا بهم واخبرناهم بان سيدنا نصره
الله مجتهد في خلاصهم من الاسر وقد امر ايده الله باحضار الجميع منكم
ومن بعث لكم بصلة مبارك لكم فيها وانتم اخواننا اعتنوا بصلاتكم و
عضوا على دينكم بالتوحيد واصبروا فان الصبر مقرون بالفرج وعما
قريب يفرج الله عنكم وقد امر الطاغية بالرفق بكم وبعث بالكسوة
لجميعكم الكل لوصية سيدنا نصره الله عليكم وجعلت اقيد كل باسمه
ولقبه وكل شيخ يمر بين ايدينا تحصل فيه الممارات هو يدعي انه ساقط
القوة لا عبرة به واهل البحر يعارضونه في قوله فاختليت بالمولى على
اسارى المسلمين المسمى عندهم الشطنط واشرت عليه باحضار الاطباء
وما حكموا به نحن نتبع له ويخرج جميعا من العهدة مع الاسارى وغير
هم فبعث الاطباء في الوقت وقد اعلمهم كتاب طاغيته المتضمن للامر
بسراح الطاعن في السن والمبطول والمقعد والاعمى بعد ان استحسن
ما اشرت به عليه وتيقن ان ذلك هو عين الصواب بالنازلة وقد حصلنا
على المؤمل والحمد لله من فضل الله ثم من بركة سيدنا المؤيد بالله من غير
لجاج ولا مناقشة فكان جملة ما سرح من الشيوخ اثنين وستين نسمة
ثم لما سمع مطلق الاسارى ان من ايالة سيدنا نصره الله مسرح
انتسب جميعهم للغرب وقد ضاقت نفوسنا من ذلك وحصل لنا ذهول

في الفعل من ذلك حتى الذ ورددت القلم الى ان قلت انهم من ايالتنا يعارضه
في ما ينتسبوا اليه من قبل وشهدوا على انفسهم انهم من غير الغرب مع عدم
اليقين من اي ايالتهم وان تركتهم تعارضه ايضا حرمة الاسلام لان الاسلام
ولما لم يسع العبد الفقير بعد ان تامل فيما يكون به الفصل في النازلة
الا ان اخر التسراد الى الغد من يومه والزم من بيده زمامات الطاغية
المتقبلة اسماء الاسارى وما ينتسبون اليه ان يطالع جميعها بداره
من غير حضوري لانه عنده مصداق في ذلك فمن وجده بالزمامات سلويا
او طنجيا او غيرهما من المدن المغربية يجعله في زمام مستقل ثم يسرح
من غير استفسار ومن انتسب للايالة المولوية ينظر فيه فمن ثبتت
نسبته يسرح وان كان ادعى قبل انه من اهل الجزائر او غيرها ومن لم يثبت
نسبته يجعل في زمام ويؤخر الى الاستفسار فكان جملة ما وجد بالز
مامات المذكورة من ايالة سيدنا نصره الله اربعين نسمة ولم يخطروا ابدا على
بال وانما كان انتسابهم للايالة المولوية في زمن اسرهم حتما فيد وامنها هو
سعادتهم السابقة وسعادة سيدنا اسماه الله كانت بهم لاحقة ولولا هذا
البحث المغربي ما عرفوا ولا سئل عنهم وانما ذلك الهام من الله تعالى وتيسير لانقاذ
هم من الاسر فقد كان البحث عن شيء فاذا بارزت القدرة ما فيه من العجب من فكاك
عدة من الاسلام المسلمين من قيد الاسر من غير قصد ولا طلب فسبحان محول الحال
ولما نافذ تسراد القوم فكان قدر ما ثبت لدينا من المنتسبين عدده لاخر للا
ستفسار لان الروم عادتهم يصدقون الحدث لهم ما لم يظهر عليهم مخايل
الكذب او يصدر منهم ما يؤذن بانحراف عن الجادة ولو نسيانا او خطا
ولم تقبل لهم كلمة قط بعد وقد احضر الكبار رجال التسراد رقبانا من
المسلمين الذين لهم بهم اتصال باطني بحيث اذا اصدقنا لهم في نسبة
لايالتنا وهو من ايالة الغير يخبرونهم بذلك فيتبين لهم عدم صدقنا

وتحصل

وتحصل المرارات فيمن سرح قبل وقد اخبرت بهذا الحال التسراد الاول
ولم يسع العبد الفقير الا تاخير من لم يثبت نسبه لاي ايالة هو الى
الاستفسار ثم بعد ذلك فرقنا عليهم المال المنعم به عليهم من سيدنا
ايده الله وقد حصل لهم الرغبة في الخدمة والاعتناء بهم لوصية سيدنا
ايده الله وقد حصل السرور عليهم وقد كسا الطاغية جميعهم وحض على الا
حسان اليهم حتى حيث امره سيدنا المنصور بالله بذلك وبتمييز
ثلاثة من الطلبة الحاضرين في الوقت وتعظيمهم واحترامهم بحيث
لا يكلفون بخدمة ولا تهتك لهم حرمة ثم شرعنا في الكلام مع حاكم
على الاسارى المسرحين المرهونين فيما موظف على امثالهم من واجب
الابواب وقد حضر القاضي وغيره من البرابلية وتصححوا ما بايديهم من
الرسوم المتضمنة سراحهم فوجدوها صحيحة تامة فادينا عنهم الواجب
وقد وجدنا امراة منهم مسرحة ولها بنتان وابوهما في قيد الاسر وجعلت
المراة وبنتاها يترددون الينا ويتشفعن بسيد الشفعاء في فداء
زوجها فان لم يسرح من فضل الله وفضل مولانا المنصور بالله فلا سبيل
لها لمرافقة القوم لبر الاسلام وقد تعاظم عليها الامر حيث تعين
سفر من عداها من المسلمين من النسوة والبنين واباهم ولم يسعنا
الا استخلاصه من الاسر وجمعت الاصل بالفرع وقد كان مولانا المؤيد
بالله امر بفداء من نجده بيد غير الطاغية من المسنين ومثل هؤلاء
القوم واذن لخديمه ان لم يكف المال المصحوب معه للغرض الذي
يظهر في الوقت زيادة على ما هو معين ياخذ من تجار النصارى و
اداؤه على فضل سيدنا نصره الله في سراح المسلمين وفدائهم
من بلاد الكفر لم يكبر في عينه ما حمله خديمه من المال وقد حططت
وقضينا جميع الاغراض وبقي الوافر من فضل الله تعالى وبركة مولانا

المؤيد بالله تقبل الله من سيدنا عمله وبلغه في الدارين امنيته وامله
وبعد الفراغ من قضية الاسارى المرهونين جعلت اسال عمن بقي بقرطجنة
من المسلمين الذي تحت اسر طاغية النصارى لنواصلهم من اكرام سيدنا
اعزه الله حتى لا يبقى احد ممن يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غير مواصلة سيدنا ايده الله لانه امر خديمه
بذلك وحتم علينا فيه فكان من جملة من ورد فيهم بنت بالغة الحلم
مالكها رجل مسن يخدم الجير منعها الوصول الينا قبل ان يسمع
ان البحث عنها بقصد قبض الصدقة فلما اقبلت علينا جعلت تبكي
وتطلب العتق وذكرت ان احد النصارى يريد شراءها من ضيعها
ويذهب بها لبلاد بعيدة وقد دعتها ربتها للدخول في دينها فابت
وما زالت تراودها فلم تحصل منها على طائل فشكرت فعلها غاية
وجعلت اذكرها امر دينها فوجدتها شادة على دين الاسلام لا
تنخدع ولا ترتاب وكثر جوابها انا لا نريد الا دين حبيب محمد
وهي تبكي وكل من بالدار من اخواننا المؤمنين يبكي لبكائها ولو قد
انتسبت لزاوية بناحية تلمسان فبعثت في الحال لحاكم البلاد و
استنجدته مع احد العرابلية في مخاطبة النصراني الذي هي تحت اسره
في فدائها فاجاب على مشورة زوجته ثم ذهبوا للزوجة يطلبون
مساعفتها لزوجها في فداء البنت وقد اجابت لذلك مع المشقة
الفادحة فحصلنا والحمد لله على المقصود من سراحها واضفتها للنسوة
واجريت عليها النفقة وكان الطاغية امر بحمل الاسارى في مركب
الكرنة الحاضر بالوقت بمرسى قرطجنة المعين للسفر عند هبوب الريح
المشرقية واصلا بهم لقالص فذهبنا لقائد المرسى عند تعين سفرنا
واكدنا عليه في الاعتناء بالاسرى وحملهم على العبور لا باشادورهم

في غاية

في غاية الانتظار لقدومنا لقالص ولا يمكننا الذهاب معه قبل ان
يصل الاسارى لهنالك فقال حبا وكرامة فالامر سهل والاشياء
مقضية وما نحن الا في انتظار الريح فلتطب نفسا من ذلك فاننا مامورون
من عظيمنا ببعث الاسارى على الفور ثم اخذت في استنجاده في حمل
الضعفاء من الاسارى باولادهم مع اخوانهم المومنين وان لم يامر الطاغية
بحملهم لعدم علمه بهم فقال لا سبيل الى ذلك لان مركب الكرنة مشحون
بالشلظاظ لا يمكن حمل النسوة معهم بالكلية لان الشلظاظ لا
يفعلون خيرا قط بان ركبوا معهم فعلى كل يحدث في المركب بينهم
وبين ازواج النسوة فتنة وعجب باستحسنت كلامه وقبلت عذره
ثم الححت عليه في كراء مركب يحمل فيه هؤلاء القوم ويسافرون تحت
سنجق مركب الكرنة الحامل للاسارى ليسافروا في امن وامان فاجاب
لذلك وبعث في الحال لصاحب مركب كان حاضرا بالمرسى واكتراه فاتيني
وخيبنا رايا فلما بعثت له بالمال رده علينا واقسم بدينه المعوج
ان لا يؤدى واجب الكراء الا من ماله فكثرت خيره ودعوت له بالهداية
ثم امرت الاسارى وازواجهن ورجلا من الشرفاء صاحب مروءة وعقل
ودين له خبرة بامور البحر وجعلت لهم كمانية بعد ان استغربت احوالهم
في الملبوس وجعلت لضعفائهم ما يستر به عورته ودفعت للقيم عليهم
ما يستعين به على امورهم وتركت الجميع في انتظار الهواء المساعد لهم
في العبور وهنالك شرعت في الكلام على المدينة وما هو عليه اجمالا وتفصيلا
فنقول هي مدينة في حجر جبل وقد استدار الجبل يمينا وشمالا بمرساها
والمرسى متصلة بدار المدينة وحكمها في البنيان حكم غيرها من المدن
الاصبنيولية غير ان ازقتها ضيقة وبنيانها غير شاهق وقد اتصل بها
من ناحية البر رباط يشاكلها في الطول والعرض الا ان ديارها دونه

في العلو وبطن المدينة اسبيطال لم يكن مثله في الكبر ثم الاتقان في البنيان
بالحجر الذي يضاهي الرخام هو على شط البحر والدار التي نزلنا بها هي لاحد
التجار لم نر مثله في قومه قط في اللين والبشاشة وحسن الخلق ولا
خلاف نسأل الله تعالى ان يهديه للاسلام فقد تكرر منه الاكرام ومن
بعض اكرامه ان ترك اسيرا له يخدمنا ويباشرنا ومنذ حللنا داره
والاسير لم تفتر عبرته لاجتماعه باخوانه المومنين فقد تجدد عليه
من الشوق لاهله وبلاده ما كاد ان يتفطر منه قلبه وقد انتقل من الياس
للطمع فجعل يلح في الطلب ويتشفع بسيد الخلق في عتقه وفدائه
من قيد الاسر ولم ازل اواعده وامنيه بان يكون فداؤه على يد سيدنا نصره
الله وبالغرب يفرج الله عنك مثل عدة من امثالك هم مناعلى بالعلج ينصت
لحديثنا ولم تطمئن نفسه بوعد وقد كبر علي ان اخاطب النصراني
في فدائه مع ما له فيه من الغبطة والبيع مبني على المناقشة وفي
مخاطبته فيه بالبيع مع ما تقدم من اكرامه قلة مروءة ولو اني بذلت
له من الثمن فوق ما يفتدى به غيره لكانت منقصة له وتغطية
على اكرامه ايانا وجزمت ان لا اخاطبه بذلك فلما بلغ النصراني
ما حدثت به في نازلة الاسير وتاخري عن الكلام في هذا الامر
المذكور جاء بالاسير وقال هو مني هدية واقسم بدينه انه لا يقبض
فيه درهما ولا صرا فابيت ذلك وقلت له لا اقبله الا اذا رضيتك
في الثمن بما تطلبه فقال انا اريد الوصول لبلادك وهناك تحصل
المكافات بالوقوف معنا في المسائل التي تعرض لنا بالبربرية فهناك
قبلت هديته ووعدته بخير واسم هذا النصراني فراسر كنطص
ومن الغد جاء احد البسيان باسير قرنيني وهو مسن جدا وقال هو
ايضا هدية واسم النصراني سنكليط فجازيته بما يناسب من القول

الحسن

الحسن وانصرف بجبور الخاطر وقد صاحب المرسى ولابك وجعل فيها بسوطا
من القماش المرقوم والستور التي تظللها من الحر كالضوء الابيض المرقوم بالذهب
وشحن بالشلظاظ من البحر خمسة مراكب جميعها في غاية العظمة والضخامة
ولقنهم ما يقولونه حال ركوبنا في البحر ومرورنا على قراصينهم وامراء واحرارا
ولما قضى وطره من ذلك ورد علينا يطلب منا المساعد لعبور المرسى لتستوعب
اخبارها ونعلم ما هي عليه وننظر قراصين الطاغية وما بها من العجب لان طاغيتهم
امرهم بذلك فرجة لنا وفرحا بنا فلما امرهم لعبور لخانه المشتملة على الة السفن
وما يتعلق بامور البحر فاجبناه لما طلب وركبنا معه في الحال وعبرنا المرسى
الاولى المتصلة بالبر المستديرة بسور صاعد من قعر البحر الى فوق الماء بقامة
والباب الذي يخرج منه للمرسى الثانية مضيق بين جبلين شيدوا بطرفي
المضيق برجان بهما العسسة على التابيد فاذا جن الليل يحملون سلسلة
من احد البرجين في فلك للبرج الاخر فتمكن منه بما لها من الحركات فتصير
السلسلة مضروبة من البرج الى البرج الذي يقابله زيادة في الحفظ والصون
للمرسى بحيث اذا جاءت سفينة ليلا لا يمكنها الدخول مع وجود السلسلة
فهي بمنزلة السور في البحر وبعد عبور هذا الباب المذكور انتهينا الى المرسى
الكبرى فاذا هي كالصهريج قد احاط بها الجبل والفم الذي تخرج منه للبحر يقابله
جبل في وسط الماء يحجبها من الريح فهي في جون امنة من العراتين في الفصول
الاربعة وبها العدد الكثير من المراكب مرساة ولما عرجنا على مركب من المراكب
المذكورة وجدنا به من البحرية منظمة بالجبل ملتصقة بصواريه ما سترت اشبا
حهم فضاء المركب وبسيطه الكل يقول يا راي مراد يجهرون بهذه الكلمة
عشر مرات ثم يطلقون في اثرها العدد الكثير من المدافع وهكذا في كل مركب
مركب ومعنى ذلك بالعربية الله ينصر سلطان مراكش وعند الاوبة صعدنا
للسفن المذكورة فاذا هي من الدواهي العظيمة قد احتفل احد الرياس

لضيافتنا بحلاوى واشربة ومعاجين وبالغ في الترحيب والمباشرة ولما
نزلنا به البر ذهبوا بنا لمخازن هي على شاط البحر وقد استغل كل مخزن
بنوع من آلات السفن كل على حدته كخمن وصوارى ولا نطينات وقلوع
وكوشطة ثم بنيفت في غاية العلو والطول والعرض ومثلها بها من
المعلمين النجارة ما يزيد على المائة وفاعرا هذه البناء من الثلاث هي
مخازن جميعها مشيدة على ساحل البحر عددها ما يزيد على المائة وقد ابدع
الطاغية مخازن اخر افخم منها واصغر بكثير يعني الى الان لم تكمل بالبنيان
لان المخازن القديمة ضاقت عليهم وهناك دار ذات مقاعد وغرف
اشتغلت بخزين العدة مكاحل وكوابس وسيوف ثم في بعض الغرف منها
براميل لا تحصى داخلها المسامير التي طولها ذراع فما اقل وقدر البرميل الواحد
قامة في الطول والعرض مناسب لطوله ثم مقعد فيه الة المدافع اصناف
وجلود الغنم المعدة لتنضيف المدافع عند اخراجها بالبارود ثم العدد
الكثير من العبارات وغير ذلك مما يحتاج اليه من امور المراكب بحيث اذا صنع
مركب يجد صانعه الة معدة حاضرة ولا يتوقف على مسئلة خارجة عن المحل
الذي صنعت فيه السفينة قلت او جلت واما المدافع فلا غاية عليها
الحصر وهناك صهاريج تصنع داخلها السفن الكبيرة الهايلة وعند
كمالها يدخل عليها البحر وتخرج من الصهريج الذي صنعت به وكذا اذا انصدع
احد المراكب وارادوا اصلاحه يدخل لهذا الصهريج بالمادة فاذا حصل به
يسد بعده باب البحر بحركات معينة على سده وتبقى السفينة داخل
الصهريج عايمة ثم يستعملون الطرنبات لفراغ الماء من الصهريج وكلما نزل
نزلت المركب حتى تصل للفراش المعد لها بقعر الصهريج فياخذ المعلم في
علاج ما انصدع منها وعند الفراغ من عمله تفتح طاقتان في صدر الدفتين
بحركات ايضا فيدخل منهما الماء للصهريج فيعم منه الثلث ثم بعد ذلك

تفتح

تفتح الدفتان بهندسة فتقوم السفينة وتخرج للمرسى عايمة امنة
على ما ينبغي وهذه المواضع كلها متصلة بشط المرسى الاولى ويدايرها
سور ممتد من البحر وشكله في البنيان مستدير تابع للجبل في الاستدارة
والمساحة التي بين هذا السور والشط شي كثير اشتملت على ما ذكر من
مخازن وصهاريج للدبغ وبنابن مملوة بكل اشطات وحبال وكخمن وقلوع
وصوارى وعود وغير ذلك مما فر معطلا وللمدينة قصبة من الشق الاخر
مشيدة على قنة الجبل مطلة على المرسى الخارجة عن الاولى وعند انقضاء
الغرض مما كنا فيه بصدده من امور اخواننا المومنين استعملنا السير بعد
التشيع معهم والوعد بما انسنا به انفسهم من فضل سيدنا نصره الله وامداده
وذكرناهم امور دينهم ووعظناهم وارشدناهم لتحسين ظنهم بالله ولا ييئسوا
من روح الله والفرج متمسكين بالصبر وعما قريب يفرج الله عنكم وانصرفنا عنهم
قاصدين قرية اسمها بنيلية عن خمسة عشر ميلا •

• الخبر عن مدينة بليس الزوپوا •

قرية صغيرة جدا يسكنها الفلاحة من فرطخنة حراثة وغيرهم من رعاة ما
شيتهم وليس ما يدل على ان لها بالا في البناءات ولا في غير ذلك وللنصارى الذي
كان نزولنا بداره بفرطخنة دار هنا كالمعدة لنزوله حين يرد عليها ليتعاهد
ماشيته وحرثه لانه من اعيان الفلاحة زيادة على التجارة المعروفة له فقدم
الاعلام لاصحابه وامرهم ان يتخلفوا بالملاقات ويهيئوا داره التي هنالك
ينقل ما فيها لمحل اخر واستصحبنا للقرية المذكورة حاملا ما يستحسن و
يستطاب من الحلاوى والفواكه المستعملة من السكر وشفع كرامته الاولى
بالثانية ومن الغد تشيع معنا وانصرف وكان دخولنا من القرية لمدينة لوركه عن اثني
عشر ميلا •

• الخبر عن مدينة لوركه •

مدينة حضرية كاهلها وقد اعطوا نصيبهم من الحسن واليسار ولهم محبة كثيرة

في الاسلام والمدينة شقها نهر زادها حسنا وبهجة والديار عامرة من مجرى
الوادي في غاية الاتقان وللغرب شرجيب مطلة على النهر من الجهتين وهذه
المدينة مشيدة في حجر جبل شاهق وقد صعدت الديار بصعوده بنحو الثلث
من صعوده ثم بقنته قصبة للمسلمين لها ابراج عديدة مثلا شبيه ولم يبق منها
الا الجدار غير ان بوسط القصبة برجا لم يحدث به تغيير مدارجه اربع وستين
ينتهي في علوه لقباب لربعة ما زالت على ما تركها المسلمون عليه رحمهم
الله وبقي اثار الدار التي كانت بها الى الان وكذا المطابع التي يجتمع فيها ماء المطر
في غاية الطول والعرض والوادي المذكور هو محيط بالجبل من ثلاثة ارباعه
على الاستدارة قيل انها بقيت للمسلمين بعد استيلاء الكفرة على المدينة
مدة لحصنها وقضاء الله لا يرده شيء اقمنا بهذه المدينة يومين لتراكم المطر
وتتابع السيل وفي اليوم الثالث سرنا قاصدين لمدينة بليسوا لروبيوا عن اربعة
عشر ميلا

• الخبر عن مدينة بنبلية • •

مدينة بقنة جبل عبرنا اليها بطريق جميعها جواد وشعاب بين جبال في غاية
العلو قد استوعبها اشجار من الصنوبر قيل ان الكراسطة التي بهذه الجبال هي
كافية لاهل قرطبة فيما يتوقفون عليه من اللوح لحقنا بها بين الظهرين
وحكمها حكم التي قبلها في الحضارة واكرام الوارد عليهم من ذوي الاقدار اقمنا
بها بقية يومنا ومن الغد كان رواحنا للمدينة شربال عن تسعة اميال •

• الخبر عن مدينة شربال • •

مدينة صغيرة بالنسبة لما قبلها ديارها غير شاهقة في البنيان واهلها للبادية
اميل والمدينة قد استوعب نواحيها الجنة نزلنا بخيار ديارها وحضر للاقاتنا
حال الورود علينا ووقت التشييع خلق كثير الكل يظهر من البشاشة والمبا
شرة ما فيه زيادة على من تقدم ومن الغد سرنا قاصدين لمدينة كليرد باصا عن اثني
عشر ميلا • الخبر عن مدينة كليرد باصا • مدينة

اصغ

اصغر من التي قبلها غير انها حضرية وعلى قرب منها واد دوار جا وها ارض سقي
وبها اجنة عديدة مختلفة المطاعم لحقنا بها بين الظهرين وعن اثني عشر ميلا
وصلنا مدينة باصا

• الخبر عن مدينة باصا •

هي مدينة كبيرة جدا وبها عيون عديدة كثيرة الاشجار جنتها لا تحصا ولا
تحصر اكثر بعد العنب اشجار التفاح والمدينة في وسيط من الارض واهلها
بين الحضارة والبداوة ومنها كان رواحنا لمدينة وادس عن واحد وعشرين ميلا
جميعها بين جبال صعبة حتى انا لم يسعنا الا ترك الاكداش والذهاب في جل هذه
الرحلة راجلين

• الخبر عن مدينة وادس •

مدينة مشيدة بين جبال في عمق من الارض وقد احاط به زياتين وكروم
لا تحصر عددا واهلها اهل بادية محض وبلادهم جميعها سقي لان الارجاء
التي بنيت فيها هذه المدينة متسعة غير انها احاطت جبال شواهق ومنها
كان رواحنا للمدينة ازناليوص لحقنا بها عن واحد وعشرين ميلا •

• الخبر عن مدينة ازناليوص • •

مدينة صغيرة مشيدة على ربوة وحكمها حكم التي قبلها غير ان هذه مشيد
قبلها وبعدها في جميع ارجائها عدة ابراج للمسلمين لحراسة غرناطة اعادها
الله وغيرها دار اسلام عن ثمانية عشر ميلا •

• • الخبر عن مدينة غرناطة • •

لما قربنا منها ولم يبق بيننا الا نحو مسافة ميلين لحقنا ارضا منبسطة حسنة
استوعبها الجنة واغراس زياتين وكروم وجميع الفواكه على اختلافها وبها
كل بستان به دار ذات منازه ومقاعد وبها وردت علينا خيول اعيان المدينة
بعث بها الحاكم للملاقات وعند الاشراف على المدينة برز لملاقاتنا خلق
كثير لا ياتي عليهم الحصر كانهم جراد منتشر خاصة وعامة وكان يوما مشهودا
وقدموا الينا اكداشا ركبناها واحدق بنا القوم وذهبنا معهم في ازدحام

عظيم جميعهم معلن بنصر سيدنا ايده الله وعبرنا المدينة في هيئة لم تعهد
لمن قبلنا قط فاذا ابراجيب الديار مملوءة بالنساء والصبيان ولهم ضجيج
فمنهم من يشير بيده ومنهم من يطاطئ راسه ثم بوسط احد الشوارع خصتان
واحدة فوق اخرى وقد استدار بها شباك من الحديد وباعلى قوايمه منارات
من الزجاج تزيد على الاربعين وقد انتهينا الى باب كبير جدا مشيد من
الحجر في غاية الاتقان فسالنا عن هذا الباب الذي هو بطرف المدينة وما
وجه خروجنا عنه فكشف الغيب الى المدينة الغرناطية الخاطرة الحسنة
المستحسنة الغنية لشهرتها في البر العجم والعرب عن التعريف بها وذكر
بعض اوصافها فاذا هي من المدن العظام لم نر مثلها في جميع ما رايت بالبلاد
الاصبنيولية اذ حليتها مخالفة لحلية غيرها في بنيان الديار ووضع الشوارع
اذ بنيانها باق على حالة الاسلام لم يحدث به تغيير كغيرها من
المدن فهي اقرب شبها بفاس في بناء اتها وجريان الاودية بجداراتها
ثم القناطر المضروبة عليها وما اشتملت عليه الديار من الخصص والتزليج
والدرابيز من اللوح المستديرة بمباحات الطبقة الثانية المشرفة على
صحن الديار والبيوت والغرف والسقوف والابواب الكل مشاكل لمدينة
فاس وكذا بنيان بعض الدور منها على ربوة وجلها في بسيط الارض فبشان
الديار بين خفض ورفع كما شاكلتها ايضا في العمر ولا شك ان اهلها
لا يعتنون بتمويه الديار بالجير لا داخلا ولا خارجا ولا يستعملون الجبس
المبهج للبنيان ومع ذلك هي في نفسها بالخصوصية افضل واحسن وابهى
وابهج من غيرها المشتمل على النقش والنحت في الحجارة والتمويه بالذهب
والالوان وفي مثلها يستشهد ذو الانصاف بقول من قال
ان المليحة من تزين بحليها لا من غدت بحليها تتزين
وقد شقها نهران احدها دارو والاخر نشيل غير ان نشيلا اخذ منه
سافيتان

75
سافيتان من اعلى اجرائه قرب اتصاله بالمدينة كل واحدة قدر الوادي المتوسط
غير ساقية عن يمين مجراه والساقية الاخرى عن شماله بالناظر اليه يشاهد
ثلاثة اودية وقد ضربت على الوادي الاصلي الذي هو الوسط قنطرة من خمسة
اقواس في غاية الحسن الا ان علو الاقواس متوسط ليس بعلو فادح ولا بخفض
منبسط وفيما بين الوادي والساقية التي من ناحية المدينة مساحة طولها
نحو الميل خطوة وعرضها ما تمر به عشرون زمن الاكداش في صف واحد وبوسط
هذه المساحة عدة خصص تستوعب طول المساحة المذكورة يصعد الماء
من جميعها قدر ثلث قامات وعلوها من الارض ثلاث قامات ايضا وبطرف
عرض المساحة مسطبات من الحجر يمينا وشمالا مسندة على ستائر الواديين
من اول المساحة الى اخرها يجلس عليها اهل المدينة كل عشية نساء ورجالا
للاستراحة والنزهة ومن لا قدرة له على جعل الاكداش واما اهل الرفاهية
فيركبون الاكداش رجالا ونساء وصبيانا يعبرون بها تلك المساحة
من احدى الجهتين حتى اذا انتهت المساحة بالعبور يرجعونه باكداشهم
من الجهة الاخرى والخصص المذكورات حايلين بين الطريقتين شمالا ويمينا
حال العبور يستمرون على ذلك الى الغروب ويذهب حينئذ كل لسبيله غنيا
كان او فقيرا هذا دابهم وديدنهم كل عشية في الفصول الاربعة ما لم يمنعهم
المطر عن الخروج لهذا المحل وهذا الوادي المسمى بشنيل يجد به الانسان
نشاطا وبسطا بالخاصية وقد حاز من الحسن ما لم يكن بغيره لعذوبة مائه
وطيب هوائه وبسط ارجائه المستوي مع الارض من غير حاجة ولا عوج
في جميعه وقد شاهدنا بسطه في المنازه والمقاعد الا ياتي عليه حصر بالغرب
منه دار يستعمل فيها الكاغيد لا يتقار صانعه لنواعير تدور بحركة الماء
اذ هي اكبر الة معبر في عمله والدار المتصلة بالوادي خارج منها يدور
بدوران الناعورة المذكورة وبه ارياش تربع مرازم وتحط بعنف
داخل مهراس من الحجر لكل مهراس ثلاثة مرازم لهشم قطع من خرق

صنعة الكاغد

الكتان البالي الذي لا بال له بعد قرضه بالمقراض وتنقيعه بالماء يستمر
عليه العمل فإذا تلاشا يلقى عليها شيء من الجير ويمكث في ما به نحو نصف
شهر ثم ينقل للصهريج ثان متوسط وقد يحمل عليه فهناك يوتى بالقوالب
ولا يدخل القالب للصهريج إلا بعد تحريكه بعصى ليقع المزج بين أجزاء
ماء الصهريج لأن الماء هو المعين لجريان ما خالطه على بسيط القالب
وكيفية القالب أربع مسطرات قدرها في الطول والعرض قدر الورقة
من أي نوع كان والمسطرات غلظها ما دون الأصبع متصلة الأطراف من
الجهات الأربعة والفرجة داخلته سلسلة رقيقة جدا محكمة بطرفي المسطرتين
سلك إلى جانب سلك حتى استوعب الفرجة المذكورة ثم أربعة مساطر
أخر متصلة من أطرافها الأربع تمكن بالتي تحتها بتحكيم فتنفك وهي مرتفعة
عنها بقدر نصف الأصبع جعلت لإمساك ما وقع في القالب على بسيطه
ليأخذ منه القدر المحتاج تلقى على القالب بسهولة وتنزع عنه بلا تعب
ومدة إقامتها به شيء يسير بحيث تمكن منه ثم يدخل القالب في الصهريج
وعند خروجه تقلع وتلقى على قالب آخر ثم تزال عنه وتركب بقالب آخر
وهكذا أو السر في نسج بسط القالب بالسلك لانبعاد الماء منه لا سيما
القالب ولا يبقى على وجه القالب إلا ما خالط الماء وكيفية إزالة الورقة
عن القالب القاء على زيوف غليظة من الصوف ثم يرفع القالب
بهون وتبقى الورقة مبسوطة على الزيف ثم يلقى فوقها زيف آخر
وهكذا فتنشف الزيوف الورقة من البلل ثم يلقى على حبال في الظل
يوما أو يومان ويضم بعضه لبعض ثم تغمس في ماء طبخ فيه آذان البقر به
فهو بمنزلة التقرية له وتنشر كل ورقة على حدتها ثم بعد يبسها يمر
عليها بحجر مبسوط يصقلها ويطلق منها بعض التكميش الصادر من
تكرار العمل ومن هذه الدار كان عبورنا لعدة مساجد فالأول منها
وهو الأكبر له خمس بلاطات من كل جهة من الجهات الأربع وبوسطه

براح

براح بنيت فيه قبة مثمنة محمولة على سواري ثمانية وبين كل سارية والتي
تليها قوس في غاية العلو وما تحت الأقواس شباك مستدير بالسواري
الثمانية والسارية الواحدة من الثمانية عرضها ستة عشر شبرا من كل
وجوهها الأربعة وما بين السارية والتي تقابلها المنعقد عليها
القوس المذكور ثلاثة وأربعين قدما وأما الطول بالتقريب فخمس
قامات والأقواس والبلاطات وسواريها الخارجة عن القبة المذ
كورة في العلو والضخامة واحد غير أن سواري البلاطات مما يلي الأرض
قد قامت على الصفة في التربيع ومن أعلا القامة سواري أربعة
ملوية متصل بعضها ببعض والقبة الموصوفة هي محل مصلاهم وقد
استوعبها تصاوير وصلبان وغير ذلك كالموسقى وما هو معلوم عندهم
في جوامعهم وبطرف هذه البلاطات قبة محمولة على أربع سواري من
المرمر والمباحات الدايرة بها كل مباح استقل بثلاث قباب جملتها
ثلاث عشر قبة الوسطى هي الغاية في العلو عرضها كطولها وقباب
المباحات مثلها في العلو ونهاية الاستدارة ثم بطرف الجامع تقابلها
قبة أخرى بجماعة صنادق من الرخام بعضها لجنب بعض هي مقابر ملوكهم
وبجنب الصنادق تصاوير عديدة وصاحب كل صندوق منهم مستلقي على
قفاه من أعلى الصندوق وبصدر هذه القبة مقعد يصعد له بدرجات
فيه من التصاوير والصلبان شيء كثير والمقعد الحامل لذلك أقواس محمولة
على سوار في غاية الرقم وقد موه جميعه بالذهب وبه من الحسك الفضية
والذهبية عدد كثير مع ما اشتمل عليه من الثريات والمصابيح الفضية والذهبية
ثم عبرنا لمساجد أخر على الصفة في بعضها وبعضها باق على البناء الإسلامي
وكذلك الديار بعضها لم يحدث تغيير بل كلها وواديها المار بوسطها
بعض مستتر بالبناءات التي فوقه ديار وحوانيت وأزقة وبعضه

منكشفة له محفظات فدر القامة مما دون ممن لحد نواحيه جدور الدور
صاعدات من مجراه لها شراجيب و بروز خارجة من سور الديار مبني
عليها ابهاء كالصفالة مطلة على الوادي لهاد رابيز وهذه الصفالة
استوعبها فصاع مغروس فيها اصناف النوار فالناظر لسور الديار يشاهد
بستانا في قايم السوار ويقابله من الديار مثله والوادي بينهما وفي مجري
الوادي موضع متسع جدا جعلوا فيه دار الربغ للجلد في عهد الاسلام
ثم يغرب منها موضع مستقبل لصبغ الحرير واهل المدينة جلهم يستعملون
نسيج الحرير بركاضو امجادونه والمدينـــة هي في نفسها مسندة على
جبل وبغنة الجبل الفصبة التي كانت لملوك الاسلام رحمهم الله يصعد لها
بين ديار مشيدة في عقبة طويلة تنتهي الى احدا بواب المدينة غيران
هذا الباب ابستقل للعبور للمار للفصبة فقط حيث لم تتبعد طريقهـا
لناحية خارجة عن الديار المذكورة وغايتها فنة الجبل فالصاعد من الباب
المذكور عبوره بين اشجار مدرجة صاعدة بصعود الجبلين يمينا وشمالا
والطريق بينهما في غور من الارض تنتهي الى باب في غاية العلو وفخامة
البنيان المتفن باقية على جدتها مكتوب فوق فوس الباب بخط مشرقي في
غاية الحسن والاتفان بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه
وسلم امر ببنا هذا الباب المسمى بباب الشريعة اسعد الله به شريعة الاسلام
كما جعلها باقية على الايام مولانا امير المؤمنين السلطان المجاهد ابو الحجاج
يوسف ابن السلطان المقدس ابي الوليد بن نصر ادام الله نصره وخلد في المجا
هدين جلالته ومجده وكان الفراغ من بنايها بشهر رمضان عام تسعة واربعين
وسبعماية ثم بعد قاطريق من صفة بين سورين نافذة لباب مثل الاول
في العلو والفخامة والجدة والخط المرسوم فوقه غير ان الكتابة افتتحها
باعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

وهو مكتوبا

وءاله

77

وءاله وصحبه وسلم تسليما انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر الى عزيزا ثم يتلوه ما في الاول حرفا حرفا والتاريخ واحد
وبعد الباب براح في غاية البسط ينتهي الى سور البراح في غاية الفخامة
وهذا السور ينحدر بانحدار الجبل ويصعد بصعوده وعن يمين هذا
البراح سور مستدير من الحجر المنجور وبجنبه ديار ملوك الاسلام
رحمهم الله غير ان باب هذه الديار بفبة في سور الديار يصعد لها بدرجات
وينحط بدرجات نافذة لمقعد في غاية الطول يكشف الغيب ازاء باب
ديار الملوك صرنها الكافر مع فبة من احد الفصور التي بازا بها حيث شيد
دابرة دار احد منها ما استقام به بنيانه وقد عجل الله به الى السعير قبل
ان يحصل على مراده ولم يعتن احد بعده من الطغات باتمامها وكانهم
تشاءموا منها فصار باب ديار ملوك الاسلام لهد بابها المعلوم هي
القبة المذكورة في احد جدارات احد المقاعد من القصر الماخوذ منه
القبة المذكورة وطول هذا المقعد خمس وستون خطوة له ستة اقواس
نافذة لصحن القصر ويقابله مثله بالاقواس الثلاثة يحسبها الناظر
من داخل القصر ابوابا لبيوت يقابل بعضها بعضا وهي في نفسها مقاعد
على الطول فقط منعها الضيق ان تكون بيوتا على ما تقتضيه الهندسة
وهذا القصر له قبتان احداهما باقية على حالها طولها خمس واربعون
خطوة ولها من الابواب ثلاثة الوسطى في غاية العلو والاخران
دونها وفيما بين القبة والصحن بلاط طوله كطول القبة وعرض عشر
خطوات وسقفه كالجفنة بالتسطير الرايق المعجب المموه بالذهب
والحنيات يمينا وشمالا من عمل الجباص المكتسي بالذهب وبصدر القبة
ثلاثة ابهاء وسقف هذه القبة مشتمل على سبع قباب الوسطى في غاية
العلو ثلاثة قباب عن اليمين دونها في العلو ومثلها عن اليسار وهذه

78

بكانه قوس الغمام اذا بدا والشمس مولانا ابو الحجاج
ملك تدفق بالمواهب كفه للسائلين تدفق الامواج
لمزال محروس المهابة ماغدا بيت الاله مثابة الحجاج

ثم القبة المقابلة لها هي التي هدّها الكافر ولم يبق منها الا الباب المقابل للصحن وطول صحن القصر خمس وستون خطوة والصهريج الذي بدونه في الطول بيسير ومن الجهتين صهريجان من الرخام طولها كطوله وعمقها دون شبر يغرس فيه اصناف النوار ثم بجنب هذا القصر قصرتان اشتمل على ثلاث قباب والمباحات الدايرة بالقباب محمولة على مائة وثمانية وعشرين سارية من الرخام ثم بطرفي طول صحن القصر قبتان كل واحدة محمولة على اثنتى عشرة سارية من الرخام وهاتان لا يرتفق بها وانما هما للزينة بنقط وسقفها كنصف نارنجة بالتسطير المموه بالذهب ولكل واحد منهما جامور من ذهب ايضا وداخلها خصة من الرخام وبوسط الصحن من القصر خصة كبيرة جرلى دايرتها المثمنة ستة وثلاثون شبرا استوعبها من خارج نقش منحوت في نفسها في غاية الحسن والاتقان محمولة على اثنتي عشرة سارية من جنسها طول كل سارية قدر ذراع والسواري محمولة على ظهر اسد من الرخام كل سارية حاملها اسد وعدد الاسد اثنا عشر تدفق الماء من فيها بساقية من الرخام دايرة بالخصة ويتصل بها مجرى المياه من الخصص اللواتي بابواب القبة وصفة القبة الواحدة من الثلاثة هي في نفسها ستينية غلظ سورها تسعة اقدام ولها ثلاثة ابهاء في كل جهة من الجهات الثلاث كل بهو له ثلاثة شراجيب يمينا وشمالا وصدرا مطلة على البستان المحيط بالدار من خارج بثلاثة ارباعها الشاملة للفواكه واصناف النوار وفي هذا البستان مقاعد عديدة وصهاريج وخصص يصعد الماء من انابيبها للهواء علوا ياخذ حاجته في هذه القبة تسعة ابهاء من جهاتها الثلاث والجهة الرابعة استقلت

المقاعد والقباب والابهاء استوعب القائم منها والمبسوط حيطانا وسقفا ولفلا بعد الازر من الزليج بالتسطير والقضيب ما يكل الواصف عن تكييفه والخطوط المشرقية والكوفية والتشجير والتوريق والتسطير الكل من عمل الجبص الشبيه بالرخام وقد اشتملت الخطوط على ايات واسجاع واشعار فالايات كالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ثم نصر من الله وفتح قريب وبشر المومنين ثم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ثم انا فتحنا لك فتحا مبينا الى غير ذلك من الايات العديدة ثم الاسجاع مثل النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا ابي الحجاج امير المومنين ثم عز لمشرف الاعصار وفاتح الامصار مولانا محمد في بيت النجار وفي الغالب في الكتابة حيطانا وسقفا من عمل النجار والجباص ولا غالب الا الله ولا غالب الا الله وعن يمين داخل القبة من ناحية الصحن رخامة مرفوعة تقابلها اختها مكتوب باعلاها وليس

كل صنع اهدى الي جماله • وحباني بهاءه وكماله
فاذا ابصر تامل حسني • اكذب الحسن بالعيان خياله

ثم في مقابلتها

شيد تني يد الامام ابن نصر حرس الله في الملوك جلاله
وادام علاه في العز ما الطلع ابو شمسه وهلاله

ثم بمقدم الابواب الثلاثة المقابلة للقبة الثانية داخل الاولوي حاجبات الابهاء الثلاثة رخامات ايضا اشتملت على رقم ونقش بالذهب ثم الخط ايضا بالذهب لمنظمه

رقمت انامل صانعي ديباجي من بعد ما نظمت جواهر تاجي
وحكيت كرسي العروس وزدته اني ضمنت سعادة الازواج
من جاءني يشكو الظماء فمورد صرف الزلال العذب دون مزاج

جهات

بالباب الذي يدخل منه مع خزانتين يمنى عن الباب ويسرى وقد استوعب
الابهاء التسعة داخلا وخارجا ودايرة القبة من ارضيتها الى السقف
ما فيها رمية العقول من عمل الجباص والنجار والرخام المشتمل على التشجير
والتسطير وقد شاهدنا من بياض الجبص فيها انه ما يغلب على ظن
العارف انه من الرخام المحض وهناك ازر من الزلايج بالتسطير والتقبيب
في غاية الرقة ولو الزم المهندس في وقتنا ان يحفظ مثله بقرطاس لعجز واحرى
تخليطه بالالة المعدة لتقويمه بقضب على الاختلاف انواعه من قضب والواح
وخواتم وغير ذلك مما اشتمل عليه التسطير واما الخطوط المشرقية والكوفية
التي بوفق هذا الازر الى السقف بشيء يكل الواصف عن بعض بعضه منها
ما هو منبسط ومنها ما هو مرتفع ثم بخواتم التسطير الجبصي في ابهاء
وخارجها اية واسجاع واشعار كل بهو اشتغل بنوع مخصوص ففي
البهو الاول عن يمين الداخل النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا ابي الحجاج
امير المومنين مكررة ثلاثة مرات ثم البهو الثاني عز لشرف الاعصار
وفاتح الامصار مولانا ابي عبد الله محمد زين النجار ايضا ثلاث مرات
ثم البهو الثالث النصر والظهور على امد الدهور لمولانا ابي الحجاج
المؤيد المنصور مكررا ايضا ثلاث مرات ثم بالابهاء الثلاثة الذي بصدر القبة

• تحييك مني حين تصبح او تمسي • ثغور المنى باليمن والعز والانس •
• هي القبة العليا ونحن بناتها • ولكن لي التفضيل والسعد في جنس •
• كساني مولاي المؤيد يوسف • ملابس فخر واصطناع بلا لبس •

ثم في الثاني

• فقت الحسان بحليتي وبتاجي • فهوت الي الشهب في الابراج •
• يبدو اناء الماء بي • كعابد في قبلة المحراب قام يناجي •
• ضمنت على مر الزمان مكارمي • ري الامام وحاجة المحتاج •
• ثم بالثالث ما كان تتميما لما قبله •

فكانني

• فكانني استغربت اثار الندا من كف مولانا ابي الحجاج •
• لا زال بدرا في سماء علا ما لاح بدر في ظلام الداج •
• وبه من الايام اشرف الورى فقت الحسان بحليتي وبتاج •

ثم بالابهاء الثلاثة التي عن يسار الداخل ما بالابهاء المقابلة لها يمينا
المتضمنة الاسجاع المذكورة وفيما بين البهو والبهو صدر القبة

• لقد حزت من كل المحاسن غاية • تفوق على الشهب في الافق اعلا •
• ولم لا وقد شيدت عن امر مالك • ماثره تجلى واخباره تتلى •
• محمد المحمود في الباس والندا • وذو الصيت ما اعلى وذو الهدى ما اجلا •
• وما هو الا البدر حل بمنزلي • عليه كل حين به ظلا •
• منازه عندي للعيون منازه • تقيد فيه الطرف او تعقل العقلا •
• وحل بها برد الهواء نسيمه • فصحت هواء والنسيم فما اعتلا •

ثم استوعب هذه القبة من الايات القرانية شيء كثير حيطانا وسقفا بحيث
لا تجد لوحا من الواح من الواح التسطير او خاتما من خواتمه من غير كتابة هذا
في نفس التسطير وما خرج عن التسطير فبالاحروية فتحصل من هذا ان القبة
استوعبتها الكتابة واكثرها كلام الله تعالى منها وما بكم من نعمة فمن الله
ثم استعذ بالله من الشيطان الرجيم فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين
الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل فسيكفيكهم الله وهو السميع
العليم وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم اية الكرسي
ثم اول سورة الفتح الى عزيزا ثم سورة الاخلاص والمعوذتين ثم الحمد لله
وحده والشكر لله بعده ثم في الفاصل بين التفصيل التسطير الجبصي والذي
يليه فوقا وتحتا لتغيير اسلوب العمل خط مشرقي اشتمل على لفظ
لا غالب الا الله لا غالب الا الله وهذه الكلمة هي المستعملة عندهم في
جميع ما يكتبونه في بناءاتهم وفي بعض الاواني وصانع الزلايج ينحتها

بجمله فبل طنجه. فتجد كل اجرة مزدجة مكتوب عليها لا غالب الا الله وعافبة ذلك والعياذ بالله ماءال اليه الامر المشاهد عيانا بان اسم الله تعلى وكلامه القديم ينزه عن المواضع التي هي معرض لتناول الايدى من البار والفاجر وجعله في الاماكن غير اللايقة بها و فد عبرناه اجرة بباب عتبة بعض المفاعد يسكنها الكبار مكتوب فيها لا غالب الا الله ولم نبرح من هناك الى ان اقلعت والفيت باعلى موضع متصل بسفف المفعد الذى وجدت فيه واما ما كان من الاشعار فشيء فريب بالنسبة للايات واسم الله تعلى واسم نبيه عليه الصلاة والسلام على ان حرمة الحروف لا تجهل ولا تهضم حرمتها بل يجب تعظيمها واحترامها على كل مومن نسئل الله تعلى ان يرشدنا لما فيه رضاه، امين وفيما بين هذه الفبة الموصوفة وصحن الفصر فبة على شكلها غير ان عابرها يشاهد اربعة ابواب حال حلوله اياها في غاية العلو والنفش المعجب الباب الاول هو الذى يدخل منه من ناحية الصحن الثانى هو الذى يفابله والمجعول بابا للفبة الموصوفة والبابان الاخران يمينا وشمالا اما ابهاء هنالك وعليها في الرفم والكتابة ولصدمع الفبة المتفدم ذكرها اجمالا وتفصيلا وبدارجتنها

● انا الروض فد اصبحت بالحسن كاسيا تامل جمالى تستفد شرح حاليا ●

● فلله مبناء الجيل فانه يفوق على حكم السعود المباليا ●

● فكم فيه للابصار من متنزه تجد به نفس الحليم الامانيا ●

● به الفبة الغراء عن نظيرها ترى الحسن فيها مكتنيا وعاريا ●

● تمد لها الجوزاء كف مصافح ويدنوا لها بدر السماء مناجيا ●

● ولو مثلت في ساحتيها السابغة الى خدمة ترضيه منها الجواريا ●

● ولا عجب ان فاتت الشهب في العلا وان جاوزت فيها المدا المتناهيا ●

● بها البهو فد حاز البهاء وفد غدا بها الفصر فد فاق المبان المباهيا ●

بكم

80

● فكم حلة جللتها عليها من الوشي تنسى للسوار اليمانيا ●

● فتحسبها الافلاك دارت فسيما يظل عمود الصبح ان لاح باديا ●

● سوارى فد جاءت بكل غريبة فصارت بها الامثال تجرى سواريا ●

● اذا ما اضاءت بالشعاع تخالها على عظم الاجرام فيها لئاليا ●

● فلم تر فصرا منه اعلى مظاهرا واوضح اءافا وافسح ناديا ●

احلا

والمباح الذى بصحن الفصر من ناحية هذه الفبة سففه كالجفنة بالتسطير المموه بالذهب والالوان ويفابله مثله امام الفبة المفابلة للفبة الموصوفة هى فبة متمتنة في البنيان وبوسطها خصة كبيرة جدا ولها ثلاثة ابهاء ولم يكن جميعها الا عمل الجبص حيطانا وسففا الكل على المتفدم ذكرها من رفم وكتابة ثم الفبة التي باقصى الفصر غير بعيدة من الفبة الموصوفة هى على شكلها في العلو والضخامة والوشي الى غير ذلك من النفش الذى بعضه بالذهب وبعضه بالالوان فهي في غاية الحسن والاتفان غير ان الاولى فاقتها بمسائل منها احاطت البساتين بثلاثة ارباعها والابهاء المطلة عليها من التراجيب المذهبة فهي احسن منها نظرة وابهى وابهج ومنها تشاهد مدينة غرناطة في بسط الارض وجريان الوادى الشاف للمدينة بعد راتها والمهوات الذى بين هذه الفبة وبين مجراه ما يزيد على الستين فامة لان بناء هذه الفصبة على ربوة مع انها في غاية الارتفاع المضاهي للشواهق والبسط الذى بها وان كان غير متسع جدا به ديار عريرة وما فضل على البنيان فهو معد لجمع الفوم للفصل الذى الملوك المسمى بالمشور والمعهود من البناءات فيما صعد كالجبل والربوة عدم وجود الماء الكثير وعلى تفدير وجوده الفلة وفد اجتمع في هذا الجبل ما لم يترفه غيره من جريان الوادى بفنة الجبل فكان فريبا لهذه البناءات السلطانية وفد استوعب جميعها صهاريج وخصص

وجدا ولو ما يفضل على المحتاج من هذا الوادي يخدر للمدينة والوادي غير
بعيد من وادي فاس وهو المسمى بدارو ۝ وهذه الديار الملوكية حيث
ضاق براحها عن تعدد الديار والقصور جعلوا غرفا جوف غرف ومقاعد
بعضها فوق بعض واخرجوا الوسع من الضيق وما فاتهم من بسيط الارض
تداركوه بالجو وجميع بناءاتهم محمول على سواري وبخاريات واقواس رخام
۝ وقدر الفضاء منها فامتد استعدوا هذه المواضع للخزين وبعض ما
يرتفق به كالحمام ومحل الاستراحة وغير ذلك ۝ وبشرق هذه القصبة
ربوة اربع من القصبة بكثير بني فيها قصر في غاية الحسن وسور القصبة
محيط بالجميع يصعد بصعود الجبل وينحدر بانحداره ۝ وهذا القصر
بين اشجار الفواكه ثم اشجار خارجة عنها الاثمار لها ۝ وللقصر من الجهتين
انحدار بين تداركوه باسوار مدرجة تحصل بسيط بين السور والذي
تحته ثم الذي تحته جميعه استوعب اغراس فصارت البساتين مدرجة
بعضها فوق بعض كل بستان استقل بخصص يصعد الماء من انابيها
للجو صعودا وبادجا ومن الجهتين الاخريين اسوار طاعدات مدرجة ايضا
استوعبها الغراس مثل التي تحت القصر ومن بسيط ارض القصر مدارج يصعد
منها المنية للجبل بين سورين يمينا وشمالا بلوغها مخدر وسافيتان تنحدر من
اعلا السورين في عمود مشتو الطريين من عمل الفخار مزدوج ومن خارج سور
المدارج وادي متخذ اخذ من اعلاه ما هو جار عن سور المدارج وما تبيد
للخصص ذات الانابيب الصاعدات للجو وباقيه يشق القصر على طوله فهو
فهو بمثابة الصهريج لان مجراه داخل القصر مبني يمينا وشمالا الحواشي من
الواح الرخام استوعبها ثقب يصعد منها انابيب معوجة لداخل الصهريج
من الجهتين كل انبوب يقابله مثله وبطرفي الصهريج خصتان يصعد منهما منها
الماء على الصفة في العلو احدهما بباب قبة القصر والاخرى تقابلها من جهة

الباب الذي

الباب الذي يدخل منه للقصر وللقصر ثلاث مقاعد الاوسط هو المقابل للصهريج
في غاية الطول والعرض له بهو من الجيب مطلة على المدينة وبوسط ارجائها
ثم مقعد يمينا قدر ربع الطول والعرض يقابله من جهة اليسار مثله ثم غرب
جوف المقاعد الثلاثة على الصفة في النقش والكتابة جميعها لفظا غالب
الا الله الا ما كان بقوس باب المقعد المقابل للصهريج مكتوب فيه كما ترى

فص بديع للحسن والاحسان لاحت عليه جلالة السلطان
رفعت محاسنه واشرق نوره وهمت سحائب جوده الهتان
وغدت يد الابداع في ارجائه وشيا يخجل ازاهر البستان
فكان مجلسه العروس تبرزت عند الزفاف بحسنها الفتان
وكساه من شرف البديع القدر ان نال اعتناء خليفة الرحمن
خير الملوك ابو الوليد المنتمي من نخبة الاملاك من قحطان
المقتدي بالظاهر بن جده وكفى انصار خير الخلق من عدنان
لحقته منه عناية فتجددت منه جمال مصانع ومباني
في عام نصر الله والفتح الذي هو للخليفة آية الايمان
لا زال معمور السعادة خالدا في نور ارشاد وظل امان

۝ وبدائرة البراح الذي يدخل منه للمقعد المذكور يتصل بالسقف على الجهات
الاربعة قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا وبجنب
المقعد منزه يصعد له بمدارج عديدة يستوعب ارجاء المدينة يشاهد منه
اثنتا عشرة مدينة دائرة بغرناطة على مرء العين الاولى سنطفي على بعد من ستة
اميال ثم مدينة طريانة على اربعة اميال ثم الندينة على ثلاثة اميال ثم كرابجي
الكبير عن ثلاثة اميال ثم كرابجي الصغير ثلاثة اميال ثم الشراطر عن ثلاثة اميال
ثم كسنخ عن اربعة اميال ثم الكركع عن ثلاثة اميال ثم الطر عن ستة اميال
ثم البرط عن ثلاثة اميال ثم ملصير عن اربعة اميال ثم لصوبي عن اربعة اميال

ثم بارجاء غرناطة ايضا من الاودية المتصلة بها والخارجة عنها خمس اودية
يظلم جميعا من هذا المنزل المتصل دارو وشنيل والخارجة عن المدينة صنطيل
دبلر وبايرو وجميع هذه الاودية تتصل بشنيل فقد سافرنا من مدينة غرناطة
بعد الاقامة بها اثني عشر يوما لتراكم المطر وتتابعه وقد انقطعت السبل
بسببه ولما انجلى الغيم استعملنا السير قاصدين مدينة مالقة فاخبرنا
ان الاودية التي بنواحيها لا يمكن قطعها بالكلية بالقوارب فضلا عن
بالحرائث والدواب وفيما بين الاودية المذكورة وبين غرناطة خنادق وشعاب
وغدران الى غير ذلك مما يقطع النظر عن تعلق الخاطر بها وكان لنا اهتمام بالعبور
عليها لنستوعب اخبارها نترحم على مقابر المسلمين التي بها وقد استعملنا ذلك
في كل بلدة بلدة كما نتتبع اعمار المسلمين ونسئل الله تعلى ان يرحم من بها من عظام
الملوك المومنين وان يعيدها وغيرها دار اهل توحيده فلم يسعنا حين حصلنا
على الياس من العبور عليها الا ان قصدنا قرية اسمها لشما على مسيرة اثني عشر
ميلا وفي خلال الاميال عبرنا مدينة اسمها سنطفي

الخبر عن مدينة سنطفي

مدينة ذات اغراس ولجنة وعن يسارها الواد المنحدر من غرناطة شنيل وغيره
من الاودية التي تتصل به بعد غرناطة بنحو المسافتين وهي الان بدوية محضة وبنيانه
غير شاهق باق على حالة الاسلام والقرية المذكورة بدوية ايضا وكان مبيتنا بدار
حاكمها وقد هيا لنا مقعدا هو احسن مقاعد ديار القرية وقد استوعب فضاءه
بطيخ وتفاح وعنب معلق جميعه في فضاء المقعد وقال انه يمكث بقية السنة
ولا يعتريه تغيير وقدم لنا من هذه الفواكه ما جعله لنا قرى فاذا طعم جميعه
في المذاق في ابانه وغير ابانه واحد لا فرق فيه بين الوقتي والمدخر ويتبلغ كرامة
ومن الغد سافرنا قاصدين لوشا على اثني عشر ميلا جميعها في وحل وطين وغدران وخنادق

الخبر عن مدينة لوشا

مدينة

82

مدينة حضرية من ان تكون قطعة من غرناطة لاستيعاب ديارها بالماء الجاري
وقد شقها الوادي المسمى بشنيل عليه قنطرة غير بعيدة في العلو من قنطرة
سبو بفاس لها اربعة اقواس من عمل المسلمين رحمهم الله والمدينة في حجر جبل
شاهق محيط بثلاثة ارباعها وبقنته قصبة هدمها القوم باقية ابراجها وقد
فعل اهل المدينة ما فعله من قبلهم من الترحيب والاكرام وبروزهم للملاقات
بالحرائث وفي التطرب بهم على قدوم غرناطة في الميل للمسلمين والمحبة الدالة
على انهم عرفا بهمتهم للاسلام بالخصوصية رجالا ونساء وصبيانا بزيادة
على غيرهم والكثير من القائهم موجود عند نابع الاسلام فمنهم من يشير اشارة
خفية ومنهم من يجهر بذلك ولا مرية انهم من بقايا الاندلس وقد طال عليهم
العهد وغلبت عليهم الشقاوة والعياذ بالله اقمنا هنالك بقية يومنا
وسافرنا من الغد قاصدين لمدينة اردون على تسعة اميال

الخبر عن مدينة ارتدون

مدينة بدوية وهي في حجر جبل شاهق تحت قنته بيسير قصبة ما رايت اكبر
منها في جميع ما رايت من حصون المسلمين اشتملت على اربعة وستين برجا
ويقابل الجبل الذي ثبتت فيه هذه القصبة جبل مثله جعل فيه اعداء الله
مدافع حال محاربتهم مع المسلمين بعد اخذ المدينة ورموا على القصبة من المدافع
ما هدمها جميعها وبقي اثر الابراج وجدار السور فوق نصف قامة وقد ابقوا بالجبل
بعض المدافع علامة على اخذ القصبة من الجبل المقابل لها وبعد الفجر من ليلتنا
استعملنا السير لقرية بدوية اسمها الميدة على اثني عشر ميلا فهي كغيرها من
القرى ومنها كان رواحنا لمدينة اسونة على واحد وعشرين ميلا لاخذ تابع السير
عند الثلث الاخير من الليل وكان رواحنا اليها قرب الغروب

الخبر عن مدينة اسونة

مدينة حضرية واهلها رفاهية وسعة في المال وقد برز اهلها للملاقات بالحرائث

وخيول وبالغولة الاكرام والترحيب وابدوا من البشاشة ما زاد وابى على من
تقدمهم وديار المدينة مسلمة محض مشيدة بالاجر وتابيه والمقاعد والغرف
والبيوت والسقوف والابواب الكل على ما هو معهود من بناءات المسلمين
رحمهم الله ومن الغد كان مبيتنا بمدينة مثل التي قبلها اسمها البو نيته عن اثنى
عشر ميلا وهذه المدن والقرى تغيرت اسماؤها على ما كانت عليه في زمن
عمارها من الاسلام ومنها كان رواحنا المدينة وطريرة عبرنا اليها عن اثني
عشر ميلا بين زياتين وكروم وبعض اغراس العاكم متصلة بسورها وهناك
دواليب تسقي منها الاغراس المذكورة **الخبر عن مدينة وطريرة**
مدينة من المدن الحواضر غير ان بنيانها غير شامخ والدار التي نزلنا بها في نفسها
من خيار المدينة لفخامة بنيانها وتعدد القباب والمقاعد بها وقد استدار
بثلاثة ارباعها بستان في غاية النظارة شامل لاشجار الفواكه واصناف
النوار والبستان مقاعد مستديرة به وقد بالغوا في تزيين المقاعد بالفرش
المنتخبة وايقاد الشمع الكثير واحضار اهل الموسيقى والمباشرون لها هم
الجوابلة ومن العجب ما رايت بها رجل قامته اربعة اشبار والوجه والصور
من الذوات الفخام قيل انه مضى له في العمر ثلاثون سنة وفيما بين كتفيه اربعة
اصابع واليدان كذلك وله في الغناء القدم الراسخ بين اهل الموسيقى فتعجبت منه
غاية ثم ناديته واجلسته بين يدي واكرمته وجعلت اتحدث معه واسئله
عن اشياء تقتضي المداعبة والمباسطة منها السؤال عن موجب تعاطيه علم
الموسيقى وما الحامل له على ذلك ثم الرقص الذي هو من توابعه وكيف يمكنه التصرف
في آلة الطرب مع قصر ساعديه وانامله فيكم هنيئة وقال الحامل على تعلم
ما سالت عنه ما اعانيه من العشق والميل للحسان والملازمة للصبوة وجعل
تارة يتكلم بالجهر وتارة بخفض صوته واكثر من الالتفات فسالته عن جهره
في بعض الكلام وسره في بعض وما وجه التفاته فقال السر فقال المحبوبة معكم

في الحضرة

في الحضرة وخشيت ان تسمع بعض كلامي فقطن اني ابوح بسرها اذ هي في الطول
كالانزرة وزدت من ذلك تعجبا ولما قامت النسوة للرقص قامت من جملتين
ومن عاداتهم في الرقص ان يرقص الذكر مع الانثى وقد ادركه من الغيرة عليها
ما لم يكن في احد من الكبار غيره فقط فندبه بعض الحاضرين للرقص فاجاب
فذهب لمحبوبته يطلب مساعدتها للرقص معه فلم عليه بالكلية ثم ذهب تقبل
لغيرها فلم تجبه ثم ان القيم على الليلة قوم له بنية للرقص فرقصت معه
وعاد الينا شاكيا باكيا يتلهف ويعالج من الوجد ما كادت حشاشته تذوب
له من قبل من عدم قبول المحبوبة عليه في الوقت فابديت له عنها من العذر
ما انست به نفسه ووجد بعض الراحة مما كان فيه وعند انصراف القوم
جاء للتشييع معنا وبيده عصى فسالته عما يفعل بالعصى فقال هي عندي معدة
لطرد الكلاب لانها لا تعدوا عليه والا ان احب ان اختلس المحبوبة واضربها بالراس
فتخر ميتة واذهب مستريحا منها فقلت له كيف يمكنك الخلوص لراسها
مع قصرك وما هي عليه من الطول فسكت ثم اخرج من جنبيه مدية قدر شبر
وقال الضربة بهذه تقضي الغرض اكثر من العصى قلت له لا انا اهديك لما تحصل
به على الارب لكن ان كانت الضربة من اليد الكاملة الخلقة في بسط الراحة
وطول الاصابع لتتمكن من المدية حال الطعن وانت فيما اظن لا تساعدك اناملك
ولا راحتك لذلك ما يدركك من الشفقة على محبوبتك ومنه الامر الذي عرفت
عليه حملك عليه الغيظ فقط وستندم ان فعلت ذلك مع عدم الحصول على
المراد فان كنت تقبل النصيحة فسامحها وقاعدها في مرادها لعل الحصول منها
على الخاطر وتدركها تريد فتامل فيما اقوله لك واعمل به فقال الخير كله فيما اشرت
به علي وقد سري عنه ووجدت بعض الاستراحة وانصرف عنا وقد استوعبنا
ما بقي من الليل بحديثه والتعجب من امره ومن الغد سافرنا لمدينة اسمها الاصكبسنت
عبرنا اليها عن اربعة اميال في وحل عظيم بين اودية وشعاب وخنادق وغدران

بحيث تهوي نواعر الكراش والكراريس في عمق الطين ويعجز عن اخراج الكرش
الواحد باثني عشر بغلة من البغال المعتبرة في الجودة وليخلصه من الوحل الا
العدد الكثير من الثيران

الخبر عن مدينة لاص كيسكت

وهذه المدينة بقنة الجبال وقد اتصل الوحل بديارها على ان الجبال تدفع عن نفسها
السيل وهذه المدينة لم يغن عنها الوحل شيئا والمدينة بدوية كاهلها الحقنا العلوش
بها عشية وارتحلنا بين الظهرين من غداة ليلتنا الغرب المسابقة لوا رسبيتنا
بمدينة لا برتجة عبرناها عن تسعة اميال

الخبر عن مدينة لا برتجة

قد تقدم ذكرها في العبور الاول ثم من الغد لحقنا بمدينة حريز

• الخبر عن مدينة حريز •

تقدم الكلام عليها غير ان اهلها زادوا في الاكرام والبرور على ما تقدم منهم
في العبور الاول وكانت اقامتنا بمدينتهم لاستراحة يومين وفي اليوم الثالث
استعملنا السير قاصدين مدينة لايزلة ذاليون ومعناها بالعربية جزيرة —
التسبيح عن اثني عشر ميلا

الخبر عن مدينة لايزلة ذاليون

مدينة من المدن المعتبرة التي لها بال في فخامة البنيان واتساع الرحاب كل
دار منها ببستان عجاعد وخصص وصهاريج الكل مشتمل على التلاعب بالمياه
وتعدد الانابيب منها ما هو معوج على الاستدارة ومنها ما هو طاعد للهوا
واشجار البستان شاملة للفواكه واصناف النوار والديار تتشاكل في ارماد رير
غير ان بنيانها غير شاهق جدا وقبل الوصول للمدينة بما يزيد على مسافة عبرنا
طريقا مرتفعة عن بسيط الارض ولها احتفاظات من الجهتين والخارج عن الطريق
عينا وشمالا في جميع ارجايها خلجان تستمد من ماء البحر فتجد ملحا وقرب باب
المدينة قنطرة مضروبة على وادي يتصل به البحر حال الزيادة فهو من اعظم
الاودية واكبرها وافواس القنطرة ثلاثة والاوسط من الثلاثة تجوز فيه
السفن بجواريها الطول وعرض الفوسان الاخران دون الوسط في الطول والعرض

هي

هي من عمل المسلمين مع برج قريب منها على ما حدث به سكانها من الكفر
وقد برز لملاقاتنا من المدينة خلق كثير رجالا وبالكراش وخيول ورحبوا بنا غاية
وذهبنا في جمع عظيم الى ان انتهينا للدار المعينة لنزولنا وهي من خيار ديار
المدينة وقد احاط بها بساتين واغراس وهي كغيرها من ديار المدينة لان
ديار المدينة لها بساتين على الصفة وجل عمارها تجار فالص واعيان المراكس
والعسيان يبنون بهذه الجزيرة لوسطها وبسط ارجايها واماكن جعل البساتين
بها فهي عندهم هذه للنزهة والاستراحة لان فالص مبني بجزيرة وقد احدق
به البحر من الجهات الاربع وقد ضاق على سكانه مع وسعه ولما كانت هذه
الجزيرة قريبة منه جدا بنوا بها هذه الديار وغرسوا بها الاشجار العديدة فهي
الان من جملة المنزهات التي لها بال عندهم لغرابة الاغراس ببلادهم وفيما بينها
وبين فالص ستة اميال عبرناها من غداة ليلتنا بين الظهرين وهذه الاميال
بين شاطئ البحر وعرضها شيء يسير وليس للمدينة الفالصية ايصال للبر الا طريق
غير عريضة ناجدة للجزيرة مرصفة بالحجر مرتفعة عن الشطين وقد هدم منها
البحر ما يزيد على مسافة على عهد الزلزلة لفيضانه وخروجه عن الحد ومن
ذلك الزمان وهم يعالجون ما انصدع منها ولم يحصلوا على طايل

• الخبر عن مدينة فالص •

لما قربنا من المدينة برز لملاقاتنا خلق كثير خاصة وعامة نساء ورجالا بالكراش
والخيول وآلة الطرب فكان اول من لقينا من القوم الباشا ورات الباشا دور
المعين من طاغيته لمصاحبتنا للحضرة العالية فرحب بنا وابان من الادب وحسن
الخطاب ما دل على اهليته بالمنصب الذي قدمه اليه طاغيته فقدم لنا الكراش
فركبناها والزمناه الركوب معنا فجعل وطار الجموع تتوارد علينا في اثناء
طريقنا بعضهم بالكراش المشحونة بينات الاكابر واز ولجهم وبعضهم فرسانا
والجل راجلون رجالا ونساء وصبيانا والجمع من الخلق ما ضاقت عنهم الارض

بسيانا ومراكيس وشلطاظا ومطلوا العامة اجتمعوا من المدن الغريبة من فالص
زيادة على ما بفالص من القوم فيل ان عددهم اى الموهلين به خمسة وسبعون الفا
وغير الموهل شئ كثير ولما قربنا من المدينة جعلوا يخرجون المدافع التى لا تحصى
لها ودخلناها بجزى لم يعهد مثله قط لغيرنا والشلطاط محوفة بنا يردون
عنا القوم وحاكم البلاد والاعيان من قومه منكشفة الروس راجلين اماما منا
بامر طاغيتهم تعظيما لجانب سيدنا المنصور بالله وبدخل المدينة كانت
ملاقاتنا باخواننا المومنين المسرحين لتقدمهم اماما في البحر الواردين من فرطخنة
وقد انضاف لهم اخوانهم الواردون من برصونة ومن الكراكة فكان جملة المومنين
حينئذ ثلاثمائة حسبة تنقص عشرة كلها في محبة سيدنا ايده الله ومن مدخراته
عند الله تعلى وقد بالغ اهل فالص في اكرام الاسارى ولم يضيعوا من حقهم شيئا
في الماكول والمشروب فاعترفنا لهم بالخدمة والمحبة ووعدناهم باعلام طاغيتهم
باداء الواجب وكان نزولنا بدار هي من خيار ديار المدينة وما زالت الجموع تتردد
علينا على قدر طبقاتهم الكل يبدي من البشاشة والترحيب ما فيه زيادة على
على الاول وقد تعينت الاقامة بفالص لانتظار هدية الطاغية المصاحبة
لبشادورهم للحضرة العالية **ولنذكر** صفة المدينة في البناء وما هي
عليه من الاشياء المؤكدة ذكرها كغيرها ممن تقدم من المدن فنقول هي
مدينة في غاية الطول والعرض وديارها مستوية في البنيان وكان المهندس
خط جميعها في وقت واحد فسم جميعها ارباعا ارباعا وبنى بكل ربع عدة ديار
والفاصل بين كل تربيعة طريق محيطة بها نابذة بعضها بعض واتصال الديار
التي تليها من احد جهتها الاربع والثلاث جهات من كل دار موالية للازقة
استوعبها شراجيب وشبابيك وقدر الديار جميعها من الحجر المنجور والطين
الذي بين الحجر والحجر شئ قليل بحيث اذا هدمت الدار لا يوجد لها من التراب
قدر ما يحمله الجمل ولا تجد دارا الا ولها منزه في غاية العلو وسور المدينة

غير

85

غير شاهق وبين السور والديار على الاستدارة براح عرضه يزيد على
المائة خطوة في بعضه مخازن للبارود ثم قباب لاهل العسة وخارج الباب
المدينة للبر عينا وشمالا بساتين في غاية العلو حاملة للعدد الكثير من المدافع
وفي مقابلتها ثلاثة قناطر من اللوح كل قنطرة مضروبة على جسر في غاية
العمق تربع وتخبط بحركات زائدة في التحصن وبجزء المدينة من التجار
ما لا يأتي عليه الحصر من ساير الاجناس ترد عليها المراكب في اليوم الواحد
بعدد كثير وساير نامنها كذلك بعين محل التجار من ساير الاجناس بالبلاد
الاصبنيولية ومرساها تزيد على مرسى قرطخنة في الطول والعرض اذ كانت
مبسوطة مستوية من غير جبل ولا جرف بساحلها الشرقي مدينة بنط
سنطرية وغربيها سور مدينة فالص واسواقها عامرة بالحوانيت الصيغية
والذهبية في اوان ولقد تاتي بها المراكب كل صباح من المدن الغريبة منها
وعن يمين سنطرية مدينة اسمها سنط ديال ثم عن اليمين بقليل ايضا مدينة
الكركة وهي عدة ديار مشيدة بسبخة من الارض تصنع بها السفن وهي
عندهم بمثابة السجن لاهل الجنايات وبقي بها من اسارى المسلمين في الوقت
سبعة عشر وقد سرح من عداهم على يد سيدنا الكريمة وقد وعدا ايده الله
بسراح من بقي تقبل الله من سيدنا عمله اقمنا بها ما يزيد على الشهر وسافرنا
مصاحبين السلامة قاصدين تطوان ولما عبرنا المرسى هب علينا ريح شرقية
مخالفة لعبورنا ومكثنا في البحر ثلاثة ايام وقد ضربنا الميد المحرف للمزاج
فلم يسعنا الا الرجوع لفالص من فم البوغاز ونزلنا البر اقمنا ثلاثة ايام
بالدار التي كنا بها ولما هبت ريح غربية على قلتها اتكلنا على الله تعلى وركبنا
بين العشاءين فما باتت علينا اربع وعشرون ساعة حتى رسينا بمرسى
تطوان في امن وامان **وكان سيدنا نصره الله** امر حاكم تطوان
ان يغيب معنا على قدم في عمارة البساتين الموالية لناحية البحر بالبارود

بالابراج

ص
مرادة بالبساتين الابراج لان اهل الفحص يكنون عن الابراج بالبستان

ذكر سفرنا من فالص ورجوعنا للبلاد

ولحضا رمن هو معين لاخراج المدافع بها بحيث اذا احللنا المرسى ينطلق [illegible]
المدافع العدد الكثير ثم تتبعها مدافع اغربة الغراصين المرساة بمرتيل
وتهيا الحاكم لذلك وشحن البساتين بما امره به مولانا المنصور بالله وعين
دارا للنزول الباشادور المصاحب لنا من غيارد يار تطاون وجعل باحد الابراج
من يترقب مراكبنا حيث تقدمه الاعلام اننا ركبنا من فالص قاصدين تطوان
بريح طيبة عبرنا البوغاز وقد جعل المترقب لمراكبنا علامة للمدينة [illegible]
دالة على عبورنا البوغاز فما قربنا المرسى الا والمدافع تخرج علينا من البساتين
وساحل البحر خلق لا ياخذ عليه الحصر فتعجب الباشادور من احضار القوم
للملاقات قبل الترسية ولم يدر من اين اتصل بهم الخبر على بعد المدينة
وقد صاحب القوم النوبة والة الطرب وانتشروا من مرتيل الى شط
البحر بخيول وبغال ورجلين وامرت صاحب المركب ان ينزل الفلوكة لننزل
فيها للبر في الحال لاغراض عديدة اقتضاها الوقت وتعينت في الحال منها
ان نهيئ ما لا بد منه مما هو مناسب لجهة الاسلام عند ملاقات الباشادور
بالقوم وان نحتفل بما فيه زيادة على ما شهدناه بيرهم عند ملاقاتهم ايانا
ومنها تقديم نزول الاسارى من المسلمين للبر وان نريحهم مما هم فيه من الكيد
والتعب الفادح لان غالبهم الشيوخ العواجز والنسوة والبنين وكان
الباشادور طلب منا ان نمهله بقية بالجفن ولا ينزل البر الى الغد فاظهرت
له اباية ولم تنصت لكلامه والزمته النزول للبر في الحال وبينت له ما الحامل
على ذلك من اني خشيت ريحا شرقية لا يمكننا المكث معها بالمحل المرسى به
الان وتتعلل بامور تقتضي مقامه بالمركب بقية يومه لا مندوحة له عنها
في اعرابهم وهي اخراج ضادهم من المحل التي هي به وفتحها لالحاق الكسوة
التي هي معدة عندهم للتجمل عند ملاقاتهم باعيان القوم مع ما يضاف لذلك
من تحسين لحاهم ومشط الشعر الذي يجعلونه على رؤسهم فلم يسعنا الا الايجاب

وتحملنا

86

وتحملنا عليه لذلك على انه راغب من الباشادور في مقامه بالجفن الى الغد
للامر المشار اليه وقد نزلت البر في تلك الساعة وبعد الملاقات
بالقوم والتسليم عليهم والفرح بجميعهم هيانا عدة قواريب وبعثنا بها
للمراكب الحاملة لاخواننا الاسارى المسرحين على يد سيدنا الكريمتين
رجالا ونساء وصبيانا وعددهم ثلاثمائة تنقص عشرة جلهم اهل الجزائر
والبعض من المنتسبين على ايالة سيدنا اسماه الله فلم يلبث الا وجميعهم
بالبر وقد احدق بهم اخوانهم المسلمين كل واحد يعانق الاخر وهم يبكون
من شدة الفرح واطلقت النسوة بالزغاريت والاطفال يرقصون واباؤهم
يمرغون وجوههم في التراب شاكرين لله تعلى معلنين بنصر سيدنا والدعاء
له بما نرجوا من الله قبوله وكان يوما يوازيه بالفرح عيد من الاعياد والموسم
من المواسم ولقد نابنا في نزول الوسق بقية اليوم ولما جن الليل حملت من
البريشك ما هو كاف للمراكب الثلاثة بقرا وغنما ودجاجا وما يضاف لذلك
من الخضرة الوقتية والطعام وقصدنا المركب الذي به الباشادور وتولى
تعهد ذلك البريشك على المراكب بيده وقد راى من ذلك ما سره وقد
ضرب حاكم البلاد ومن انضم اليه من امناء المرسى واعيان القوم من الخزاين
بساحل البحر العدد الكثير الى مرتيل انصت كوانين الخزاين لكوانين
الاسارى بالناظر تتنادى الكوانين من الجفن الذي نحن به يشاهد نجوما
في السماء ومثلها بالارض ولا مرية ان ذلك سر من اسرار الله تعلى وقد
استيقظت الباشادور والبسيان المصاحبين له فخرجت جميعهم من
الغامرة ليشاهد جميعهم ما شهدناه من ذلك وقد تعجب مما شهده
عيانا هو وقومه وظهرت والحمد لله ابهة الاسلام وعظمته في تلك الليلة
وغيرها ومن الغد نزل معنا البر وبعد ركبنا الفلوكة واهل مركبه يخرجون
المدافع وابرلجنا لتحييهم باخراج مدافعها الى ان نزلنا البر وقد برز لملاقاتنا

قايد البلاد واعيان القوم ورحبوا بنا كثيرا وجاء الحاكم بعدة من الخيل وركبها
الباشادور والاعيان من قومه وقد ضربت علينا النوبة واخذ المجاهدون
في اللعب بالبارود على خيولهم واستمر اخراج البارود من الرماة الى المدينة
وذهبنا في جمع عظيم من الخلق فلما قربنا المدينة اطلقت القبصة من المدافع
ما يشبه الغليل ودخلنا المدينة في هيئة عظيمة فاذا بالدار المعينة لنزولنا
بالامر المطاع من خيار الديار واحسنها استوعب فيها فراش منتخبة ووجدنا
في الحال اللقيم على طعام الباشادور ما هو كاف لضعف قوم الحاضرين مما
في زيادة على ما شهدناه من طاقتهم مما يدل على خصب بلاد الاسلام وما
هي عليه من بسط النعم والخيرات التي لا حد لها ولا نهاية ولم تزل الاعيان
تتردد الينا بقصد مباشرة الباشادور واكرامه في مقابلة ما صنعوه معنا
ببلادهم ونحن المسلمون احق بالفضل والمجازات ومقابلة الخير بمثله
وان كان وقوعه من غير اهله وجعلنا الاسارى المسلمين اماكن تليق بهم
وجرينا عليهم الخراج الكافي لهم بالامر المطاع ونقينا اثوابهم ومن كان
مفتقرا للكسوة جددناها له ومن الم به الوجع انا له حكيما يعالجه وانزلنا
النسوة بالمحل المناسب لهن الكل عن المولوي اسماه الله وقد اقمنا بتطوان
ما يزيد على الشهر لتراكم المطر وتتابع السيل الخارج عن الحد ولم يزل سيدنا
ايده الله يجدد الايصاء على الاسارى بالرفق بهم وبالاحسان اليهم رحمة بهم
وشفقة عليهم واكثر ايصائه ابقاه الله على النسوة والبنين والطاعنين
في السن تقبل الله من سيدنا عمله ولما انجلى الغيم استعملنا السير وقد
كان سيدنا نصره الله بعث العدد الكثير من البغال لحمل الاسارى ولم يحمل
ثقلة الباشادور من غير ان يدفع درهما واحدا في شيء من الاشيا جلت او
قلت فقام بجميع ذلك حاكم تطاون بالامر المطاع وقد تقدم من سيدنا
الاعلام لعمال ايالته المحروسة بالله ان ينتشر واقع الارض خيلا ورماة من باب

تطوان

تطوان الى الحضرة المراكشية حرسها الله فانتشرت العساكر التي بايالة عليها
الحكم خيلا ورماة وذهبنا في هذا الجمع العظيم واول من لقينا بعد استعمال
السير من تطوان عصبة حاكمها والاعيان من المجاهدين من القبايل الحرزية وادراس
وبني مصور ولجرة وغيرهم من القبايل واخذوا في اللعب بالبارود وقد
بهت الباشادور مما شاهده منهم حتى انا طلبنا منهم ان يكفوا من اخراج
البارود فلم ينصتوا وتمادوا على ذلك الى المحل المبيت وقد بالغوا في الاكرام
ومن الغد تعرض لنا اهل الريف خيلا ورماة بعدد كثير وقد اصطفوا
صفوفا وضربت النوبة بين صفوف عسكرهم واخذت الخيل في اللعب
بالبارود ثم بالمزارق وذهبنا على هذه الحالة الى ان اقبل الليل وقد هيأ حاكمهم
ضيافة لها بال واتى بطعام منتخب كاف لهذه الجموع الوافرة ومن الغد
قدم للباشادور فرسا من عتاق الخيل كان يركبه حيث اعجبه واستحسنه
وذهب معنا الى ان قربنا الغربية بتشييع معنا واصحبنا ولده بمائتين من خيل
المجاهدين من اهل الريف فلم نشعر الا واهل الغربية وغيرهم من القبايل
الموالية لهم بعدد كثير وفعلوا ما فعله من قبلهم اجمالا وتفصيلا وفي
اثناء طريقنا من الغد لحقت بنا خيل طليق والخلط وقد اقتفوا اثر من
تقدمهم في الترحيب والفرح باسارى المسلمين ولما وصلنا القصر وجزنا به
من الخلق من لا احصر له وقد جالت الخيل بين صفوف الرماة ومطلق القوم
وبلوا بلاء حسنا في اللعب بالبارود بقية يومهم ولما جن الليل اقبل اهل القصر
بالطعام الكثير على اختلاف انواعه وقد فضل منه اكثر مما اكل وبقيت القصع
والموايد العريرة فاضلة بعد اطعام العساكر المذكورة وشاهد الكافرون
ذلك ما ادهلهم ومن هنا لك كان رواحنا لثغر العرايش وعلى قرب منها تلقانا
حاكمها في خيول عديدة وترك الرماة وشت الغزات وكر البعض على البعض
وجعلت الرماة تخرج ما لديها من البارود وقد افتتحها اخراج المدافع من

الابراج ومن ساحل البحر من المراكب الفرصانية المرساة داخل الوادي وخارجه
حتى ان بارود المدافع والرماة ونقع حوافر الخيل ستر نور الشمس وكان يوما
مشهودا وقد دخلنا المدينة على حالة حسنة ومن ذلك اليوم استعمل الباشادور
الكتابة في كل ما شهده بيننا وصار يقيد ما يتعجب منه مما هو عاجز عن
بعض بعضه من حركة الخيل وجولانها في ميدان العساكر وتلاعب فرسانها
بها على قدر ارادتهم بحيث يتصرف الفارس في مركوبه بما شاء من جر وكر ولا قدرة
للفارس من الكفرة على قهرية فرسه ورد الجموح من الخيل بما هو معلوم من الفرسان
وانما ركوبهم فيما شهدنا تارة يلفظه السرج اماما وتارة خلفا وهو فيما بين
ذلك مشغول يترقب الوقوع ولم يزل الباشادور يتحدث وقومه عما شاهدوه
وكل واحد يزيد على الاخر في الحديث وقالوا وسمعنا ان المسلمين على هذه
الحالة ما صدقناها ولا شيء اقوى من المشاهدة اقمنا بالمدينة يومان وفي
اليوم الثالث سافرنا مصاحبين لمائة من خيل وصحبان سيدنا نصره الله
بعد ان شيعنا مع اهل الريف بما عبرنا من طريقنا نحو المسافتين الا وخيل
سفيان وبني مالك اصطفت ببسيط من الارض وقد لبست لغز الثياب
وركبت العتاق من الخيل فما قربنا منهم الا وشنوا الغارات قاصدين نحونا
حتى ان بارودهم يشبه صوت الرعد وما زالوا على ذلك الى محل المبيت و
قد زادوا على غيرهم في الضيافة والاكرام من غير القصد وكان رواحهم
معنا من الغد لشط وادي مهدية وعند الصباح اخذنا في تقطيع القوم
في عدة قوارب وتشيعنا مع سفيان وبني مالك وبالساحل من ناحية
مهدية وجدنا جماعة من اعيان اهل سلا برسم جوابنا وقد سوا الاعلام لمدينتهم
بان دخلنا اليهم من يومنا ليتاهبوا للملاقات وقد اجتمع عليهم خلق كثير
من رباط الفتح وغيره واستعملوا جهدهم في اخراج المدافع والرماة داخل
المدينة وخارجها يخرجون البارود فيما بينهم على صفة لم تعهد عند الروم

ومنها

ومنها كان تعجبهم حيث لم يشاهدوا امثال ذلك قط وعبرنا المدينة بين صفوف من
الخلق مع النوبة وغيرها من الة الطرب وكل مدينة مررنا بها وقبيلة من القبايل
الا وتنسي التي قبلها لكثرة الخلق واقدامهم على الاشياء التي هي مفقودة عند
الكفرة في الحرابة والخصب وكثرة النعم مع النورانية الاسلامية التي تلقي في
نفوس الكفرة من الروع والجزع ما يستصغرون به كل عظيم عندهم من عدد وعدد
عند مشاهدتهم ما اولى الله تعالى لاهل توحيده من الهيبة والعظمة والنصر
والتاييد وما بسط عليهم من النعم وقد شاهد هذا الكافر ما لم يشاهده غيره
من الباشادورات من المباشرة التي فيها قمع الكفرة والغلظة عليهم واظهار
قوة الاسلام واما العمل بالنيات وكانت اقامتنا بمدينة سلا يومان للاستراحة
وفي اليوم الثالث اخذنا في عبور البحر قاصدين رباط الفتح وقد هيا اهل العدوتين
قوارب مزينة بالقماش المرقوم وجعلوا بها ستورا عجيبة فلما ركب الكافر البحر
جعلت المدافع تخرج من العدوتين وبارود الرماة امامه وخلفه بالساحل
لا يعتبر واجتمع من الخلق بالشطين ما لا ياتي عليه الحصر وقد شاهدنا بذلك اليوم
ما لم يشاهد في غيره اقمنا بقية يومنا برباط الفتح في عز واكرام وبه التقينا
بجمع وافر من بني حسن ولم يصحب لهم تقصير في البرور والاكرام ومن الغد
تعرض لنا وفد من اصحاب عامل دكالة بالامر المطاع ليتقدم امامنا للمحل الذي
يكون به مبيتنا للتهيئ ما يحتاج اليه من المؤنة المناسبة بحيث اذا وصلنا
نجد الاشياء بالمحل حاضرة موجودة ولما انتهى بنا السير الى وادي ام الربيع
لحقتنا خيل عامل دكالة وقد كست السهل والوعر وفعلت ما فيه زيادة
على من تقدمها من العساكر وكان مبيتنا بقصبة رييسهم في عز واكرام اقمنا بها
يومنا ومن الغد للاستراحة وفي اليوم الثالث استعملنا السير صحبتهم لحضرة
مراكش وكان رواحنا اليها ثالث عيد الاضحى من عامنا فلما قربنا المدينة وردت
علينا رسل سيدنا نصره الله مسلمين ومهنيين بقدوم اسارى المسلمين او صحبهم

مولانا المؤيد بالله امره المطاع بان تفتتح ولج السير من يومنا على بستانه
الابهج الزكي العرف والارج المشتمل على فواكه المختلفة المطاع واصناف النوار
المؤسسة البناءات والجدار المسماة بالاسلامية الغريبة من الحضرة العالية
وفي اثناء العبور لها برز من الخلق لملاقاتنا ضعف ما شهدناه قبل ولم نخلص
من القوم الا بعد جهد جهيد لازدحام القوم وكثرة المخلوقات التي لا ياتي
عليها الحصر ولما استقر بنا المجلس في البستان المذكور ورد علينا عدد من
اعيان الدولة الشريفة وفي اثرهم من الطعام ما يكل الواصف تكييفه وحصر
بعض بعضه الكل من الدار العالية بالامر المطاع وقدم للباشادور من الاطعمة
ما يتعجب منه مما لم يشاهده عند عظيم ولا يوجد ببلاده بالكلية ومن الغد
اجتمع من العساكر الغريبة والسوسية والحوزية ما ضاق عنهم الارض وقد
كان ورودهم على الحضرة العالية بحضور العيد المبارك مع مولانا المنصور بالله
وقد اضيف لهم من عساكر مولانا المؤيد الملازمين لاعتابه الشريفة احرارا وو
صفانا عدد كثير وذهبنا في هذه الجموع بعد ان قدمنا الثلاثمائة من الاسارى
المسرحين على يد سيدنا الكريمتين رجالا ونساء وصبيانا وجعلنا على راس كل
واحد من الاسارى كتابا من كتب الاسلام التي انقذها الله من بلاد الكافرين
ببركة مولانا المنصور بالله المتخلفة عن عمارة العدوة ومن المسلمين فيما سلف
مصاحف وكتب الحديث والفقه وغير ذلك وقد ادخر الله تعالى هذه الفضيلة
لسيدنا المؤيد بالله التي عجز عنها من تقدم مولانا المنصور بالله من ملوك
الاسلام والحمد لله على ذلك وفي اثرهم النسوة والبنين الكل يعلن بنصر مولانا
ايده الله واطلقت النسوة بالزغاريت وقد ضربت عليهن وعلى الجميع النوبة
وسرنا على هذه الحالة الحسنة وكل من شاهد اسارى المسلمين وعلى رؤوسهم كتب
الاسلام بادرته العبرة من شدة الفرح وصار يحمد الله ويدعوا لسيدنا بان جزاه
الله قبوله ولما قربنا الدار العالية بالله جعلت الاجناد تسرد امامنا

قبيلة

قبيلة قبيلة كل قبيلة تقتفي اثر اولها من طلوع الشمس الى ما بين الظهرين
وعند كمال تسراد القوم ورد علينا الامر المطاع بان يكون نزول الباشادور
باحدى بساتين سيدنا المنصور بالله المسمى بجنان العافية الغريب من دار سيدنا
العالية واذا هو من انزه البساتين تخلله جداول من ماء غير آسن اشتمل
على فواكه مختلفة وازهار معترفة وهو تلقاء قسمه المهندس بحال فراسته
ارباعا وجعل في طولها والعرض ما يزيد على ثلاثين باعا وجعل بكل تربيعة
صنفا من الفواكه على حدته واحاط بها حاجزا من اشجار الورد ما يستحسن
من نضرته والفاصل بين هذه الترابيع العديدة من الجهات الاربع طرق فيها
جداول تشرق بشروق الشمس وتلمع بالناظر لما اشتمل عليه هذا البستان
البهيج والناشق لعرف ازاهره الزكي الاريج يجد في نفسه نشاطا ويعم
الزهو جوارحه سرورا وانبساطا وقد امر مولانا المؤيد المنصور بضرب
قباب من القماش المرقوم بجوامر مذهبة وشليات وبسط وحسك فضية
وكان ملاقاة سيدنا نصره الله باسارى المسلمين في اليوم الثالث من قدومهم
على الحضرة العالية وتلقاهم ايده الله بالرحب والسعة وفرح بهم كثيرا
وحمد الله واثنى عليه حيث كان سراحهم على يده الكريمة ووعدهم بكل خير
وامر في الحال بكسوتهم وخيرهم في المقام بايالته او الذهاب لبلادهم فاجاب
جميعهم باختيار المقام ثم ان سيدنا نصره الله قال لهم من له اهل وقرابة في بلاده
فلا باس ان يصل رحمه ويتعاهد اهله ومن اراد العود الينا فمرحبا به ومن لم
يكن له اهل ورغب في المقام لدينا فله منا ما يسره ان شاء الله ولما تعين منهم
القاصد اهله زوده سيدنا بما فيه خير له واكرام زيادة على الكسوة وامر
بحمل جميعهم وكل مدينة يردون عليها الا واهلها يبذلون جهدهم في الضيافة
والاكرام بالامر المطاع الى ان يصلوا بلادهم في سلامة وعافية نساء ورجالا
وصبيانا وتشيعوا عن سيدنا ادامه الله وهم في نعم وابرة الكلاءة لسيدنا

نصره الله بالنصر والتاييد ومن غرائب ملاقاتهم سيدنا المنصور بالله كانت
ملاقات الباشادور مصاحبا لهدية عظيمة وكان خطابه لسيدنا المنصور
بالله على لسان طاغيته انه يقبل الارض بين يدي سيدنا المؤيد بالله ويطلب
قبول هديته ويخبر انه واحد من خدامه ومتثل لامر سيدنا نصره الله في
جميع ما يامره به وله فرح لهذه المهادنة التي تفضل عليهم بها سيدنا
اسماه الله وكان جواب سيدنا اعزه الله للباشادور ان طاغيتك مميز ومقدم
على الطغات من الاجناس المصالحين لامتثاله امرنا في شان الاسارى من المسلمين
وهؤلاء الاسارى المصاحبين لخديمنا مع كتب الاسلام ذاك عندنا فيه كفاية
عن هديته وان كان في غرض عظيم كشيء وهو جائز في ديننا نقضوه له وانصرف
مجبور الخاطر ومكث في ضيافة سيدنا ايده الله بما يزيد على الشهر في بسط
وسرور يتوارد عليه في اليوم الواحد العدد الكثير من الاطعمة على اصناف
وانواع من الدار العالية كل طعام لا يشبه الاخر في اواني مذهبة لا اظنها
عند طاغيتهم هذا زيادة على الطعام الذي يستعملونه النصارى فما هو
مرتب من لحوم البقر والغنم والوحش والطير وغير ذلك من الحيتان والخضر
والفواكه وقد رأى الباشادور من ذلك ما اذهله مما لم يخطر له على بال ولم
يسمع بمثله وقد طلب من سيدنا ايده الله ان يسرح له عشرة من الخيل وقد جاد
عليه بذلك وكان مراده ان يركب من ثغر الصويرة لما العمي ذلك من الغبطة
في الوصول اليها فصار يقدم رجلا ويؤخر اخرى في طلب ذلك فاذا سيدنا ايده
الله خيره في مراسيه المحروسة بالله واذن له في الركوب على اي المراسي شاء
فحصل على المؤمل وامر ايده الله بحمله للصويرة ومن جملة اكرامه اياه ان الزم
خديمه مصاحبته للثغر واقامته به الى ان ياتي مركب الباشادور وينصرف
في بسط وسرور واكرام وبرور واستعملنا السير بالامر المطاع فما قربنا
من الثغر المذكور الا وقد برز بساحل البحر من به من العسكر احرارا ووصفانا

وانضم

وانضم اليهم من القبائل خلق لا ياتي عليهم شياظمة واهل حاحة وغيرهم
ولعب الجميع في اخراج البارود وجعلت المدافع تخرج من الجزيرتين ومن
القصبة ومن فم الوادي وقد شاهدنا من ذلك العجب ونزلنا بخيار دار المدينة
ومن الغد ذهب الباشادور للقصبة وتطوف بالمدينة وقد استحسن تشييدها
ومبانيها ثم كم كان امد بنائها فقلت له لم يكمل السنتين فاستبعد ذلك ولم
يصح عنده ذلك الا من طريق سكانها من النصارى وبقي متعجبا مما شهده
عيانا وما اخبر به في هذا وغيره وكانت اقامتنا في انتظار المركب الذي يحمله
شهران ولما وردت سفينته جعلنا له ثمانية وابرة جامعة لاصناف الماكولات
مناسبة لجهة الاسلام وتشيعنا معه اخر ربيع الاول وما زال سيدنا ايده
الله يباشر هذا الجنس دون غيره من الاجناس المصالحين وقصده بذلك اسماه
الله اولا وثانيا هو انقاذ من بقي من المسلمين ببلادهم وفكاك جميعهم من الاسر
وقد وعدهم ايده الله بذلك ولم تزل رسائلهم تتردد على حضرته العالية
مستشفعين بسيدنا الشفعاء له في انقاذهم مما هم فيه من الاسر ولم يكن اعزه
الله بغافل عنهم والاشياء موقوفة الى اجلها ولكل اجل كتاب الحمد لله يقول
خديم امراح مولانا الملك الجليل المعترف بالاعتراف من بحر كرمه الجزيل احمد
بن محمد ونان ادام الله عليه مدد الاحسان وحشره تحت لواء حسان لما طالعت
من هذه الرحلة التي هي محض غلتة عرة اوراق فما رايت الا ما حسن من الخبر
وراق وقد دلت براعة استهلالها على رقة طباع غزالها وبلاغة خطبتها
على انه كفؤ خطبتها وعذوبة الفاظها على كثرة حفاظها وبهجة انسجامها
على بعد مرامها وحسن سياقها على حلاوة اذواقها وبديع ترتيبها على ظرف
تهذيبها لكان دال قبول امامها على دوام اكرامها فحثني باعث الاستحسان على
الخوض في بحور الاوزان لا تطفل على امداحها ولو بابيات غير حسان فقلت والله
المستعان وبه كل صعب هان

سلام كمثل الزهر عند ابتسامه • وكالمسك عرفا عند فض ختامه

على عالم الكتاب خاتم طيبهم • وهمامهم في نثره ونظامه

ولو لم يغص في بحر الشعر بكره • على دره لم تحتفل بكلامه

بوالده الغزال في الادب اقتدى • فاحرزه من بره لتمامه

تخيره خير الملوك سفيره • للاندلس اذ هو حد حسامه

يجاهد فيها باللسان زعيمها • ورب كلام قاتل بكلامه

وفك اسارى المسلمين بامره • وما هي الا قطرة من غمامه

وشرعه الدين صلح له اشتهى • وفي ضمن شرط الصلح قطع لهامه

على البنب والبارود والمدافع التي • يهد عليهم دورهم بضرامه

وعند تمام الصلح والله ناصر • يرد لنحر الكفر تحت رغامه

وما هو صلح انما هي جزية • تؤدى وانف الكفر تحت رغامه

وجاء في الاسفار الى رحلة • تجلت عروسا في بساط امامه

واودعها صدق الحديث فلم تزل • عجائبها تجلى بعين مرامه

فلا زال بالعز المؤزر ظافرا • ولا زال العبد دائما علو مقامه

ودتمامهم
في ابحر الشعر بكره

انتهت بحمد الله وحسن عونه

• عونه •

